اجتماع الجيوش الإسلامية
على
غزو المعطلة والجهمية
لابن قيم الجوزية

تحقيق
أبي حفص

سيد بن ابراهيم بن صادق بن عمران

دار الحديث

كافة حقوق الطبع محفوظة

دار الحديث

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر
ت: ٩١٩٦٩٧٠ - ٩١٨٧١٩ - ٩٢٦٥٠٨

تلكس: ٩٣٩٨٥
٢٣١٦٢

تقـــديـم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .
واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(أمـا بعـــد)

فبين يدى القارئ الكريم كتاب جليل القدر وهو (اجتماع الجيوش الاسلامية) وحقًا هو اجتماع جيوش الحق على الباطل من المعطلة والجهمية .

كتاب فى العقيدة الاسلامية الصحيحة عقيدة السلف الصالح الصافى أهل السنة والجماعة ، وهى طريقة أهل الأثر والحديث .

وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الى أهل الحديث فى كتاب « مفصل الاعتقاد » بقوله :-

من المعلوم ان أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما ينحلون به من صفات الكمال ، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم ، فان المنازع لابد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقًا أخرى مثل المعقول والقياس والرأى .

وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها فهم أكمل الناس عقلاً واعدلهم قياسًا وأصوبهم رأيًا واصحهم نظراً وأهداهم استدلالاً وأقومهم جدلاً وأتمهم فراسة ١ .هـ
فاعلم أيها القارئ الكريم أن هذا الكتاب هو عبارة عن معالجة لمسألة هى من أخطر مسائل الاعتقاد التى تفرق المسلمون حولها منذ أن وجدت المعتزله حتى يومنا هذا ألا وهى مسألة العلو لله سبحانه وتعالى على خلقه الثابته بالكتاب والسنة المتواتره المدعم بشاهد الفطرة السليمة .

لقد جمع مؤلف هذا الكتاب (رحمه الله تعالى) من كتائب المسلمين وجيوشهم من أهل السنه والجماعه بدءاً من الصحابة الأجلاء حتى أهل اللغة وقف بهم ضد الباطل من أهل التعطيل والتجهم والتأويل .

فنرى المؤولة يؤولون الاستواء بالقهر والاستيلاء والنزول بنزول الأمر ، واليدين بالقدرتين أو النعمتين والقدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك من أهل الزيغ والضلال .

وأما اهل التعطيل الذين فروا من التأويل فوقعوا به فيما هو أشر منه بكثير . فهم ينكرون صفة علو الله على خلقه علوًا حقيقيًا يليق به تعالى .

فقالوا أيضًا : بنسبة الشريك لله فى خلقه يضاره فى أمره فان الاستيلاء لغه لا يكون إلا بعد المغالبة .

كما جاء عن الإمام اللغوى ابن الاعرابى حين قال رجلاً أمامه مفسرًا الاستواء بمعنى الاستيلاء .

قال الإمام : اسكت ، العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فايهما غلب قيل استولى والله تعالى لا مضاد له ، ١ .هـ

فنسأل المتأوله : من هو المضاد لله تعالى حتى تمكن الله من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه .

وهذا إلزام لا مخلص لهم منه إلا برفضهم التأويل ورجوعهم إلى تفسير السلف .

ولقد رأيت عند بعض المتأخرين . فى بعض رسائلهم كرسالة (العقائد)

قال : اتفق السلف والخلف على أصل التأويل : وهذا خطأ حيث ان السلف لم يتفقوا مع الخلف فى شيء من صفات الله تعالى التى أولوها .

وقال أيضًا فى رسالته أن الامام أحمد وهو من أئمة السلف أول بعض الصفات وذكر ثلاثه احاديث وهى حديث (الحجر الاسود) (ونفس الرحمن) (والقلوب بين اصبعين)

(قلت) ان كان نقل هذا الكلام من مكان فانه لم يتثبت من صحة المصدر الذى نقل عنه وقد نفى عنه هذا الكلام ابن القيم في كتابه العظيم (مختصر الصواعق المرسله) وقد تم تحقيقه بحمد الله وهو الآن تحت الطبع بدار الحديث وفى نهاية رسالته يقول : والأمر هين كما ترى ولا يجب الخلاف وحضّ على تجميع المسلمين .

(قلت) سبحان الله تعالى هين فى مسألة من اهم مسائل العقيده حيث انهم يثبتون لله بعض الصفات ويؤولون الأخرى .

وقد شمر لهذا الموضوع من العلم جهابذته يردون على اهل التأويل والتعطيل منهم

كتابنا هذا وكتاب « مختصر الصواعق » للمؤلف ايضًا . وغيره من كتب السلف فى العقيده .

فان ضرر التأويل على أهله وحمله إياهم على الانحراف عن الشرع مما لا حدود له ، فلولاه لم يكن للقائلين بوحدة الوجود اليوم وجود ولا لاخوانهم القرامطة الباطنيه من قبل الذين أنكروا الشريعة وكل ما فيها من حقائق كالجنة والنار والصلاه والحج ويتأولونها وجملة القول فى التأويل الذى تمسك به الخلف وهو عند بعض الناس هين فهو كما قال مؤلفنا فى قصيدته النونيه .

هـــذا وأصـــل بليـــة الإســـلام من تـــأويـــل ذى التحريف والتعطيـــل

وايضًا انه مما يؤسف له شديد الأسف ان المذهب السائد اليوم على السنة الناس عامتهم وخاصتهم الذين انحرفوا عن عقيدة السلف الصالح فما تكاد تجلس فى مجلس يدار فيه ذكر الله تعالى إلا بادرك أحدهم بقوله (الله موجود فى كل مكان) ويقول آخر (الله موجود فى كل الوجود) .

أما أهل السنة والجماعه الذين ساروا على نهج الصحابة والتابعين والسلف الصالح فهم يقولون الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه

وكما قال احد الشعراء الافاضل الذين استشهد بهم المؤلف فى كتابه .

نقر بـــان اللـــه جـل جـلالـــه سميـــع لأقـــوال العبـــاد بصير
ويطـوى السمـوات العـلا بيمينـه وذلـــك فى وصف القـــوى يسير
وخـاطب مـوسى بـالكـلام مكلمـاً فخر صريعـاًإذ تقطـع طـور(يعنى جبل طور)
وخـط لـه التـوراه فيهـا مـواعـظ فـلا حث على الألـواح منـه زبـور
وأن قلـوب الخلـق بين أصـابـع الإلـه فمنهـا ثـابت ونفـور
ونثبت فى الأخرى لرؤيـة ربنـا حـديثـاً رواه فى الصحيـج جرير
وأى نعيم فى الجنـان لأهلهـا وأنّى لهم لـو لم يروه سرور

واخيرًا اسأل الله أن يلهمنا الرشد والسداد على طريق الحق ويتغمدنا بفيض كرمه وعفوه وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم .

(عملى فى الكتاب)

١ - تخريج الايات القرانيه التى وردت فى الكتاب .

٢ - تخريج الأحاديث والآثار مع عزوها الى مصادرها من كتب السنة الصحيحه وغيرها من كتب اللغه والتفسير .

٣ - ترجمه لبعض الاعلام التى وردت فى الكتاب وليست كلها لشهرة أصحابها الاعلام .

٤ - تصحيح بعض الكلمات التى وقعت خطأ فى الأصل .

٥ - شرح غريب الكلمات .

والله اسأل أن يبصرنا بعيوبنا
ويرشدنا إلى الصواب
أبــو حفــص
سيد إيراهيم صادق عمران

المنيا / كفر المنصورة

فى ٢٢ شوال سنة ١٤١١ هـ
٧ مايو سنة ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الله سبحانه المسئول المرجو أن يمتعكم بالإسلام والسنة والعافية ، فإن سعادة الدنيا والآخرة ونعيمهما وفوزهما مبنى على هذه الأركان الثلاثة وما اجتمعن فى عبد بوصف الكمال إلا وقد كملت نعمة الله عليه : وإلا فنصيبه من نعمة الله بحسب نصيبه منها

والنعمة نعمتان : نعمة مطلقة ونعمة مقيدة ، فالنعمة المطلقة هى المتصلة بسعادة الأبد وهى الإسلام والسنة ، وهي التى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها ، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً** ﴾[1] فهؤلاء الاصناف الأربعه هم أهل هذه النعمة المطلقة ، وأصحابها أيضًا هم المعنيون بقول الله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] فأضاف الدين إليهم إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم .

والدين تارة يضاف إلى العبد وتارة يضاف إلى الرب فيقال الإسلام دين الله الذى لا يقبل من أحد دينًا سواه ، ولهذا يقال فى الدعاء : اللهم انصر دينك الذى أنزلت من السماء ، ونسب الكمال إلى الدين ، والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه لأنه هو وليها ومسديها إليهم ، وهم محل محض النعمة قابلين لها ، ولهذا يقال فى الدعاء المأثور للمسلمين : واجعلهم مثنين بها عليك قابليها وأتممها عليهم .

وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبة إليهم فقال ﴿ **أكملت لكم دينكم** ﴾ وكان الإكمال فى جانب الدين والتمام فى جانب النعمة ، واللفظتان وإن تقاربتا وتواخيتا فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل : فأن الكمال أخص بالصفات والمعانى ويطلق على الأعيان والذوات ولكن باعتبار صفاتها وخواصها كما قال النبى ﷺ : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم

---

(١) النساء / ٦٩ .

(٢) المائدة / ٣ .

وخديجة بنت خويلد »[٣] وقال عمر بن عبد العزيز إن للإيمان حدوداً وفرائض وسنناً وشرائع فمن استكملها فقد استكمل الإيمان . وأما التمام فيكون في الأعيان والمعانى ، ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعان . وأما دينه فهو شرعه المتضن لأمره ونهيه ومحابه ، فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن ، كما كانت إضافة الدين إليهم ، والنعمة إليه أحسن .

والمقصود أن هذه النعمة المطلقة ، وهي التى اختصت بالمؤمنين وإذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح .

والنعمة الثانية النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وتبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة ، وأمثال هذه فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر ، وإذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق ، فلا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراجاً للكافر ، ومآلها إلى العذاب والشقاء فكأنها لم تكن نعمة ، وإنما كانت بلية كما سماها الله تعالى فى كتابه كذلك فقال تعالى ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا** ﴾[٤] أى ليس كل من أكرمته فى الدنيا ونعمته فيها فقد أنعمت عليه وإنما كان ذلك ابتلاء منى له واختبارًا ، ولا كل من قدرت عليه رزقه فجعلته بقدر حاجته من غير فضلة أكون قد أهنته ، بل أبتلى عبدى بالنعم كما أبتليه بالمصائب .

(فإن قيل) : كيف يلتئم هذا المعنى ويتفق مع قوله ﴿ **فأكرمه** ﴾ فأثبت له الإكرام ثم أنكر عليه قوله ﴿ **ربى أكرمن** ﴾ وقال ﴿ **كلا** ﴾ أي ليس إكرامًا منى وإنما هو ابتلاء فكأنه أثبت له الإكرام ونفاه .

قيل الإكرام المثبت غير المنفى ، وهما من جنس النعمة المطلقة والمقيدة ، فليس هذا الإكرام المقيد بموجب لصاحبه أن يكون من أهل الإكرام المطلق ، وكذلك أيضًا إذا قيل أن

---

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب « الأنبياء» (٩ / ح ٣٤١١) من حديث أبى موسى رضى الله عنه . وليس فيه (خديجة بنت خويلد) ومسلم فى كتاب « فضائل الصحابة »(٤ /٧٠ / ح ٢٤٣١ / ص ١٨٨٦) بلفظ البخارى .
وذكره الهيثمى فى « المجمع » بتامه (٩ / ٢٢٣) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى ورجالهم رجال الصحيح .
وذكره ابن حجر فى « الفتح » (٩ / ٥١٥ / ريان) وحسنه .

(٤) الفجر / ١٥ : ١٦ .

الله أنعم على الكافر نعمة مطلقة ولكنه رد نعمة الله وبدلها فهو بمنزلة من أعطى ما لا يعيش به فرماه فى البحر كما قال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً** ﴾[٥] وقال تعالى ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾[٦] فهدايته إياهم نعمة منه عليهم ، فبدلوا نعمة الله وآثروا عليها الضلال فهذا فصل النزاع فى مسئلة (هل لله على الكافر نعمة أم لا) وأكثر اختلاف الناس من جهتين إحداهما اشتراك الألفاظ وإجمالها . والثانية من جهه الإطلاق والتفصيل .

(فصل) وهذه النعمة المطلقة هى التى يفرح بها فى الحقيقة والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يحب الفرحين قال الله تعالى ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[٧] وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته الإسلام والسنة : وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما : وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً حتى أن القلب إذا باشر روح السنةليرقص فرحاً أحزن ما يكون الناس ، فإن السنة حصن الله الحصين الذى من دخله كان من الآمنين ، وبابه الأعظم الذى من دخله كان إليه من الواصلين ، تقوم بأهلها وأن قعدت بهم أعمالهم ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم : وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة . قال تعالى ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾[٨] قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف . وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق ، وهى الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه ، قال تعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[٩] فصاحب السنة حى القلب مستنيره وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه .

وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين فى كتابه فى غير موضع . وجعلهما صفة أهل الإيمان ، وجعل ضدهما صفة من خرج عن الإيمان ، فأن القلب الحى المستنير هو الذى عقل عن الله وفهم عنه وأذعن وانقاد لتوحيده ومتابعة ما بعث به رسولهﷺ ، والقلب الميت المظلم الذى لم يعقل عن الله ولا انقاد لما بعث به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا يصف سبحانه هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء ، وبأنهم فى الظلمات لا

---

(٥) إبراهيم /٢٨ .
(٦) فصلت /١٧ .
(٧) يونس /٥٨ .
(٨) آل عمران /١٠٦ .
(٩) الأنعام / ١٢٢ .

يخرجون منها ، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم فى جميع جهاتهم فقلوبهم مظلمة ترى الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة وأحوالهم كلها مظلمة ، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة وإذا قسمت الأنوار دون الجسر للعبور عليه بقوافى الظلمات ومدخلهم فى النار مظلم . وهذه الظلمة هى التى خلق فيها الخلق أولاً ، فمن أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجه منها إلى النور ومن أراد به الشقاوة تركه فيها كما روى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول جف القلم على علم الله »[١٠] . وكان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً فى قلبه وسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه وعظامه ودمه ، ومن فوقه ومن تحته ، وعن شماله وخلفه وأمامه ، وأن يجعل ذاته نوراً ، فطلب ﷺ النور لذاته ولأبعاضه ولحواسه الظاهرة والباطنة ولجهاته الست .

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه : المؤمن مدخله من نور ومخرجه من نور وقوله نور وعمله نور ، وهذا النور بحسب قوته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة فيسعى بين يديه ويمينه ، فمن الناس من يكون نوره كالشمس وآخر كالنجم وآخر كالنخلة السحوق وآخر دون ذلك حتى أن منهم من يعطى نوراً على رأس إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدنيا كذلك ، فهو هذا بعينه يظهر هناك للحس والعيان . قال تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا** ﴾[١١] فسمى وحيه وأمره روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح وسماه نوراً لما يحصل به من الهدى واستنارة القلوب والفرقان بين الحق والباطل .

وقد اختلف في الضمير في قوله عز وجل ﴿ **ولكن جعلناه نوراً** ﴾ فقيل يعود على الكتاب وقيل على الإيمان ، والصحيح أنه يعود على الروح في قوله ﴿ **روحاً من أمرنا** ﴾ فأخبر تعالى أنه جعل أمره روحاً ونوراً وهدى . ولهذا ترى صاحب اتباع الأمر

---

(١٠) أخرجه الترمذى فى « الإيمان » (٥ / ح ٢٦٤٢) وقال أبو عيسى : حديث حسن ورواه أحمد فى « مسنده » (٢ / ١٧٦ ، ١٩٧) والحاكم فى « المستدرك » (١ / ٣٠) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان فى « صحيحه » (٨ / ١٦ / ح ٦١٣٦ / إحسان) .

وذكره الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (١٧٦٤) وقال : صحيح .

(١١) الشورى /٥٢ .

والسنة قد كسي من الروح والنور وما يتبعهما من الحلاوة والمهابة والجلالة والقبول ما قد حرمه غيره ، كما قال الحسن رحمه الله « إن المؤمن من رزق حلاوة ومهابة » وقال تعالى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** ﴾[١٢] فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خلقوا فيه من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم . وكلما أشرق لهم نور النبوة والوحي وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصدوهم ؛ فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات ، وقال تعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾[١٣] فإحياؤه سبحانه وتعالى بروحه الذي هو وحيه وهو روح الإيمان والعلم وجعل له نوراً يمشي به بين أهل الظلمة كما يمشي الرجل بالسراج المضيء في الليلة الظلماء ، فهو يرى أهل الظلمة في ظلامتهم وهم لا يرونه ، كالبصير الذى يمشي بين العميان .

(**فصل**) والخارجون عن طاعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومتابعتهم يتقلبون فى عشر ظلمات : ظلمة الطبع ، وظلمة الجهل ، وظلمة الهوى ، وظلمة القول ، وظلمة العمل ، وظلمة المدخل . وظلمة المخرج ، وظلمة القبر ، وظلمة القيامة ، وظلمة دار القرار . فالظلمة لازمه لهم فى دورهم الثلاثة ، وأتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يتقلبون فى عشرة أنوار ؛ ولهذه الأمة من النور ما ليس لأمة غيرها ولنبيها ﷺ من النور ما ليس لنبى غيره ، فإن لكل نبى منهم نورين ولنبينا ﷺ تحت كل شعرة من رأسه وجسده نور تام ، كذلك صفته وصفة أمته فى الكتب المتقدمة . وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾[١٤] وفى قوله تمشون به إعلام بأن تصرفهم وتقلبهم الذى ينفعهم إنما هو بالنور، وأن مشيهم بغير النور غير مجد عليهم ولا نافع لهم ؛ بل ضرره أكثر من نفعه ، وفيه أن أهل النور هم أهل المشى فى الناس ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع ، فلا مشى لقلوبهم ولا لأحوالهم ولا لأقوالهم ، ولا لأقدامهم إلى الطاعات ، وكذلك لا تمشى على الصراط إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم . وفى قوله ﴿ **تمشون به** ﴾ نكتة بديعة ، وهى أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم كما يمشون بها بين الناس فى الدنيا ، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط فلا يستطيع المشى أحوج ما يكون إليه .

---

(١٢) البقرة /٢٥٧ .

(١٣) الأنعام /١٢٢ .

(١٤) الحديد /٢٨ .

(**فصل**) والله سبحانه وتعالى سمى نفسه نوراً ، وجعل كتابه نوراً ، ورسوله ﷺ نوراً ودينه نوراً . واحتجب عن خلقه بالنور ، وجعل دار أوليائه نوراً يتلألأ . قال تعالى ﴿ **الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** ﴾[١٥] وقد فسر قوله تعالى ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ بكونه منور السماوات والأرض ، وهادى أهل السماوات والأرض ، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض ، وهذا إنما هو فعله ، وإلا فالنور الذى هو من أوصافه قائم به ، ومنه اشتق له اسم النور الذى هو أحد الأسماء الحسنى ، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين ، إضافة صفة إلى موصفها وإضافة مفعول إلى فاعله ، فالأول كقوله عز وجل ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها** ﴾[١٦] فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء . ومنه قول النبى ﷺ فى الدعاء المشهور : « أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلنى لا إله إلا أنت[١٧] . وفى الأثر الآخر : « أعوذ بوجهك أو بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات »[١٨] . فأخبر ﷺ أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله ؛ كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره .

وفي معجم الطبرانى والسنة له وكتاب عثمان الدارمى وغيرها عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السماوات والأرض من نور وجهه »[١٩]، وهذا الذى قاله ابن مسعود رضى الله عنه أقرب إلى تفسير الآية ، ن قول من فسرها بأنه هادى أهل السماوات والأرض ، وأما من فسرها بأنه منور السماوات والأرض فلا تنافى بينه وبين قول ابن مسعود ، والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها .

---

(١٥) النور /٣٥ .

(١٦) الزمر /٦٩ .

(١٧) أخرجه مسلم فى« الذكر » (٤ / ح ٢٧١٧ / ص ٢٠٨٦) من حديث ابن عباس .

(١٨) وهو جزء من دعاء الطائف المشهور .

رواه ابن جرير الطبرى (١ /٨٠ - ٨١) والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر مختصرًا وقال الهيثمى فى « المجمع » (٦/ ٣٥) فيه ابن إسحق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات .

وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » رقم (١٢٨٠) وقال : ضعيف .

ذكره الهيثمى من حديث ابن مسعود موقوتاً (١ / ٨٥) وقال رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو عبد السلام . قال أبو حاتم مجهول وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره . فالحديث إسناده ضعيف . والله أعلم .

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ،حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[٢٠] وفى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال نور أنَّى أراه[٢١] ، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله يقول معناه كان ثم نور ، وحال دون رؤيته نور فأنَّى أراه . قال ويدل عليه أن فى بعض الألفاظ الصحيحة : « هل رأيت ربك ؟ فقال رأيت نوراً وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال (نورانى أراه) على أنها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة ، وهذا خطأ لفظاً ومعنى ، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله (أنَّى أراه) كالإنكار للرؤية حاروا فى الحديث ؛ ورده بعضهم باضطراب لفظه ، وكل هذا عدول عن موجب الدليل . وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى فى كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج وبعضهم استثنى ابن عباسٌ فيمن قال ذلك وشيخنا يقول : ليس ذلك بخلاف فى الحقيقة ، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعينى رأسه .

وعليه اعتمد أحمد فى إحدى الروايتين حيث قال إنه ﷺ رآه عز وجل ولم يقل بعينى رأسه ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضى الله عنه ويدل على صحة ما قال شيخنا فى معنى حديث أبى ذر رضى الله عنه قوله ﷺ فى الحديث الآخر « حجابه النور » فهذا النور هو « والله أعلم » النور المذكور فى حديث أبى ذر رضى الله عنه « رأيت نوراً »[٢٢] .

(فصل) وقوله تعالى﴿ **مثل نوره كمشكاة فيها مصباح** ﴾[٢٣] هذا مثل لنوره فى قلب عبده المؤمن كما قال أبى بن كعب وغيره ، وقد اختلف فى مفسر الضمير فى « نوره » فقيل هو النبى ﷺ أى مثل نور محمد ﷺ وقيل مفسره المؤمن أى مثل نور المؤمن ، والصحيح أنه

---

(٢٠) أخرجه مسلم فى كتاب « الإيمان » (١ / ح ١٧٩ / ص ١٦١) وابن ماجه فى « المقدمة » (١ / ح ١٩٥) وأحمد فى « مسنده » (٤ / ٣٩٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٥) . من حديث أبى موسى الأشعرى .

(٢١) أخرجه مسلم فى « الإيمان » (١ / ح ١٧٨ / ص ١٦١) . من حديث أبى ذر والترمذى فى « التفسير (٥ / ح ٣٢٨٢) وأحمد فى « مسنده » (٥ / ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٥) من حديث أبى ذر .

(٢٢) أخرجه مسلم فى « الإيمان » (١ / ح ١٧٩ / ص ١٦١) .
من حديث ابى ذر . وأحمد فى « مسنده » (٥ / ١٤٧) من حديث أبى ذر وفى آخره « أنى أراه » .

(*) ثم : هناك .

(٢٣) النور / ٣٥ .

يعود على الله سبحانه وتعالى ، والمعنى مثل نور الله سبحانه وتعالى فى قلب عبده وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور وهو وجه الكلام يتضمن التقادير الثلاثة ، وهو أتم لفظاً ومعنى .

وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله فيضاف إلى الفاعل والقابل ولهذا النور فاعل ومقابل ومحل وحامل ومادة وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل ؛ فالفاعل هو الله تعالى مفيض الأنوار الهدى لنوره من يشاء ، والقابل العبد المؤمن والمحل قلبه والحامل همته وعزيمته إرادته ، والمادة قوله وعمله ، وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الاسرار والمعانى وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم .

وفى هذا التشبيه لأهل المعانى طريقتان (إحداهما) طريقة التشبيه المركب وهى أقرب مأخذاً وأسلم من التكلف وهى أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه مقابلته بجزء من المشبه به ، وعلى هذا عامة أمثال القرآن ، فتأمل صفة المشكاة ، وهى كوة تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها مصباح ، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرى فى صفائها وحسنها ، ومادته من أصفى الأدهان وأتمها وقوداً ،

من زيت شجرة فى وسط القراح(*) لا شرقية ولا غربية بحيث تصيبها الشمس فى إحدى طرفى النهار بل هى فى وسط القراح محمية بأطرافه تصيبها الشمس أعدل إصابة والآفات إلى الأطراف دونها ، فمن شدة زيتها وصفائها وحسنها يكاد يضىء من غير أن تمسه نار . فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذى وضعه فى قلب عبده المؤمن وخصه به .

والطريقة الثانية طريقة التشبيه المفصل ، فقيل المشكاة صدر المؤمن والزجاجة قلبه ، شبه قلبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها ، وكذلك قلب المؤمن فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة ، فهو يرحم ويحسن ويتحنن ، ويشفق على الخلق برقته وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هى عليه ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء ، وبصلابته يشتد فى أمر الله تعالى ويتصلب فى ذات الله تعالى ، ويغلظ على أعداء الله تعالى ، ويقوم بالحق لله تعالى ، وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية ، كما قال بعض السلف « القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها » والمصباح هو نور الإيمان فى قلبه والشجرة

(*) القراح : الماء الذى لا يُخالِطه شَىْء من تسويق ولا غير وهو الماء الذى يُشرب إثر الطعام .
(لسان العرب ٢ / ٥٦١) .

المباركة هى شجرة الوحى المتضمنة للهدى ودين الحق وهى مادة المصباح التى يتقد منها والنور على النور، نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونور الوحى والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع فى قلبه ونطق به فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحى فيريه عقله وفطرته وذوقه الذى جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل البته بل يتصادقان ويتوافقان .

فهذا علامة النور على النور عكس من تلاطمت فى قلبه أمواج الشبه الباطلة والخيالات الفاسدة من الظنون الجهليات التى يسميها أهلها القواطع العقليات فهى فى صدره ﴿ **كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[٢٤] فانظر كيف انتظمت هذه الآيات طرائق بنى آدم أتم انتظام، واشتملت عليه أكمل اشتمال فإن الناس قسمان أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالى وإن كل ما عارضه فشبهات يشتبه على من قل نصيبه من العقل والسمع أمرها فيظنها شيئاً له حاصل ينتفع به وهى ﴿ **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[٢٥] وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق أصحاب العلم النافع والعمل الصالح، الذين صدقوا الرسول ﷺ فى أخباره ولم يعارضوها بالشبهات وأطاعوه فى أوامره ولم يضيعوها بالشهوات، فلا هم فى علمهم من أهل الخوض الخراصين الذين هم فى غمرة ساهون ولا هم فى عملهم من المستتعين بخلاقهم الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون . أضاء لهم نور الوحى المبين فرأوا فى نوره أهل الظلمات فى ظلمات آرائهم يعمهون، وفى ضلالتهم يتهوكون، وفى ريبهم مغترين بظاهر السراب ممحلين مجدبين مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من الحكمة وفصل الخطاب إن عندهم إلا نخالة الأفكار وزبالة الأذهان التى قد رضوا بها وأطمأنوا إليها وقدموها على السنة والقرآن ﴿ **إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه** ﴾[٢٦] أوجبه لهم اتباع الهوى ونخوة الشيطان وهم لأجله يجادلون فى آيات الله بغير سلطان .

---

(٢٤) النور / ٤٠ .

(٢٥) النور / ٣٩ : ٤٠ .

(٢٦) غافر / ٥٦ .

(**فصل**) **القسم الثانى** : أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾[٢٧] وهؤلاء قسمان أحدهما الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال ، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله وينصرون الباطل ويوالون أهله وهم يحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون ، فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائى السراب الذى يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذى يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو الحال من أم السراب فلم يجده ماء بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العادلين سبحانه وتعالى فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر ، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباءً منثوراً إذ لم يكن خالصاً لوجهه ولا على سنة رسوله ﷺ وصارت تلك الشبهات الباطلة التى كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباءا منثور فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه ، والسراب ما يرى فى الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجرى والقيعة والقاع هو المنبسط من الأرض الذى لا جبل فيه ولا فيه واد فشبه علوم من لم يأخذ علومه من الوحى وأعماله بسراب يراه المسافر فى شدة الحر فيؤمه فيخيب ظنه ويجده ناراً تلظى ، فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس واشتد بهم العطش بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء فإذا أتوه وجدوا الله عنده فأخذتهم زبانية العذاب فعتلوهم إلى نار الجحيم فسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم وذلك الماء الذى سقوه هو تلك العلوم التى لا تنفع ، والأعمال التى كانت لغير الله تعالى صيرها الله تعالى حميماً سقاهم إياه كما أن طعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التى كانت فى الدنيا كذلك لا يسمن ولا يغنى من جوع وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون** ﴾[٢٨] وهم الذين عنى بقوله ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** ﴾[٢٩] وهم الذين عنى بقوله تعالى ﴿ **كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾[٣٠] .

والقسم الثاني من هذا الصنف أصحاب الظلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه ، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلاً ؛ فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير

---

(٨٢) سورة النجم / ٢٣ ، ٢٨ .

(٢٩) الفرقان / ٢٣ .

(٧٢) سورة النجم / ٣٢ .

(٣٠) البقرة / ١٦٧ .

بصيرة بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى كظلمات جمع ظلمة وهي ظلمة الجهل ، وظلمة الكفر ، وظلمة الظلم ، واتباع الهوى ، وظلمة الشك والريب ، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور ، فإن المعرض عما بعث الله تعالى محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات . قوله ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمة وقلبه مظلم ووجهه مظلم وكلامه مظلم وحاله مظلم ؛ وإذا قابلت بصيرته الخفاشية(*) ما بعث الله به محمداً ﷺ من النور جد فى الهرب منه ، وكاد نوره يخطف بصره ، فهرب إلى ظلمات الآراء التى هى به أنسب وأولى كما قيل :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان ، جال ومال وأبدى وأعاد وقعقع وفرقع ، فإذا طلع نور الوحى وشمس الرسالة انحجز فى حجرة الحشرات .

وقوله ﴿ **فى بحر لجى** ﴾ اللجي العميق منسوب إلى لجة البحر وهو معظمه ، وقوله تعالى ﴿ **يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب** ﴾ تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه ، فشبه تلاطم أمواج الشبه والباطل فى صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر ، وأنها أمواج بعضها فوق بعض ، والضمير الأول فى قوله ﴿ **يغشاه** ﴾ راجع إلى البحر والضمير الثانى فى قوله ﴿ **من فوقه** ﴾ عائد إلى الموج ، ثم إن تلك الأمواج مغشاة بسحاب ، فهنا ظلمات : ظلمة البحر اللجى ، وظلمة الموج الذى فوقه ، وظلمة السحاب الذى فوق ذلك كله ، إذا أخرج من فى هذا البحر يده لم يكد يراها واختلف فى معنى ذلك فقال كثير من النحاة : هو نفى لمقاربة رؤيتها وهو أبلغ من نفيه الرؤية ، وأنه قد ينفى وقوع الشيء ، ولا تنفى مقاربته فكأنه قال لم يقارب رؤيتها بوجه ، قال هؤلاء : كاد من أفعال المقاربة ، لها حكم سائر الأفعال فى النفى والإثبات ، فإذا قيل كاد يفعل ، فهو إثبات مقاربة الفعل ، فإذا الأفعال فى النفى والإثبات ، فإذا قيل كاد يفعل ، فهو إثبات مقاربة الفعل ، فإذا قيل لم يكد يفعل فهو نفى لمقاربة الفعل .

وقالت طائفة أخرى : بل هذا دال على أنه إنما يراها بعد جهد شديد ، وفى ذلك إثبات رؤيتها بعد أعظم العسر لأجل تلك الظلمات ، وقالوا لأن كاد لها شأن ليس لغيرها من

(*) الخفاشية : وهى من الخَفَش بفتحتين صغر العين وضعف فى البصر خلقةً .
(مختار الصحاح / مادة : خ ف ش)

الأفعال فإنها إذا أثبتت نفت ، وإذا نفت أثبتت ، فإذا قلت ما كدت أصل إليك فمعناه وصلت إليك بعد الجهد والشدة ، فهذا إثبات للوصول وإذا قلت كاد زيد يقوم فهي نفي لقيامه كما قال تعالى ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً** ﴾[٣١] ومنه قوله تعالى ﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم** ﴾[٣٢] وأنشد بعضهم في ذلك لغزاً .

أنحوى هذا العصر ما هى لفظة ... جرت فى لسان جرهم وثمود
إذا استعملت فى صورة النفى أثبتت ... وإن أثبتت قامت مقام جحود

وقالت فرقة ثالثة منهم أبو عبد الله بن مالك وغيره : إن استعمالها مثبتة يقتضى نفى خبرها كقولك كاد زيد يقوم ، واستعمالها منفية يقتضى نفيه بطريق الأولى فهى عنده تنفى الخبر سواء كانت منفية أو مثبتة ، فلم يكد زيد يقوم ، أبلغ عنده فى النفى من (لم يقم) واحتج بأنها إذا نفت وهى من أفعال المقاربة فقد نفت مقاربة الفعل وهو أبلغ من نفيه ، وإذا استعملت مثبتة فهى تقتضي مقاربة اسمها لخبرها وذلك يدل على عدم وقوعه ، واعتذر عن مثل قوله تعالى ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾[٣٣] وعن مثل قوله : وصلت إليك وما كدت أصل ، وسلمت وما كدت أسلم بأن هذا وارد على كلامين متباينين ، أى فعلت كذا بعد أن لم أكن مقارباً له فالأول يقتضى وجود الفعل ، والثانى يقتضى أنه لم يكن مقارباً له بل كان آيساً منه فهما كلامان مقصود بهما أمران متباينان .

وذهبت فرقة رابعة إلى الفرق بين ماضيها ومستقبلها ، فإذا كانت فى الإثبات فهى لمقاربة الفعل سواء كانت بصيغة الماضى أو المستقبل وإن كانت فى طرف النفى فإن كانت بصيغة المستقبل كانت لنفى الفعل ومقاربته نحو قوله ﴿ **لم يكد يراها** ﴾[٣٤] وإن كانت بصيغة الماضى فهي تقتضى الإثبات نحو قوله ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ فهذه أربعة طرق للنحاة فى هذه اللفظة والصحيح أنها فعل يقتضى المقاربة ولها حكم سائر الأفعال ، ونفى الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها ، فأنها لم توضع لنفيه وإنما استفيد من لوازم معناها فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل لم يكن واقعاً فيكون منفياً باللزوم وأما إذا استعملت منفية فإن كانت فى كلام واحد فهى لنفى المقاربة ، كما إذا قلت لا يكاد البطال يفلح ولا يكاد البخيل يسود ولا يكاد الجبان يفرح ونحو ذلك ، وإن كانت فى كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقارباً كما قال ابن مالك ، فهذا التحقيق فى أمرها .

---

(٣١) الجن / ١٩ .
(٣٢) القلم / ٥١ .
(٣٣) البقرة / ٧١ .
(٣٤) النور / ٤٠ .

والمقصود أن قوله ﴿ **لم يكد يراها** ﴾ إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة وهو الأظهر ، فإذا كان لا يقارب رؤيتها فكيف يراها . قال ذو الرمة :[٣٥]

إذَا غَيَّرَ النَّـــــأىُ المُحِبِّينَ لم يَكَـــــدْ رَسِيسَ الهَـوَى من حُبِ مَيَّـــــةَ يَبْرَحُ[٣٦]

أى لم يقارب البراح وهو الزوال فكيف يزول ، فشبه سبحانه أعمالهم أولاً فى فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمله ورجاه ، وشبهها ثانياً فى ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات متراكمة فى لجج البحر المتلاطم الأمواج الذى قد غشيه السحاب من فوقه .

فياله تشبيهاً ما أبدعه وأشد مطابقته بحال أهل البدع والضلال وحال من عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث به رسوله ﷺ وأنزل به كتابه ، وهذا التشبيه هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم ، وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم فهى سراب لا حاصل لها وظلمات لا نور فيها ، وهذا عكس مثل أعمال المؤمن وعلومه التى تلقاها من مشكاة النبوة فإنها مثل الغيث الذى به حياة البلاد والعباد ومثل النور الذى به انتفاع أهل الدنيا والآخرة ، ولهذا يذكر سبحانه هذين المثلين فى القرآن فى غير موضع لأوليائه وأعدائه ، كما ذكرهما فى سورة البقرة فى قوله تعالى ﴿ **مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون** ﴾[٣٧] .

شبه سبحانه أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها ، فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم ، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين ، فهم

---

(٣٥) هو غيلان بن عقبة بن بُهَيس ويكنى أبا الحارث وهو من بنى صعب وكان ذو الرمّة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته مَيَّة بنت فلان بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سنان لما حضرته الوفاة البادية قال : انا ابن نصف الهرم أى أنا ابن أربعين وقال :

ياقابض الرُّوحِ من نفسى إذا أحْتَضَرَتِ وغافِرَ الذَّنْبِ زحزحْنى عن النارِ .

(٣٦) الرسيس / الشىء الثابت الذى قد لزم مكانه (قلت) وذكر البيت ابن منظور فى لسان العرب بهذا اللفظ فقال :

إذا غير النـــــــأى المحبين ، لم أجـــــد رسيس الهـــــــوى وكرمَيّـــــــة يبرح

(ترجمة فى الشعر والشعراء / ٣٥٠) (اللسان / ٦ / ٩٧)

٣٧) البقرة / ١٧ : ١٨ .

كقوم سفر ضلوا الطريق فأوقدوا النار تضيء لهم الطريق ، فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار وبقوا في الظلمات لا يبصرون ، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث ، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب . مما يسمعه بأذنه ويراه بعينه ويعقله بقلبه ، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى فلا تسمع قلوبهم شيئاً ولا تبصره ولا تعقل ما ينفعها ؛ وقيل لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نزلوا من لا سمع له ولا بصر ولا عقل . والقولان متلازمان ، وقال في صفتهم ﴿ **فهم لا يرجعون** ﴾ لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى ، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا وقال سبحانه وتعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ ولم يقل ذهب نورهم ، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإن الله تعالى مع المؤمنين وإن الله مع الصابرين وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ؛ فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم . فليس لهم نصيب من قوله ﴿ **لا تحزن إن الله معنا** ﴾[٣٨] ولا من ﴿ **كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾[٣٩]

وتأمل قوله تعالى ﴿ **أضاءت ما حوله** ﴾ كيف جعل ضوئها خارجاً عنه منفصلاً ولو اتصل ضوئها به ولابسه لم يذهب ، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة ، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية ، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمه في معدنها ، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجه من الله قائمة وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولي الألباب من عباده .

وتأمل قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية . فإن النار فيها إشراق وإحراق ، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور ؛ وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية . وتأمل كيف قال بنورهم ولم يقل بضوئهم مع قوله ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ لأن الضوء هي زيادة في النور فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته .

وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم وإنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم ، وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه نوراً ورسوله ﷺ نوراً ودينه نوراً وهداه نوراً ومن أسمائه النور والصلاة نور ، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله ، وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ﴾[٤٠]

---

(٣٨) التوبة / ٤٠ .

(٣٩) الشعراء / ٦٢ .

(٤٠) البقرة / ١٦ .

كيف طابق هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلاله والرضى بها ، وبدل الهدى في مقابلتها ، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور ، فبدلوا الهدى والنور وتعوضو عنه بالظلمة والضلالة فيالها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها[٤١] .

وتأمل كيف قال الله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ فوحده ثم قال ﴿ **وتركهم فى الظلمات** ﴾ فجعلها فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذى لا صراط يوصل إليه سواه ، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل فإنها متعددة متشبعة ، ولهذا يفرد سبحانه الحق ويجمع الباطل ، كقوله تعالى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** ﴾[٤٢] وقال تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[٤٣] فجمع سبل الباطل ووحد سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالى ﴿ **يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾[٤٤] فإن تلك هى طرق مرضاته التى يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد وهى سبيله التى لا سبيل إليه إلا منها وقد صح عن النبى ﷺ أنه خطاً مستقيماً وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[٤٥] .

وقد قيل إن هذا مثل للمنافقين وما يوقدونه من نار الفتنة التى يوقعوها بين أهل الإسلام

---

(٤١) غبنها : الغبن فى البيع والشراء : الوَكْسُ وغبنه فى البيع : خدعه . (اللسان / ١٣ / ٣١٠)

(٤٢) البقرة / ٢٥٧ .

(٤٣) الأنعام / ١٥٣ .

(٤٤) المائدة / ١٦ .

(٤٥) أخرجه أحمد فى « مسنده » (١ / ٤٣٥ ، ٤٦٥) والدارمى فى « المقدمة » (١ / ح ٢٠٢ / ريان) والحاكم فى المستدرك (٢ / ٣١٨) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه والبغوى فى « مصابيح السنة » (١ / ح ١٣٠) وحسنه الألبانى فى « مشكاة المصابيح » (١ / ح ١٦٦) .

ويكون بمنزلة قول الله تعالى ﴿ **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** ﴾ ويكون قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ مطابقاً لقوله تعالى ﴿ **أطفأها الله** ﴾ ويكون تخييبهم وإبطال ما راموه هو تركهم فى ظلمات الحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون سبيلاً بل هم صم بكم عمى ، وهذا التقدير وإن كان حقاً ففى كونه مراداً بالآية نظر ، فإن السياق إنما قصد لغيره ويأباه قوله تعالى ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ وموقد نار الحرب لا يضىء ما حوله أبداً ، ويأباه قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ وموقد نار الحرب لا نور له ويأباه قوله تعالى ﴿ **وتركهم فى ظلمات لا يبصرون** ﴾ وهذا يقتضى أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة إلى ظلمة الشك والكفر . قال الحسن رحمه الله : هو المنافق أبصر ثم عمى وعرف ثم أنكر ولهذا قال ﴿ **فهم لا يرجعون** ﴾ أى لا يرجعون إلى النور الذى فارقوه ، وقال تعالى فى حق الكفار ﴿ **صم بكم عمى فهم لا يعقلون** ﴾ فسلب العقل عن الكفار إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان ، وسلب الرجوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا فلم يرجعوا إلى الإيمان .

فصـــل .

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلاً آخر مائياً فقال تعالى ﴿ **أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** ﴾(*) فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب المستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها وذهب نوره وبقي في الظلمات حائراً تائهاً لا يهتدي سبيلاً ولا يعرف طريقاً ؛ وبنصيب أصحاب الصيب وهو المطر الذي يصوب ، أي ينزل من علو إلى أسفل ، فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب ، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، ونصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب ألا ظلمات ورعد وبرق ، ولا نصيب له فيما وراء ذلك مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب ، وأن تلك الظلمات التي فيه وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب ، فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره وصانع عن صنعته ، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام . وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراء من كل محبوب .

وهذا حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته ، فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة وملامة اللوام ومعاداة من يخاف معاداته ، لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة والغايات التي إليها تسابق المتسابقون ، وفيها تنافس المتنافسون . وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر ومفارقة الأهل والوطن ، ومقاساة الشدائد وفراق المألوفات ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه . وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والإيمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد والزواجر والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات ، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه ؛ والناس كلهم صبيان العقول إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء وأدراك الحق علماً وعملاً ومعرفة ،فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ، ويعلم أنه حياة الوجود .

وقال الزمخشري[٤٦] :لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الإقراع من البلايا والفتن من جهه أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى أو كمثل ذوي صيب ، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا .قال والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه : إن المثلين جميعاً من جهة التمثلات المتركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد شيء بقدر شبهته فيه . وهذا القول الفصل والمذهب الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم تأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها، كقوله تعالى ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾[٤٧] الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة ؛ وتساوي الحالين عند من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيد فيه من الكد والتعب وكقوله تعالى ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح** ﴾[٤٨] المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض وتصييرها شيئاً واحداً فلا . كذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

(*) البقرة / ١٩ .

(٤٦) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ، الإمام الكبير فى التفسير ، كان قد سافر إلى مكة وجاور بها زمانا ، فصار يقال له « جار الله » لذلك وأن احدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشى فى جاون خشب ، وكان معتزلى الاعتقاد متظاهراً به أول ما صنف كتاب « الكشاف » كتب استفتاح الخطبة « الحمد لله الذى خلق القرآن » فيقال إنه قيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه ، فغيره بقوله « الحمد لله الذى جعل القرآن » وجعل عندهم بمعنى خلق وكانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر . وتوفى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائه بجرجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة (وفيات الأعيان ٥ / ١٦٨) .

(٤٧) الجمعة ٥ .

(٤٨) الكهف / ٤٥ .

قال : فإن قلت أي المثلين أبلغ ؟ قلت الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر ، وهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ .

قلت : قال شيخنا : الناس في الهدى الذي بعث الله به رسوله ﷺ أربعة أقسام قد اشتملت عليهم هذه الآيات من أول السورة إلى ههنا .

« القسم الأول » : قبلوه باطنًا وظاهراً ، وهم نوعان : أحدهما أهل الفقه فيه والفهم والتعليم ، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده وبلغوه إلى الأمة واستنبطوا أسراره وكنوزه ، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ[٤٩] والعشب الكثير فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم ؛ وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم .

« النوع الثانى » : حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة فحفظوا عليهم النصوص ، وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه فى مراد الشارع ، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه ، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه ، وهذا النوع الثانى بمنزلة الأرض التى أمسكت الماء للناس فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به .

(فصل) القسم الثاني : من رده ظاهراً وباطناً وكفر به ولم يرفع به رأسًا ، وهؤلاء أيضًا نوعان أحدهما : عرفه وتيقن صحته ، وأنه حق ولكنه حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين « النوع الثانى » : أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبرائنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ، ولنا أسوة بهم ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم ، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله وأولى بقبوله ، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأمنهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**﴾[٥٠] وقال تعالى ﴿ **يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** ﴾[٥١] .

---

(٤٩) الكلأ : العشب رَطْبُه ويابسه .

(٥٠) البقرة / ١٦٦ : ١٦٧ .

(٥١) الأحزاب / ٦٦ : ٦٨ .

وقال تعالى فيهم ﴿ **وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد** ﴾[٥٢] وقال فيهم ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ، هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ، قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار** ﴾[٥٣] أي سننتموه لنا وشرعتموه ﴿ **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفا في النار** ﴾[٥٤] فقولهم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار أي داخلوها كما دخلناها ، ومقاسون عذابها كما نقاسيه ، فأجابهم الأتباع وقالوا : بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا .

وفي الضمير قولان : أحدهما أنه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول الرسل صلوات الله وسلامه عليهم واستبدال غيره به ، والمعنى أنتم زينتم لنا الكفر ودعوتمونا إليه وحسنتموه لنا ؛ وقيل على هذا القول أنه قول الأمم المتأخرين للمتقدمين ، والمعنى على هذا أنتم شرعتم لنا تكذيب الرسل ورد ما جاءوا به والشرك بالله سبحانه وتعالى ؛ أي بدأتم به وتقدمتموه إليه فدخلتم النار قبلنا فبئس القرار ، أي بئس المستقر والمنزل والقول الثاني : أن الضمير في قوله ﴿ **أنتم قدمتموه لنا** ﴾ ضمير العذاب وصلى النار ، والقولان متلازمان وهما حق .

وأما القائلون﴿ ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا فى النار ﴾فيجوز أن يكون الأتباع دعوا على سادتهم وكبرائهم وأئمتهم به لأنهم الذين حملوهم عليه ودعوهم إليه ، ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا ربهم أن يزيد من سنَّ لهم الشرك وتكذيب الرسل صلى الله عليهم وسلم ضعفًا وهم الشياطين .

(فصل) : القسم الثالث : الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهراً وجحدوه وكفروا به باطنًا ، وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثلان بمستوقد النار وبالصيب ، وهم أيضًا نوعان أحدهما : من أبصر ثم عمى ، وعلم ثم جهل ، وأقر ثم أنكر ، وآمن ثم كفر ، فهؤلاء رءوس أهل النفاق وسادتهم وأئمتهم ، ومثلهم مثل من استوقد نارًا ثم حصل بعدها على الظلمة ، والنوع الثاني ضعفاء البصائر الذين أعشى بصائرهم ضوء البرق فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته ،

---

(٥٢) غافر / ٤٧: ٤٨ .

(٥٣) ص/ ٥٧: ٦٠ .

(٥٤) ص/ ٦١ .

وأصم أذنهم صوت الرعد فهم يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق ، ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان بل يهربون منه ، ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد ، فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه فى أذنه ؛ وهذه حال كثير من خفافيش البصائر فى كثير من نصوص الوحى ، وإذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوى مذهبه ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من النصوص وكره من يسمعه إياها ، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها ويقول : دعنا من هذه ولو قدر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها ، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق ، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائرًا لا يدرى أين يذهب ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها ، ويقول مسكين الحال هم أخبر بها منى وأعرف .

فيا لله العجب ، أو ليس أهلها والذابون عنها والمنتصرون لها والمعظمون لها والمخالفون لأجلها آراء الرجال المقدمون لها على ما خالفها أعرف بها أيضًا منك وممن اتبعته ، فلم كان من خالفها وعزلها عن اليقين وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها ، وأنها أدلة لفظية لا تفيد شيئًا من اليقين ، ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من التوحيد والصفات ، ويسميها الظواهر النقلية . ويسمى ما خالفها القواطع العقلية ، فلم كان هؤلاء أحق بها وأهلها وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها ، ولكن هذه سنة الله فى أهل الباطل أنهم يعادون الحق وأهله ، وينسبونهم إلى معاداته ومحاربته كالرافضة الذين عادوا أصحاب محمد ﷺ بل وأهل بيته ، ونسبوا أتباعه أهل سنته إلى معاداته ومعاداة أهل بيته ، وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان : أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق ، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام والبهائم . فأولئك زنادقة مستبصرون وهؤلاء زنادقة مقلدون ، فهؤلاء أصناف بنى آدم فى العلم والإيمان ، ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان كحال المستضعف بين الكفار الذى تبين له الإسلام ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه ، ولم يزل هذا الضرب فى الناس على عهد رسول ﷺ وبعده ، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه . وعلى هذا فالناس إما مؤمن ظاهراً وباطنًا وإما كافر ظاهراً وباطنًا أو مؤمن ظاهراً كافر باطنًا أو كافر ظاهراً مؤمن باطنًا ، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود ، وقد بين القرآن أحكامها ، فالأقسام الثلاثة الأول ظاهرة وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة . وأما القسم الرابع ففى قوله تعالى ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم** ﴾[٥٥] فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم فى قومهم ولا يتمكنون

---

(٥٥) الفتح /٢٥ .

من إظهاره ، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه ، ومن هؤلاء النجاشى الذى صلى عليه رسول الله ﷺ فإنه كان ملك النصارى بالحبشة وكان فى الباطن مؤمنًا ، وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً** ﴾[٥٦]وقوله تعالى ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ،يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين** ﴾[٥٧] فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد ﷺ قطعًا فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار ، فلا يثنى عليهم بهذا الثناء ، وليس المراد به من آمن من أهل الكتاب ودخل فى جملة المؤمنين وباين قومه ، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم أنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه ، وذلك الاعتبار قد زال بالإسلام واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين ، وإنما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين أهل الكتاب . هذا هو المعروف فى القرآن كقوله تعالى ﴿ **يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** ﴾[٥٨] ﴿ **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم** ﴾[٥٩] ﴿ **يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم** ﴾[٦٠] ﴿ **وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم** ﴾[٦١] ونظائره . ولهذا قال جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك والحسن وقتادة أن قوله تعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم** ﴾ أنها نزلت فى النجاشى ، زاد الحسن وقتادة : وأصحابه[٦٢] . وذكر ابن جرير فى تفسيره من حديث أبى بكر الهذلى عن قتادة عن ابن المسيب عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : اخرجوا فصلوا على أخيكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات ، فقال هذا النجاشى . أصحمة . فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على

---

(٥٦) آل عمران / ١٩٩ .

(٥٧) آل عمران / ١١٣ : ١١٤ .

(٥٨) آل عمران / ٧٠ .

(٥٩) آل عمران / ٦٤ .

(٦٠) آل عمران / ٦٥ .

(٦١) البقرة / ١٤٤ .

(٦٢) ذكره السيوطى فى « أسباب النزول » ص (٥٠) وقال : نزلت فى النجاشى .

علج نصرانى لم يره قط ، فانزل الله تعالى ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله** ﴾ الآية . (٦٣)

والمقصود أن الأقسام الأربعة قد ذكرها الله تعالى فى كتابه وبين أحكامها فى الدنيا وأحكامها فى الآخرة ، وقد تبين أن أحد الأقسام من آمن ظاهراً وكفر باطنًا ، وأنهم نوعان رؤساؤهم وساداتهم وأتباعهم ومقلدوهم ، وعلى هذا فأصحاب المثل الأول النارى شر من أصحاب المثل الثانى المائى كما يدل السياق عليه ، وقد يقال وهو أولى أن المثلين لسائر النوع ، وأنهم قد جمعوا بين مقتضى المثل الأول من الإنكار بعد الإقرار والحصول فى الظلمات بعد النور ، وبين مقتضى المثل الثانى من ضعف البصيرة فى القرآن وسد الآذان عند سماعه والإعراض عنه ، فإن المنافقين فيهم هذا وهذا . وقد يكون الغالب على فريق منهم المثل الأول ، وعلى فريق منهم المثل الثانى .

فصل : وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة ، منها أن المستضىء بالنار مستضىء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقى فى ظلمة . وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه ، وتصديق جازم ، كان ما معه من النور كالمستعار ، ومنها أن ضياء النار يحتاج فى دوامه إلى مادة تحمله . وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان ، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها ، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها ، ومنها أن الظلمة نوعان : ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور وهى أشد الظلمتين وأشقها على من كانت حظه ، فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة فمثلت حاله بحال المستوقد للنار الذى حصل فى الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو فى الظلمات لم يخرج منها قط ، ومنها أن فى هذا المثل إيذانًا وتنبيهًا على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نوراً ظاهراً كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً ، ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ويبقون فى الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور ، فإنه لا يمكن أحداً عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر ؛ فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح وإلا ذهب الله تعالى به

---

(٦٣) أخرجه ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (٢ / ٤ / ١٤٦) (قلت) وأخرج البخارى فى « صحيحه » (٧ / ح ٣٨٧٧ / فتح) من حديث جابر بلفظ « قال النبى صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى : مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » .

(*) سورة آل عمران / ١٩٩ .

أحوج ما كان إليه صاحبه فطابق مثلهم فى الدنيا بحالتهم التى هم عليها فى هذه الدار وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم ، ومن ههنا يعلم السر فى قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾[٦٤] ولم يقل أذهب الله نورهم .

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح فتأمل ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، وقد سئل عن الورود فقال « نجىء نحن يوم القيامة على تل فوق الناس ، قال فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك فيقول من تنتظرون ، فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك . فيتجلى لهم يضحك . قال فينطلق بهم فيتبعونه . ويعطى كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نوراً ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى ثم يطفأنور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان قلبه من الخير ما يزن شعيرة . فيجعلون بفناء الجنة . ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء »[٦٥] وذكر باقى الحديث فتأمل قوله فينطلق فيتبعونه ويعطي كل إنسان منهم نوراً المنافق والمؤمن . ثم تأمل قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون** ﴾[٦٦] وتأمل حالهم إذا طفئت أنوارهم فبقوا فى الظلمة ، وقد ذهب المؤمنون فى نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل ، وتأمل قوله ﷺ فى حديث الشفاعة : « ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع كل مشرك إلهه الذى كان يعبده »[٦٧] والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذى كل معبود سواه باطل . وتأمل قوله تعالى ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾[٦٨] وذكر هذه الآية فى حديث الشفاعة فى هذا الموضع ، وقوله فى الحديث « فيكشف عن ساقه »[٦٩] وهذه الإضافة تبين المراد

---

(٦٤) البقرة /١٧ .

(٦٥) أخرجه مسلم فى « الإيمان » (١ / ٣١٦ / ح ١٩١ / ص ١٧٧ : ١٧٨) من حديث جابر وأحمد فى « مسنده » (٣ / ٣٤٥ ، ٣٨٣) .

(٦٦) البقرة / ١٧ .

(٦٧) أخرجه البخارى فى كتاب « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٣٧ / فتح) .

(٦٨) القلم / ٤٢ .

(٦٩) أخرجه البخارى فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٣٩ / فتح) ومسلم فى « الإيمان » (١ / ٣٠٢ / ح ١٨٣ / ص ١٦٧) من حديث ابى سعيد الخدرى .

بالساق المذكور فى الآية ، وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه بعد هذا ، وذلك يفتح لك بابًا من أسرار التوحيد ، وفهم القرآن ومعاملة الله سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده ولم يشركوا به شيئًا هذه المعاملة التى عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها فانطلق بها واتبعته إلى النار ، وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه ، فسبحان الله رب العالمين الذى قرت عيون أهل التوحيد به فى الدنيا والآخرة ، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم . ومنها أن المثل الأول متضمن الحصول الخوف الذي ضده الأمن فلا هدى ولا أمن ﴿ **والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾(٧٠)

قال ابن عباس وغيره من السلف : مثل هؤلاء فى نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستضاء ، ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة خائفًا متحيراً ، كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف ، قال مجاهد : إضاءة النار لهم إقبالهم إلى المسلمين والهدى ، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة ، وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور بأنها في الدنيا ، وفسرت بالبرزخ ، وفسرت بيوم القيامة والصواب أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة ؛ فإنهم لما كانوا كذلك فى الدنيا جوزوا فى البرزخ وفى القيامة بمثل حالهم جزاء وفاقًا ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾(٧١) فإن المعاد يعود على العبد فيه ما كان حاصلاً له فى الدنيا ، ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ **فمن كان فى هذه الدنيا أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ،ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** ﴾(٧٢) .

ومن كان مستوحشًا مع الله بمعصيته إياه فى الدار فوحشيته معه فى البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد ، ومن قرت عينه به فى هذه الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث ، فيموت العبد على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، ويعود عليه عمله بعينه فينعم به ظاهراً وباطنًا ، فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة وقرة العين ، والنعيم وقوة القلب ، واستبشاره وحياته وانشراحه ، واغتباطه ما هو من أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذه ،

---

(٧٠) الأنعام / ٨٢ .

(٧١) فصلت / ٤٦ .

(٧٢) الإسراء / ٧٢ .

وهل النعيم إلا طيب النفس ، وفرح القلب وسروره وانشراحه واستبشاره ، هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه من سائر المشتهيات التى تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين ؛ ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له فى هذه الدار ، تنوعت الأقسام التى يتلذذ بها فى تلك الدار ، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها ، وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثراً وجزاء ولذة وألماً يخصه لا يشبه أثر الآخر وجزاءه . ولهذا تنوعت لذات أهل الجنة وآلام أهل النار وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات . فليست لذة من ضرب فى كل مرضاة الله بسهم وأخذ منها بنصيب . كلذة من أنمى سهمه ونصيبه فى نوع واحد منها . ولا ألم من ضرب فى كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته كألم من ضرب بسهم واحد فى مساخطه .

وقد أشار النبى ﷺ إلى كمال ما يستمتع به من الطيبات فى الآخرة بحسب كمال ما قابله من الأعمال فى الدنيا . فرأى قنواً(*) من حشف(**) معلقًا فى المسجد للصدقة فقال « إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة »(٧٣) فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله فيجزى على تلك الصدقة بحشف من جنسها .

وهذا الباب يفتح لك أبوابًا عظيمة من فهم المعاد وتفاوت الناس فى أحواله وما يجرى فيه من الأمور ، فمنها خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره فإنه بحسب خفة وزره وثقله ، إن خف خف ، وأن ثقل ثقل ، ومنها استظلاله بظل العرش أو ضحاؤه(٧٤) للحر

(*) قنواً : سباطة .

(**) الحشف / أردأ التمر وهو اليابس الفاسد من التمر وقيل : الضعيف الذى لا نوى له كالشيص . (اللسان / ٩ / ٤٧)

(٧٣) أخرجه أبو داود فى « الزكاة » (٢ / ح ١٦٠٨) من حديث عوف بن مالك ولفظه « إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة » والنسائى (٥ / ٤٤) وأحمد فى « مسنده » (٦ / ٢٣ ، ٢٨) وابن ماجه فى « الزكاة » (١ / ح ١٨٢١) الكل من حديث عوف بن مالك . وابن حبان فى « صحيحه » (٨ / ح ٦٧٣٦ / ص ٢٧١ ، ٢٧٢ / إحسان) وابن خزيمة فى « صحيحه » (٤ / ح ٢٤٦٧ / ص ١٠٩)

(قلت) الحديث إسناده : ضعيف فيه صالح بن أبى عريب .

قال الحافظ فى « التقريب » : مقبول ، وقال ابن القطان : لا يعرف حاله وذكره ابن حبان فى الثقات .

والحديث لشواهده فهو حسن لغيره .

(٧٤) ضحاؤه : بروزه . قال شمر : كل ما ظهر وبرز فقد ضحا . (اللسان ١٤ / ٤٧٩)

والشمس إن كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان مما يظله فى هذه الدار من حر الشرك والمعاصى والظلم استظل هناك فى ظل أعماله تحت عرش الرحمن ، وإن كان ضاحيًا هنا للمعاصى والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك للحر الشديد ، ومنها طول وقوفه فى الموقف ومشقته عليه وتهوينه عليه إن طال وقوفه فى الصلاة ليلاً ونهاراً لله ، وتحمل لأجله المشاق فى مرضاته وطاعته خف عليه الوقوف فى ذلك اليوم وسهل عليه ، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه ، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله ﴿ **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ، فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثمًا أو كفوراً ، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً** ﴾[٧٥] فمن سبح الله ليلاً طويلاً لم يكن ذلك اليوم ثقيلاً عليه ، بل كان أخف شيءعليه .

ومنها أن ثقل ميزانه هناك بحسب تحمل ثقل عمل الحق فى هذه الدار لا بحسب مجرد كثرة الأعمال ، وإنما يثقل الميزان باتباع الحق والصبر عليه وبذله إذا سئل وأخذه إذا بذل كما قال الصديق فى وصيته لعمر رضى الله عنهما : واعلم أن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار وله حق بالنهار لا يقبله بالليل . واعلم أنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق وثقل ذلك عليهم ولا يستضىء به غيره ولا يمشى أحد إلا فى نور نفسه إن كان له نور مشى فى نوره ،وإن لم يكن له نور أصلاً لم ينفعه نور غيره[*] ، ولما كان المنافق فى الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا له مادة من الإيمان أعطى فى الآخرة نوراً ظاهراً لا مادة له ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه . ومنها أن مشيهم على الصراط فى السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم فى الدنيا ، فأسرع سيراً هنا أسرعهم هناك وأبطأهم هنا أبطأهم هناك ، وأشدهم ثباتًا على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك ، ومن خطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا خطفته الكلاليب التى كأنها شوك السعدان هناك ، ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه ها هنا ، فناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومخردل أى مقطع بالكلاليب مكردس فى النار ، كما أثر فيهم تلك الكلاليب فى الدنيا جزاء وفاقًا وما ربك بظلام للعبيد ، والمقصود أن الله تبارك وتعالى ضرب لعباده المثلين المائى والنارى فى سورة البقرة وفى سورة الرعد وفى سورة النور لما تضمن المثلان من الحياة

---

(٧٥) الإنسان / ٢٣ : ٢٧ .

(*) كنز العمال (٣ / ص ١٤٦) . وذكره صاحب « حياة الصحابة » الكاندهلوى فى كتابه (٢ / ٦٤) .

والإضاءة ، فالمؤمن حى القلب مستنيره ، والكافر والمنافق ميت القلب مظلمه ، وقال الله تعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس** ﴾[٧٦] الآية ، وقال تعالى ﴿ **وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات** ﴾[٧٧] .

فجعل من اهتدى بهداه واستنار بنوره بصيراً حيًا فى ظل يقيه من حر الشبهات والضلال والبدع والشرك ، مستنيراً بنوره ، والآخر أعمى ميتًا فى حر الكفر والشرك والضلال منغمسًا فى الظلمات .

وقال تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[٧٨] الآية ، وقد اختلفوا فى مفسر الضمير من قوله تعالى ﴿ **ولكن جعلناه نوراً** ﴾[٧٩] فقيل هو الإيمان لكونه أقرب المذكورين ، وقيل هو الكتاب فإنه النور الذي هدى به عباده[٨٠] .

قال شيخنا[*] : والصواب أنه عائد على الروح المذكور فى قوله تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[٨١] الآية ، فسمى وحيه روحًا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التى هى الحياة فى الحقيقة ، ومن عدمها فهو ميت لا حى ، والحياة الأبدية السرمدية فى دار النعيم هى ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذى أوحى إلى رسوله ﷺ فمن لم يحيا به فى الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، وأعظم الناس حياة فى الدور الثلاث دار الدنيا ، ودار البرزخ ودار الجزاء ، أعظمهم نصيبًا من الحياة بهذا الروح . وسماه روحًا فى غير موضع من القرآن كقوله تعالى ﴿ **رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق** ﴾[٨٢] .

---

(٧٦) الأنعام / ١٢٢ .

(٧٧) فاطر / ١٩ : ٢٢ .

(٧٨) الشورى / ٥٢ .

(٧٩) الشورى / ٥٢ .

(٨٠) ذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٤ / ١٢٢) . وذكره ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (١١ / ٢٥ / ص ٢٩) .

(*) المقصود به شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٨١) الشورى / ٥٢ .

(٨٢) غافر / ١٥ .

وقال تعالى ﴿ **ينزل الملائكه بالروح من امره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾[٨٣] وسماه نوراً لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها .

وكمال الروح بهاتين الصفتين ، بالحياة والنور ، ولا سبيل إليهما إلا على أيدى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والاهتداء بما بعثوا به وتلقى العلم النافع والعمل الصالح من مشاكتهم[٨٤] ، وإلا فالروح ميتة مظلمة ، وإن كان العبد مشاراً إليه بالزهد والفقه والفضيلة والكلام فى البحوث ، فإن الحياة والاستنارة بالروح الذى أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ وجعله نوراً يهدى به من يشاء من عباده وراء ذلك كله ، فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام ، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها وحقها من باطلها ، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال . ويميز النقد الذى سكة أهل المدينة النبويه الذى لا يقبل الله عز وجل ثمنًا لجنته سواه . من النقد الذى عليه سكة جنكسخان ونوابه من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة وكل من اتخذ لنفسه سكة وضربًا ونقداً يروجه بين العالم ؛ فهذه الأثمان كلها زيوف لا يقبل الله سبحانه وتعالى فى ثمن جنته شيئًا منها ، بل ترد على عاملها أحوج ما يكون إليها وتكون من الأعمال التى قدم الله تعالى عليها فجعلها هباء منثوراً ، ولصاحبها نصيب وافر من قوله تعالى ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾[٨٥] وهذا حال أرباب الأعمال التى كانت لغير الله عز وجل أو على غير سنة رسول الله ﷺ . وحال أرباب العلوم والأنظار التى لم يتلقوها عن مشكاة النبوة ؛ ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم فأتعبوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم فى تقرير آراء الرجال والانتصار لهم وفهم ما قالوه ، وبثه فى المجالس والمحاضر . وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صفحًا . ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلبًا للفضيلة .

وأما تجريد أتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس فى طلبه وفهمه ، وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها ، وقبول ما وافقه ، ولا يلتفت إلى شىء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحى وشهد لها بالصحة ، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه ، وهذا الذى لا ينجى سواه .

---

(٨٣) النحل /٢ .

(٨٤) مشاكتهم : جمع مشكاة . والمشكاة : الكوة غير النافذه أى أن هذه الأشياء تخرج من مكان واحد كما فى حديث النجاشى : إنما يخرج من مشكاة واحدة . اراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى وأنها من شىء واحد .

(٨٥) الكهف / ١٠٣ .

فوراحتا لعبد شقى فى طلب العلم واستفرغ قواه واستعد فيه أوقاته وآثره على ما الناس فيه . والطريق بينه وبين رسول الله ﷺ مسدود وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود ، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب ، فلم يفز إلا بأخس المطالب .

سبحان الله إن هى إلا فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها ، وحيرت العقول عن طرق قصدها ، تربى فيه الصغير وهرم عليه الكبير ، فظنت خفافيش الأبصار أنها الغاية التى تسابق إليها المتسابقون ، والنهاية التى تتنافس فيها المتنافسون وهيهات أين الظلام من الضياء ، وأين الثرى من كواكب الجوزاء ، وأين الحرور من الظلال ، وأين طريقة أصحاب اليمين من طريقة أصحاب الشمال ، وأين القول الذى لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم من النقل المصدق عن القائل المعصوم وأين العلم الذى سنده محمد بن عبد الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سبحانه ، من الخوض الخرص الذى سنده شيوخ الضلال من الجهمية والمعتزلة وفلاسفة المشائين ، بل أين الآراء التى أعلى درجاتها أن تكون عند الضرورة سائغة الاتباع إلى النصوص النبوية الواجب على كل مسلم تحكيمها والتحاكم إليها فى موارد النزاع ، وأين الآراء التى نهى قائلها غن تقليده فيها[٨٦] وخص على النصوص التى فرض على كل عبد أن يهتدى بها ويتبصر . وأين الأقوال والآراء التى إذا مات أنصارها والقائمون بها فهى من جملة الأموات ، إلى النصوص التى لا تزول إلا إذا زالت الأرض والسماوات .

---

(٨٦) أىأقوال الائمة فى نهيهم عن تقليدهم . قال الإمام الطحاوى : لا يقلد إلا عصبى أوغبى . وهأنذا أسوق إليك أقوال الأئمة رضوان الله عليهم حيث نهوا عن تقليدهم باختصار لعدم الإطالة

١ – قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت : لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين أخذناه ، وفى رواية « حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بكلامى » .

٢ – قال الإمام مالك بن أنس : إنما أنا بشر أخطىء واصيب ، فانظروا فى رأى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .

٣ – قال الإمام الشافعى : كل ما قلت ، فكان عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف قولى مما يصح ، فحديث النبى أولى ، فلا تقلدونى .

٤ – قال الإمام أحمد بن حنبل : لا تقلدونى ولا تقلد مالكاً ولا الشافعى ولا الأوزاعى ولا الثورى ، وخذ من حيث أخذوا » .. ١ ـ هـ

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان ناظرتان ؛ وتبين الرشد من الغى لمن له أذنان واعيتان ، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفات، فأطفأت مصابيحها وتحكمت فيها أيدى الشهوات فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها[٨٧] ، وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال ، فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منفذاً وتمكنت فيها أسقام الجهل والتخليط فلم تنتفع منها بصالح الغذاء ، واعجبا جعلت غذاءها من هذه الآراء التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله ونص نبيه المرفوع ، واعجبا كيف اهتدت فى ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ والصواب ، وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقها من السنة والكتاب ، فأقرت بالعجز عن تلقى الهدى من مشكاة السنة والقرآن ، ثم تلقته من رأى فلان ورأى فلان .

سبحان الله ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحى واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر ، وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر ، قنعوا بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكراً ، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبرًا[٨٨] وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً ، درست[٨٩] معالم القرآن فى قلوبهم فليسوا يعرفونها ، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها ، وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها ، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها فليسوا يثبتونها ، خلعوا نصوص الوحى عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة ، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كمين بعد كمين ، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام ، وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع فى صدورها والأعجاز . وقالوا مالك عندنا من عبور وإن كان لابد فعلى سبيل المجاز . أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز فى هذه الأزمان ، له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان ، حَرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحى وتضييع الأصول ، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها فخانتهم أحرص ما كانوا عليها

---

(٨٧) ران : أى خَتَم وغَلَب وطَبَع .

(اللسان ١٣ / ١٩٢)

(٨٨) زبرا : قطعاً .

(اللسان)

(٨٩) درست : محت .

(اللسان / ٦ / ٧٩) .

وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا إليها ، حتى إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ، وتميز لكل قوم حاصلهم الذى حصلوه ؛ وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه وقدموه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وسقط فى أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه .

فياشدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباء منثوراً ، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانيه خلباً وغروراً ، فما ظن من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى يوم تبلى السرائر ، وما عذر من نبذ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهره فى يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر . أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن ينجوا غداً بآراء الرجال ويتخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال أو بالشطحات والمشارات وأنواع الخيال ، هيهات . والله لقد ظن أكذب الظن ومنّى نفسه أبين المحال ، وإنما ضمنت النجاة لمن حكم هدى الله تعالى على غيره وتزود بالتقوى وائتم بالدليل وسلك الصراط المستقيم واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها والله سميع عليم .

فصل : وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى . وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ، وإليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم . أحدهما التوحيد العلمى الخبرى الاعتقادى المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل ، وتنزيهه عن صفات النقص .

والتوحيد الثانى عبادته وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربًا وإلهًا ووليًا ، وأن لا يجعل له عدلاً فى شىء من الأشياء . وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد فى سورتى الإخلاص وهما سورة ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ المتضمنة للتوحيد العلمى الإدارى وسورة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ المتضمنة للتوحيد العلمى والخبرى . فسورة قل هو الله أحد فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال . وسورة قل يا أيها الكافرون فيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له ، والتبرى من عبادة كل ما سواه ، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ، ولهذا كان النبى يقرأ بهاتين السورتين فى سنة الفجر والمغرب والوتر(٩٠) اللتين هما فاتحة العمل

---

(٩٠) أما سُنّة الفجر فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها كما ذكر المصنف وذلك أحياناً كما عند الطحاوى وابن حبان فى « صحيحه » وحسنه الحافظ . أحياناً يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) إلى آخر الآية وفى الأخرى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ إلى آخرها . كما ذكره

وخاتمته ، ليكون مبدأ النهار توحيدا وخاتمته توحيدا . والتوحيد العلمى الخبرى له ضدان : التعطيل والتشبيه والتمثيل ، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها ، كذب تعطيله توحيده . ومن شبَّهه بخلقه ومثله بهم كذب تشبيه وتمثيله توحيده . والتوحيد الإرادى العملى له ضدان : الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والإشراك به فى ذلك واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه .

وقد جمع سبحانه وتعالى بين التوحيدين فى غير موضع من القرآن ، فمنها قوله تعالى ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾(٩١) .

ومنها قوله تعالى ﴿ **الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون : كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين، هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين** ﴾(٩٢) .

ومنها قوله تعالى ﴿ **الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم** ﴾(٩٣) .

مسلم وابن خزيمة والحاكم وربما قرأ بدلها ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴾ إلى آخر الآية كما ذكره مسلم وأبو داود . وأما سُنَّة المغرب فالمقصود بها السُنَّة البعدية وكان يقرأ بها كما ذكر المصنف وهو عند الطبرانى الكبير بسند صحيح كما قال الألبانى .. وأما صلاة الوتر فكان صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الركعة الأولى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ وفى الثانية ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفى الثالثة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . كما ذكره النسائى والحاكم وصححه .

(٩١) البقرة / ٢١ : ٢٢ .

(٩٢) غافر / ٦١ : ٦٥ .

(٩٣) السجدة / ٤ : ٦ .

وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين ، فقوله ﴿ **خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام** ﴾ يتضمن إبطال قول الملاحده القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل ، وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسى[٩٤] وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب ، وشهدت به العقول والفطر . وقوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون : ليس على العرش شيء سوى العدم ، وأن الله ليس مستويًا على عرشه ولا ترفع إليه الأيدى ولا يصعد إليه الكلم الطيب ، ولا رفع المسيح عليه السلام إليه . ولا عرج برسوله محمد ﷺ ولا تعرج الملائكة والروح إليه ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره ، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم . ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عيانًا بأبصارهم من فوقهم ، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبى ﷺ فى أعظم مجامعه فى حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس ويقول : اللهم أشهد[٩٥] .

قال شيخ الإسلام : وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين ، وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء ، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه مثل قوله تعالى ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٩٦] وقوله تعالى ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى** ﴾[٩٧] وقوله تعالى ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾[٩٨] وقوله تعالى

---

(٩٤) ابن سينا . الحسين بن على . قال ابن حجر : ما أعلمه روى شيئًا من العلم ، ولو روى شيئًا لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفى النحلة ، ضال ، لا رضى الله عنه .

(النصير الطوسى) وزير هولاكو هو نصير الشرك والإلحاد قاضى التتار ومشيرهم . فعل التتر بمشورته وابن العلقمى فى بغداد من سفك الدماء وانتهاك الحرمات والتنكيل بالإسلام والمسلمين .

(٩٥) أخرجه البخارى فى « الحج » (٣ / ح ١٧٤٢ / فتح) من حديث ابن عمر وفى « المغازى » (٧ / ح ٤٤٠٦ / فتح) من حديث أبى بكرة ومسلم فى « القسامة » (٣ / ٣١ / ص ١٣٠٧) وابن ماجه فى « المناسك » (٢ / ح ٣٠٥٥) ورواه أيضاً أحمد وغيره .

(٩٦) فاطر / ١٠ .

(٩٧) آل عمران/ ٥٥ .

(٩٨) النساء / ١٥٨ .

ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه ﴾[٩٩] وقوله تعالى ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾[١٠٠] وقوله تعالى ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[١٠١] وقوله تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾[١٠٢] وقوله تعالى ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾[١٠٣] وقوله تعالى ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾[١٠٤] فذكر التوحيدين في هذه الآية . وقوله تعالى ﴿ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ﴾[١٠٥] وقوله تعالى ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً . الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً ﴾[١٠٦] وقوله تعالى ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾[١٠٧] فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته ، وقوله تعالى ﴿ ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾[١٠٨] وقوله تعالى ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾[١٠٩] وقوله تعالى ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾[١١٠]

(٩٩) المعارج / ٣ .

(١٠٠) السجدة /٥ .

(١٠١) النحل / ٥٠

(١٠٢) البقرة / ٢٩

(١٠٣) الأعراف / ٥٤ : ٥٥

(١٠٤) يونس / ٣

(١٠٥) طه / ٤ : ٥

(١٠٦) الفرقان / ٥٨ : ٥٩

(١٠٧) الحديد / ٤

(١٠٨) الملك / ١٦

(١٠٩) فصلت / ٤٢

(١١٠) زمر /١ ، الجاثية / ٢ ، الأحقاف / ٢

وقوله تعالى ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب اسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً** ﴾[١١١] .

قال أبو الحسن الأشعري[١١٢] : وقد احتج بهذه الآيه على الجهمية فكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله أن الله فوق السموات ، وسيأتي إن شاء الله تعالى حكاية كلامه بحروفه .

وأما الأحاديث فمنها قصة المعراج ، وهي متواترة ، وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة ، فلم يزل بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى وينزل من عند ربه تعالى إلى عند موسى ، فيسأله كم فرض عليك فيخبره ، فيقول ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف[١١٣] ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي ، وفي لفظ آخر كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده : إن رحمتي تغلب غضبي ، وفي لفظ وهو وضع عنده على العرش ، وفي لفظ وهو مكتوب عنده فوق العرش ، وهذه الألفاظ كلها في صحيح مسلم[١١٤] .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[١١٥] ، وذكر البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه حديث أنس

---

(١١١) غافر / ٣٦ : ٣٧

(١١٢) هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر ، صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة وإليه تنسب الطائفة الاشعريه كان أبو الحسين الأشعرى أولاً معتزلياً ، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن فى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ، ورقى كرسّياً ونادى بأعلى صوته : من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى ، أنا فلان بن فلان ، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار (يعنى يوم القيامة) وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع ، معتقد لله للرد وعلى المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم .
(وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٤)

(١١٣) أخرجه البخارى فى « مناقب الانصار » (٧ / ح ٣٨٨٧ / فتح) ومسلم فى « الإيمان » (١ / ٢٥٩ / ح ١٦٢ / ص ١٤٥) من حديث أنس ورواه أيضاً النسائى وأحمد وغيرهم .

(١١٤) أخرجه البخارى فى « بدء الخلق » (٦ / ح ٣١٩٤ / فتح) ومسلم فى « التوبة » (٤ / ١٤ / ح ٢٧٥١ / ص ٢١٠٧) وباقى الالفاظ فى نفس الكتاب باب « فى سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه » (حـ ٤ / ص ٢١٠٨) « فلتراجع » .

(١١٥) أخرجه مسلم فى « الإيمان » (١ / ٢٩٣ / ح ١٧٩ / ص ١٦١ ، ١٦٢) وابن ماجه فى « المقدمة » (١ / ح ١٩٥ ، ١٩٦) وأحمد فى « مسنده » (٤ / ٤٠١ ، ٤٠٥) من حديث أبى موسى الأشعرى .

رضي الله عنه حديث الإسراء وقال فيه : ثم علا به يعنى جبرائيل فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما أوحى إليه خمسين صلاة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه وقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال عهد إلي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم ، فالتفت النبي ﷺ إلى جبرائيل « كأنه يستشيره في ذلك » فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا . وذكر الحديث(١١٦) .

وفي الصحيحين عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم ، كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون(١١٧) ، ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم . قال له النبي ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة ، وفى لفظ من فوق سبع سموات وأصل القصة فى الصحيحين ، وهذا السياق لمحمد بن اسحاق فى المغازى(١١٨) .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال بعث علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة بين عيينة بن بدر والأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه « كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء » فبلغ النبي ﷺ فقال : « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء مساءً وصباحاً »(١١٩) وفى صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال

---

(١١٦) سبق تخريجه برقم (١١٣) .

(١١٧) أخرجه البخارى فى « مواقيت الصلاة » (٢ / ح ٥٥٥ / فتح) ومسلم فى « المساجد » (١ / ٢١٠ / ح ٦٣٢ / ص ٤٣٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(١١٨) أخرجه البخارى ومسلم فى « صحيحيها » من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » اللفظ للبخارى (حـ ٦ / ح ٣٠٤٣ / فتح) ، مسلم (٣ / ٦٤ / ح ١٧٦٨ / ص ١٣٨٨) وأما لفظ« لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة » ذكره ابن حجر فى « الفتح » (٦ / ٤٧٦ / مغازى / ريان) وقال مرسل علقمة بن وقاص من رواية ابن إسحق . وأرقعة : بالقاف جمع رقيع وهو من أسماء السماء ، قيل سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم .

(١١٩) أخرجه البخارى فى « المغازى » (٧ / ح ٤٣٥١ / فتح) مسلم فى « الزكاة » (٢/ ١٤٤ / ص ٧٤٢) من حديث أبى سعيد . وأحمد فى « مسنده » (٣ / ٤) .

لطمت جارية لى فأخبرت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال بل ائتنى بها . قال فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها أين الله ؟ قالت فى السماء ، قال فمن أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة[١٢٠] .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوَّجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات[١٢١] ، وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال استسق ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي ﷺ : سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه فقال : ويحك أتدري ما الله إن شأنه أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه إنه لفوق سمائه على عرشه ، وإنه لهكذا وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب[١٢٢] . وفي سنن أبي داود أيضًا ومسند الإمام أحمد من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : كنت في البطحاء في عصابة وفيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فنظر إليها وقال : ما تسمون هذه ؟ قالوا السحاب ، قال والمزن ، قالوا والمزن ، قال والعنان ، قالوا والعنان ، قال هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض . قالوا لا ندري . قال إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك ، زاد أحمد وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم[١٢٣] .

---

(١٢٠) أخرجه مسلم فى « المساجد » (١ / ٣٣ / ح ٥٣٧ / ص ٣٨١) ومالك فى « الموطأ » (٢ / ٧٧٦ ، ٧٧٧) كتاب (العتق) باب (ما يجوز من العتق) من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمِى عند مسلم . وأما عند مالك فى « الموطأ » عمر بن الحكم وهذا وهم قال ابن عبد البر : ليس فى الصحابة عمر بن الحكم . وإنما هو معاوية بن الحكم ، قلت : كما هو عند مسلم .

(١٢١) أخرجه البخارى فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٢٠ / فتح) من حديث أنس . والترمذى فى « التفسير » (٥ / ح ٣٢١٣) من حديث أنس وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(١٢٢) أخرجه أبو داود فى « السنة » (٤ / ح ٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم وقال أبو داود : والحديث بإسناد أحمد ابن سعيد هو الصحيح ، وافقه عليه جماعة منهم يحي بن معين وعلى بن المدينى .

(١٢٣) أخرجه أبو داود فى « السنة » (٤ / ح ٤٧٢٣) والترمذى فى « التفسير » (٥ / ح ٣٣٢٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجه فى « المقدمة » (١ / ح ١٩٣) والحاكم فى « مستدركه » (٢ / ٢٨٨) وقال :

وفي سنن داود أيضاً عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ[١٢٤] .

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال : يا رسول الله إن علّي رقبة مؤمنة فقال لها رسول الله ﷺ ، أين الله ؟ فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء ، فقال لها من أنا ؟ فأشارت بأصبعها إلى رسول الله وإلى السماء ؛ أي أنت رسول الله ، فقال أعتقها[١٢٥] .

وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » قال الترمذي حديث حسن صحيح[١٢٦] .

وفي جامع الترمذي أيضاً عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً . قال أبي سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء ، قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ، قال الذي في السماء . قال حصين أما أنك لو أسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك ، قال فلما أسلم حصين قال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني . قال « قل اللهم ألهمني رشدى وأعذني من شر نفسي[١٢٧] .

يحيى واه ووافقه الذهبي . وأحمد فى « المسند » (٤ / ١١ ، ١٢) .

(قلت) والحديث إسناده ضعيف علته عبد الله بن عميرة . قال الحافظ : مقبول . وذكره الألبانى فى « السلسلة الضعيفة » (٣ / ص ٣٩٩) .

(١٢٤) أخرجه أبو داود فى « الطب » (٤ / ح ٣٨٩٢) من حديث أبى الدرداء . وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » وقال : ضعيف جداً .

(قلت) فيه زياد بن محمد ، وقد تفرد بهذا الحديث كما قال الذهبي قال البخارى منكر الحديث .

(١٢٥) سبق تخريجه برقم (١٢٠) .

(١٢٦) أخرجه أبو داود فى « الأدب » (٤ / ح ٤٩٤١) والترمذى فى « البر » (٤ / ح ١٩٢٤) واللفظ له وقال : (حديث حسن صحيح) ، وأحمد فى « مسنده » (٢ / ١٦٠) والحاكم فى « المستدرك » (٤ / ١٥٩) وصححه وأقرّه الذهبى والكل من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

(١٢٧) أخرجه أحمد فى « مسنده » (٤ / ٤٤٤) والنسائى فى « عمل اليوم الليله » باب « ما يؤمر به المشرك أن يقول » حديث رقم (٩٩٣) وإسناده صحيح .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ، والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها[١٢٨] . وروى الشافعي في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي ﷺ فقال النبي « ما هذه يا جبريل » قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم تبع . اليهود والنصارى ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعوا الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي ﷺ, يا جبريل وما يوم المزيد ، فقال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح فيه كثب من مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب ، فيقول الله عز وجل : أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطيكم ، فيقولون ربنا نسألك رضوانك ، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم لدي مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربك سبحانه وتعالى على العرش ، وفيه تقوم الساعة[١٢٩] .

ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر بن أبي داود في جزء ، وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد لله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ وبينها أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة ، قال وذلك قوله تعالى ﴿ **سلام قولاً من رب رحيم** ﴾ قال فينظر إليهم وينظرون أليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم[١٣٠] .

وفي الصحيحين من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقلبها

---

(١٢٨) أخرجه مسلم فى « النكاح » (٢ / ١٢١ / ص ١٠٦٠) من حديث أبى هريرة .

(١٢٩) رواه الشافعى فى « مسنده » (الجمعة) باب (فضل يوم الجمعة وفى ساعة الإجابة) (١ / ١٤٨) وفى إسناده عثمان ابن عمير وهو ضعيف .

(١٣٠) أخرجه ابن ماجه فى « المقدمة » (١ / ح ١٨٤) من حديث جابر قال السيوطى فى « مصباح الزجاجة » : والذي رأيته في كتاب العقيلى ما نصه : عبد الله بن عبيد الله ، أبو عاصم العبادانى : منكر الحديث وكان « الفضل » يرى القدر . كاد أن يغلب على حديثه الوهم .
(قلت) . فالحديث : إسناده ضعيف والله أعلم .

بيمينه ثم يربيهالصاحبها كما يربي أحدكم فلوة حتى تكون مثل الجبل[١٣١] - الفَلُوةُ المهر - بلغ السنة .

وفي صحيح ابن حبان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً[١٣٢] ، وروي ابن وهب قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن زهرة بن معبد عن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن وضوءه ثم رفع نظره إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء[١٣٣] .

وفي حديث الشفاعة الطويل[١٣٤] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه » وذكر الحديث . وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه ، قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين هكذا قال في داره في المواضع الثلاث يريد مواضع الشفعات التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه[*] .

وروى يحي بن سعيد الأموي في مغازيه من طريق محمد بن إسحاق قال خرج عبد أسود لبعض أهل خيبر حتى جاء رسول الله ﷺ فقال من هذا ؟ قالوا رسول الله ، قال الذي في

---

(١٣١) حديث متفق عليه من رواية أبي هريرة رضى الله عنه . أخرجه البخارى فى « الزكاة » (٣ / ح ١٤١٠) ومسلم فى « الزكاة) (٢ / ٦٣ / ح ١٠١٤ / ص ٧٠٢) .

(١٣٢) أخرجه أبو داود فى « الصلاة » (٢ / ح ١٤٨٨) . والترمذى فى « الدعوات » (٥ / ح ٣٥٥٦) . وابن ماجه (٢ / ح ٣٨٦٥) والحاكم فى « المستدرك » (١ / ٤٩٧) وصححه وأقره الذهبى من حديث سلمان القارى وذكره الألبانى فى « صحيح الجامع » (٢٠٧٠) وقال : حسن .

• صفراً : الى خالياً .

(١٣٣) الحديث إسناده صحيح رجاله ثقات وهو عند احمد فى « مسنده » (١ / ١٩) . قال أحمد شاكر : إسناد أحمد ضعيف لجهالة ابن عم أبي عقيل ثم قال : والحديث فى أصله صحيح ورواه النسائى فى « عمل اليوم والليلة » من حديث عمر بن الخطاب بإسناد أحمد باب (ما يقول إذا فرغ من وضوئه) حديث رقم (٨٤) وضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع » برقم (٥٥٤٦) وعزاه إلى النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عمر . ثم قال : قد صح الحديث عنه دون رفع البصر .

(قلت) قد صح الحديث فى مسلم بدون رفع البصر إلى السماء من حديث عقبة بن عامر الجهنى (حـ ١ / ص ٢١٠) .

(١٣٤) تقدم تخريجه برقم (٦٧) .

(*) وهو عند البخارى فى « الأنبياء » (٦ / ح ٣٣٤٠ / فتح) وعند مسلم والترمذى وأحمد بالفاظ مختلفه . وانظر « مختصر العلو » للذهبي ص (٨٧) .

السماء ، قالوا نعم ، قال أنت رسول الله ، قال نعم ، قال الذي في السماء ، قال نعم ؛ فأمره رسول الله ﷺ بالشهادة فتشهد فقال حتى استشهد[١٣٥] ، وروى عدي بن عميرة الكندي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث عن ربه عز وجل قال « وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي » . رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش وأبو أحمد العسال في كتاب المعرفة ، وصح عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد مسلم قال : قال رسول الله ﷺ إن الله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم[١٣٦] . وأصل الحديث في صحيح مسلم ولفظه « فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم »[١٣٧] الحديث . وذكر الدار قطني في كتاب نزول الرب عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له ، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأفكه ، فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه[١٣٨] ، وعن جابر بن سليم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها »[١٣٩] .

---

(١٣٥) ذكره ابن هشام فى « السيرة النبوية » (حـ ٣ / ص ٣٩٧) .

(١٣٦) أخرجه أحمد فى « مسنده » (٢ / ٣٥٩ ، ٣٨٢) من حديث أبى هريرة . والحاكم فى « المستدرك » (١ / ٤٩٥) وقال : حديث صحيح انفرد به مسلم .

(١٣٧) أخرجه مسلم فى « الذكر » (٤ / ٢٥ / ح ٢٦٨٩ / ص ٢٠٦٩ ، ٢٠٧٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(١٣٨) أخرجه الدار قطنى فى « النزول » (٦ ، ٧) وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١٢٧) وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١٠ / ١٥٤) من حديث عبادة بن الصامت وقال : رواه الطبرانى الكبير والأوسط بنحوه ، ويحيى بن إسحق لم يسمع عن عبادة ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة ورجال الكبير رجال الصحيح .
(قلت) وأحاديث النزول كثيرة جداً فى الصحيحين وغيره من غير هذا الإسناد وبألفاظ مختلفة ولقد قمت بتخريجها وتحقيقها كلها فى كتاب « مختصر الصواعق المرسله » للمؤلف وهى تحت الطبع بدار الحديث .

(١٣٩) أخرجه الدارمى فى « المقدمة » (١ / ح ٤٣٧) باب « تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقره » من حديث أبى هريرة ولم أجد فيه سهل بن بكار هذا كما قال المصنف وكذلك ليس فيه قوله « فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته » وليس غيره من المصادر والمراجع الصحيحة الثابتة . (والله أعلم) .
وأما قوله : حديث صحيح أصله فى البخارى فقد أخرج البخارى فى كتاب « اللباس » باب « من جر ثوبه خيلاء » (١٠ / ح ٥٧٨٩) من حديث أبى هريرة وذكر ابن حجر روايات الحديث وطرقه ومتنه لم يأت باللفظة الزائدة المشار إليها آنفاً . وأخرج مسلم أيضاً فى كتاب « اللباس » (٣ / ص ١٦٥٤) من حديث أبى هريرة . ورواه أيضاً النسائى والترمذى وأحمد وابن حبان . بألفاظ متشابه .

رواه الدرامي عن سهل بن بكار أحد شيوخ البخاري وله شاهد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اقبلوا البشرى يا بني تميم ، قالوا بشرتنا فأعطنا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا قد بشرتنا فاقض لنا على هذا الأمر كيف كان ، فقال كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون » حديث صحيح أصله في البخاري(١٤٠) .

وروى البخاري في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه »(١٤١) ، وفي قصة وفاة النبي من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : إذا أنا مت فاغسلني أنت وابن عباس يصب الماء وجبرائيل ثالثكما ، وكفني في ثلاثة أثواب بيض جدد وضعوني في المسجد ، فإن أول من يصلي على الرب عز وجل من فوق عرشه(١٤٢) ، وقد روي في حديث خطبة علي رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما استأذنها قالت يا أبت كأنك إنما ادخرتني لفقير قريش ، فقال والذي بعثني بالحق نبياً ما تكلمت بهذا حتى أذن الله فيه من السماء ، فقالت رضيت بالله وبما رضي الله لي(*) وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قصة الشفاعة ، الحديث بطوله مرفوعاً وفيه : فآتي ربي عز وجل فأجده على كرسيه أو سريره جالساً(١٤٣) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : حدثنا رسول ﷺ قال « يأتوني فأمشي بين أيديهم حتى آتي باب الجنة ، وللجنة مصراعان من ذهب مسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، قال معبد : فكأني أنظر إلى أصابع أنس حين فتحها يقول مسيرة ما بينهما خمسمائة عام ، فأستفتح فيؤذن لي فأدخل على ربي فأجده قاعداً على كرسي العز فأخر له ساجدا » رواه خشيش بن أصرم النسائي في كتاب السنة له وذكر

---

(١٤٠) ذكره الذهبي في « مختصر العلو » وصححه (ص ٩٨) وأخرج البخاري في كتاب « بدء الخلق » (٦ / ح ٣١٩٠ / فتح) من حديث عمران بن حصين بنحوه ،

(١٤١) ذكره الذهبي في « مختصر العلو » ص (٩٨) وقال : راوته ثقات ، رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة له .

(١٤٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩ / ٣٠) وهو حديث طويل جداً قال : رواه الطبراني وفيه عبد المنعم بن إدريس وهو كذاب وضّاع .

(*) لم أجده فيما بين يدي من المصادر المعتمدة .

(١٤٣) أخرجه أحمد « مسنده » من حديث ابن عباس (١ / ٢٨٢) بطوله وله شاهد في صحيح البخاري تقدم تخريجه برقم (٦٧) .

عبد الرزاق عن معمر عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا وله في كل سماء كرسي ، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم يقول : من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه ، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه . رواه أبو عبد اللهفي مسنده وروي عن سعيد مرسلاً وموصولاً قال الشافعي رحمه الله تعالى : مرسل سعيد عندنا حسن(١٤٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا جمع الله الخلائق حاسبهم فميز بين أهل الجنة وأهل النار وهو في جنته على عرشه قال محمد بن عثمان الحافظ : هذا حديث صحيح وعن جابر بن سليم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته . حديث صحيح(١٤٥) .

وروى عبد الله بن بكر السهمي حدثنا يزيد بن عوانة عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن عبد لله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله ، فقال رجل من القوم هذه ابنه رسول الله ، فقال أبو سفيان : ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل ريحانة في وسط الزبل ، فسمعته تلك المرأة فأبلغته رسول الله ، فخرج رسول الله ﷺ أحسبه قال مغضباً ؛ فصعد على منبره وقال : « ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ، إن الله خلق سمواته سبعاً فاختار العليا فسكنها وأسكن سمواته من شاء من خلقه . وخلق أرضين سبعاً فاختار العليا فأسكن فيها من خلقه واختار خلقه ، فاختار بني آدم ، ثم اختار من بني آدم فاختار العرب ثم اختار مضر فاختار قريشاً ثم اختار قريشاً فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم أزل من خيار من خيار ، ألا من أحب قريشاً فبحبي أحبهم ، ومن أبغض قريشاً فببغضي أبغضهم(١٤٦) .

---

(٤٤) أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١ / ص ٢١٨) وإسناده حسن وقد خرجته في كتاب « مختصر الصواعق المرسلة » للمؤلف .

(١٤٥) سبق تخريجه برقم (١٣٩) .

(١٤٦) ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٢١٥) وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به وبقية رجاله وثقوا ، وذكره الألباني في « الضعيفة » وقال : « حديث منكر » . ثم قال : ومما ينبغي أن يعم أن القطعة الأخيرة من الحديث المتضمنه فضل العرب وفضل الرسول وقال ثانيه في أحاديث صحيحه .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ؛ فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى ، وإذا كان الرجل السوء قالوا : أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في جسد الخبيث ، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان ، فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح له أبواب السماء ، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر »[١٤٧] .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض ؛ فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر (مرتين أو ثلاثاً) ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ؛ ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . قال فتخرج فتسيل كما القطرة من في السقاء فيأخذها : فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ؛ وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض ؛ قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول هو رسول الله ، فيقولان له وما

---

(١٤٧) (قلت) الحديث بهذا الإسناد ليس فى مسند الإمام أحمد إنما هو عند ابن ماجة فى كتاب « الزهد » باب « ذكر الموت والاستعداد له » (حـ ٢ / ح ٤٢٦٢) من طريق ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة . فذكره قال الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (١٩٦٨) حديث صحيح .

علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل من أحسن الناس وجهاً ، حسن الثياب طيب الرائحة فيقول أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له من أنت فوجهك وجه الذي يأتي بالخير ، فيقول أنا عملك الصالح ، فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، وذكر الحديث وهو صحيح ، صححه جماعة من الحفاظ[١٤٨] .

وقال عثمان بن سعيد الدرامي الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد وهو ابن سلمة ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « لما أسري بي مررت برائحة طيبة ، فقلت يا جبرائيل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ قال هذه رائحة ماشطة ابنه فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله تعالى ، فقالت ابنته أبي ، قالت لا ولكن ربي ورب أبيك الله ، فقالت أخبر بذلك أبي ، قالت نعم ، فأخبرته فدعا بها فقال من ربك ، هل لك رب غيري ؟ قالت ربي وربك الله الذي في السماء ، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها » وساق الحديث بطوله[١٤٩] .

---

(١٤٨) أخرجه الإمام أحمد فى « مسنده » مطولاً (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) من حديث البراء بن عازب وقد ذكره الحافظ بن حجر فى فتاويه (عن أحوال القبور وأهوال النشور) وقد نشرت منفرده ومعها دفاع ابن القيم عن هذا الحديث الذي نحن بصدده نشرتها دار الحديث بتحقيق الأستاذ محمد القاضي فهي رساله جيده فلتراجع .

(١٤٩) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب فى كتاب « الفتن » (٢ / ح ٤٠٣٠) وفى إسناده سعيد بن بشير وأحمد فى « المسند » بإسناد المصنف (١ / ٣٠٩ ، ٣١٠) والحاكم فى « المستدرك » (٢ / ٤٩٦ ، ٤٩٧) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقى فى « شعب الإيمان » (٢ / ح ١٦٣٦) بنفس الإسناد . وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » برقم (٤٧٧٥) وقال : ضعيف (قلت) والعلة هو اختلاط عطاء بن السائب ، وحماد بن سلمه سمع منه بعد الاختلاط وأيضاً سمع منه قبل الاختلاط لكن الشاهد أن هذه القصة سمعها منه بعد الاختلاط وذلك لتعارضه للحديث الصحيح عند مسلم بلفظ « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ، غلام جريج ... ثم ذكر قصته .. والثالث قال « كانت امرأة ترضع ابناً لها من بنى إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فترك ثديها وأتى على الراكب فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ... ثم ذكر باقى القصه ولم يكن فيها قصة مشاطة فرعون وابنها . ولعله خلط بينها وبين قصة الغلام الذى قال لأمه اصبرى وذلك فى حادثة الأخدود وكان يرضع « والله أعلم »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كان ملك الموت يأتى الناس عياناً فأتى موسى فلطمه فذهب بعينه فعرج إلى ربه فقال بعثتنى إلى موسى فلطمنى فذهب بعينى ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه ، فقال ارجع إلى عبدى فقل له فليضع يده على متن ثور فله بكل شعرة توارت بيده سنة يعيشها فأتى فبلغه ما أمر به ، فقال ما بعد ذلك ؟ قال الموت ، قال الآن ، فشمه شمة قبض روحه فيها ورد الله على ملك الموت بصره » هذا حديث صحيح أصله وشاهده فى الصحيحين(١٥٠) ، وقال أيضاً حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا إسحاق بن سليمان حدثنا أبو جعفر الرازى عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « لما ألقى إبراهيم فى النار قال اللهم إنك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد أعبدك »(١٥١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه ، « عجبت من ملكين نزلا يلتمسان عبداً فى مصلاه كان يصلى فيه فلم يجداه فعرجا إلى الله فقالا يا ربنا عبدك فلان كنا نكتب له من العمل فوجدناه قد حبسته فى حبالك ، فقال اكتبوا لعبدى عمله الذى كان يعمل »(١٥٢) رواه ابن أبى الدنيا وله شاهد فى البخارى ، وفى حديث عبد الله بن أنيس الأنصارى الذى رحل إلى جابر بن عبد لله رضى الله عنه من المدينة إلى مصر حتى سمع منه وقال له بلغنى أنك تحدث بحديث فى القصاص عن رسول الله ﷺ لم أشهده ، وليس أحد أحفظ له منك ، قال نعم سمعت رسول الله الله ﷺ يقول « إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً ثم يجمعهم ثم ينادى وهو قائم على عرشه »(١٥٣) وذكر الحديث احتج به أئمة أهل السنة أحمد بن حنبل وغيره .

---

(١٥٠) أخرجه البخارى فى كتاب « الجنائز » (٣ / ح ١٣٣٩) فتح من حديث أبى هريرة ومسلم فى « الفضائل » (٤ / ١٥٧ ، ١٥٨ / ح ٢٣٧٢ / ص ٢٣٧٢ / ص ١٨٤٢ ، ١٨٤٣) وأحمد فى « مسنده » (٢ / ٥٣٣) من حديث أبى هريرة بلفظ المصنف ورواه أيضاً النسائى بنحوه .

(١٥١) أخرجه أبو يعلى والبزار (٣ / ١٠٣ / ٢٣٤٩ - كشف الأستار) من حديث أبى هريرة والدارمى فى « الرد على الجهمية » وأبو نعيم فى « الحلية » (١ / ١٩) والخطيب فى تاريخه (١٠ / ٣٤٦)

(قلت)وفيه أبو جعفر وهو عيسى بن أبى عيسى عبد الله بن هامان . قال الحافظ : « صدوق سيء الحفظ » وأبو هشام الرفاعى واسمه محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلى . قال الحافظ : ليس بالقوى . وقال البخارى : رأيتهم مجمعين على ضعفه وضعفه الألبانى فى « الضعيفه » .

(١٥٢) أخرجه أبو داود الطيالسى فى « مسنده » (ص ٤٦ / ح ٣٤٨) . من حديث ابن مسعود . أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٧ / ح ٩٩٣٨) . وفيه محمد بن أبى حميد . قال الحافظ : ضعيف وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » رقم (٣٦٨٤) وقال : ضعيف .

(١٥٣) أخرجه أحمد فى « مسنده » (٣ / ٤٩٥) من حديث عبد الله بن أنيس وذكر القصة وليس فيها (وهو قائم على عرشه) وذكر الهيثمى فى « المجمع » (١ / ١٣٣) وقال : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وعبد الله بن محمد ضعيف .

وروى الحارث بن أبي أسامة فى مسنده من حديث عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « إن الله ليكره فى السماء أن يخطأ أبو بكر فى الأرض »[١٥٤] ولا تعارض بين الحديث وبين قول النبى ﷺ له رضى الله عنه فى حديث الرؤيا « أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً »[١٥٥] لوجهين (أحدهما) أن الله سبحانه وتعالى يكره تخطئة غيره من آحاد الأمة لا تخطئة الرسول ﷺ فى أمر ما ؛ فإن الحق والصواب مع رسول الله ﷺ قطعاً بخلاف غيره من الأمة فإنه إذا أخطأ الصديق رضى الله عنه لم يتحقق أن الصواب معه ، بل ما تنازع الصديق وغيره فى أمر ما إلا وكان الصواب مع الصديق رضى الله عنه (الثاني) أن التخطئة هنا نسبة إلى الخطأ العمد الذى هو الإثم كما قال تعالى ﴿ **إن قتلهم كان خطأ كبيراً** ﴾[١٥٦] لا من الخطأ الذى هو ضد العلم والتعمد والله أعلم .

وروى أبو نعيم من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا فيذكره الله من فوق سبع سموات فيقول : ملائكتى إن عبدى هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا فإن فتحتها له فتحت له باباً من أبواب النار . ولكن أزوها عنه فيصبح العبد عاضا على أنامله فيقول من دهانى ، من سبقنى ، وما هى إلا رحمة رحمه الله بها[١٥٧] ، وفى مسند الإمام أحمد من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قلت : « يا رسول الله ما أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه

(قلت) ولكن صح عن النبى ﷺ أنه قال من حديث ابن عباس « إنكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلاً » إخراج البخارى (١١ / ح ٦٥٢٤ / فتح) .

(غرلاً) جمع أغرل وهو الأقلف وهو من بقيت غرلته وهى الجلدة التى يقطعها الخاتن من الذكر .

(١٥٤) ذكره ابن حجر العسقلانى فى « المطالب العالية » (٤ / ح ٣٨٨٦) وسكت عليه البوصيرى . وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوا ئد » (٩ / ٤٦) وقال : رواه الطبرانى وأبو العطوف لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات وفى بعضهم خلاف ذكر الهيثمى أيضاً من حديث سهل بن سعد الساعدى بلفظ . استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر فاشاروا عليه فأصاب أبو بكر فقال رسول الله ﷺ « أن الله يكره أن يخطىء أبو بكر » وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات . وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » برقم (١٧٥٧) من حديث معاذ وقال : موضوع .

(١٥٥) أخرجه مسلم فى « الرؤيا » (٤ / ١٧ / ح ٢٢٦٩) من حديث ابن عباس وأبو داود فى « السُّنّة » (٤ / ح ٤٦٣٢) وابن ماجه فى « الرؤيا » (٢ / ح ٣٩١٨) والدارمى فى « الرؤيا » (٢ / ح ٢١٥٦) وأحمد فى « مسنده » (١ / ٢٣٦) والكل من حديث ابن عباس .

(١٥٦) الإسراء / ٣١ .

(١٥٧) أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٣ / ٣٠٥) ، (٧ / ٢٠٨) .

الأعمال إلى رب العالمين عز وجل ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم »[١٥٨] وفى الثقفيات من حديث جابر بن سليم رضى الله عنه عن النبى ﷺ « أن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فيهما فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فى الأرض ، فاحذروا معاصى الله » وأصله فى الصحيح[١٥٩] .

وقال أبو بكر بن أبى شبية حدثنا عبدة بن سليمان عن أبى حيان عن حبيب بن أبى ثابت أن حسان بن ثابت رضى الله عنه أنشد النبى ﷺ .

شهدت بأذن الله أن محمداً ... رسول الله الذى فوق السموات من عل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يقول بذات الله فيهم ويعدل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل

وقال شيخ الإسلام أخبرنا على بن بشر أخبرنا ابن مندة أخبرنا خيثمة بن سليمان حدثنا السرى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن اليهود أتوا النبى ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض فذكر حديثاً طويلاً قال ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش ، قال أصبت يا محمد لو أتممت ثم استراح فغضب غضباً شديداً فأنزل الله ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾[١٦٠] .

فصل فيما حفظ عن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من ذلك

(قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه) قال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر قال : لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضى الله عنه : أيها الناس إن كان محمداً إلهكم الذى تعبدونه فإن إلهكم قد مات ، وإن كان إلهكم الله الذى فى السماء

---

(١٥٨) أخرجه أحمد فى « مسنده » (٥ / ٢٠١ ، ٢٠٦) والنسائى مختصراً (٤ / ٢٠٢) وأبو نعيم فى الحلية (٩ / ١٨) وابن أبى شيبة فى « مصنفه » (٣ / ١٠٣) ، وذكره المنذرى فى الترغيب (٢ / ١١٦) وأبى القاسم البغوى البغدادى فى « مسند » أسامة بن زيد رقم (٤٨) والحديث حسن بمجموع طرقه ..

(١٥٩) تقدم تخريجه برقم (١٣٩) .

(١٦٠) أخرجه الطبرى فى تفسيره من حديث أبى بكر (١١ / ٢٦ / ١١١) وذكره ابن كثير فى « التفسير » (٤ / ٢٢٩) بنحوه سورة ق / ٣٨ .

فإن إلهكم لم يمت ، ثم تلا ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[١٦١] .

وقال البخارى فى تاريخه قال محمد بن فضيل عن فضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبو بكر رضي الله عنه عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال « بأبي أنت وأمى طبت حياً وميتاً » ، وقال : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فإن الله فى السماء حى لا يموت »[١٦٢] . وفى صحيح البخارى من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ذهب إلى بنى عمرو بن عمرو بن عوف ليصلح بينهم ، فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فذكر الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ أشار إلى أبى بكر أن امكث مكانك ، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ثم استأخر ، فذكره[١٦٣] .

(قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال إسماعيل عن قيس قال لما قدم عمر رضى الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونا ليلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر رضى الله عنه « ألا أراكم ها هنا إن الأمر من ههنا »[١٦٤] وأشار بيده إلى السماء .

وقال عثمان بن سعيد الدرامى ، حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جرير بن حازم قال سمعت أبا يزيد المزنى قال لقيت امرأة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقال لها خولة بنت ثعلبة رضى الله عنها وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ، ودنا منها وأصغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز قال : ويلك تدرى من هذه ؟ قال لا ، قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما إنصرفت حتى تقضى حاجتها[١٦٥] .

---

(١٦١) (قلت) هذا الإسناد فيه محمد بن فضيل بن غزوان . قال الحافظ : صدوق عارف ، رمى بالتشيع ولكن الحديث صح من طريق البخارى برواية عائشة فى كتاب « الجنائز » (حـ ٣ / ح ١٢٤١ ، ١٢٤٢ / فتح) وذلك فى قصة وفاة النبي ﷺ وابن ماجه فى « الجنائز » (١ / ح ١٦٢٧) من حديث عائشة بنحو حديث البخارى والحاكم فى « المستدرك » (٢ / ٢٩٥) من حديث ابن عباس . سورة آل عمران / ١٤٤ –

(١٦٢) تقدم الكلام عليه فى الحديث السابق .

(١٦٣) أخرجه البخارى فى « الأذان » (٢ / ح ٦٨٤ / فتح) ومسلم فى « الصلاة » (١ / ١٠٢ / ح٤٢١ / ص ٣١٦) من حديث سهل ورواه أيضاً أبو داود ومالك فى الموطأ وغيره ، .

(١٦٤) ذكره الذهبي فى « العلو » والألبانى فى « مختصر العلو » وقال الذهبى ص (١٠٢) إسناده كالشمس . قال الألبانى : أخرجه الدارمى (ص ١٠٥) وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين .

(١٦٥) ذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٤ / ٣١٨) كما فى المصنف وقال : هذا منقطع بين أبى يزيد وعمر بن الخطاب .

وقال خليد بن دعلج عن قتادة قال « خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المسجد ومعه جارود العبدى فإذا بامرأة بارزة على ظهر الطريق ، فسلم عليها عمر رضى الله عنه فردت عليه السلام وقالت إيها يا عمر ، عهدتك يا عمر وأنت تسمى عميراً فى سوق عكاظ تزع الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ولم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال الجارود لقد اجترأت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ، فقال عمر رضى الله عنها دعها أما تعرفها ، هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، فعمر أحق أن يستمع لها ، قال ابن عبد البر قال وحدثنا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف لها وجعل يحدثها وتحدثه ، فقال رجل يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز ، قال ويحك تدرى من هذه . هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات » الحديث .

(قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه) قال ابن عبد البر رحمه الله كتاب الاستيعاب . روتنا من وجوه صحاح أن عبد الله بن رواحه رضى الله عنه مشى إلى أمة له فنالها . فرأته امرأته فلامته فجحدها فقالت له : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن فقال :

شهدت بأن وعد الله الحق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسوّمينا

فقالت آمنت بالله وكذبت عينى . وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه[١٦٦] .

(قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه) قال الدارمى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زرعن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسى خمسمائة عام وبين الكرسى إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه »[١٦٧] وروى الأعمش عن خيثمة عنه « أن العبد ليهم بالأمر من التجارة

---

(١٦٦) عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن أمرئ القيس ، الخزرجى الأنصارى الشاعر ، أحد السابقين ، شهد بدراً ، واستشهد بمؤته ، وكان ثالث الأمراء بها فى جمادى الأولى ، سنه ثمان .
(تقريب ١ / ٤١٥)

(١٦٧) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (ص ١٠٤) والذهبى فى « مختصر العلو » ص (١٠٣) وقال رواه عبد الله

أو الإشارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملك اصرفه عنه فيصرفه عنه »[١٦٨] .

(قول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتاب السنة من حديث سعيد بن جبير رضى الله عنه قال « تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله ، فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك »[١٦٩] .

وفي مسند الحسن بن سفيان وكتاب عثمان بن سعيد الدارمى من حديث عبد الله بن أبى مليكة أنه حدثه ذكوان قال : استأذن ابن عباس رضى الله عنهما على عائشة رضى الله عنها وهى تموت فقال « كنت أحب نساء النبى ﷺ إليه ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات ، جاء بها الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار »[١٧٠] .

وذكر الطبرانى فى شرح السنة من حديث سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس إن ناساً يكذبون بالقدر . قال « يكذبون بالكتاب ، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه إن الله كان عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه »[١٧١] .

وقال إسحاق بن راهويه أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة فى قوله تعالى ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** ﴾[١٧٢] قال ابن

بن الإمام أحمد فى « السنة » له وغيره وإسناده صحيح وتعقبه الألبانى فى « المختصر » وقال : وسندهم جيد ..

(١٦٨) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : أخرجه اللالكائى بإسناد قوى وتعقبه الألبانى فى « المختصر » وقال : أخرجه اللالكائى فى « السنة » ص (٦٥) بسند ضعيف .

(١٦٩) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (ص ٤٢٠) وذكره الألبانى فى « ضعيف الجامع » رقم (٢٤٧١) وقال : ضعيف .

(قلت) وذكر شيخنا الألبانى فى« الصحيحة » رقم (١٧٨٨) حديثاً بلفظ « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله عز وجل » وجاء بطرقه جميعاً فى كتب السنة لا داعى لإثباتها هنا لعدم الإطاله ثم قال : وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندى . والله أعلم ا .هـ .

(١٧٠) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : أخرجه عثمان الدارمى فى «الرد على بشر بن غياث المريسى» (ص ١٠٥) وقال الألبانى فى « المختصر » سنده صحيح على شرط مسلم .

(١٧١) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : إسناده صحيح .

(١٧٢) الأعراف / ١٧ .

عباس رضى الله عنهما « لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم »(*) .

(قول عائشة رضى الله عنها) قال الدارمى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية بن أسماء قال : سمعت نافعًا يقول : « قالت عائشة رضى الله عنها : وأيم الله إنى لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - تعنى عثمان - ولكن علم الله من فوق عرشه أنى لم أحب قتله »(١٧٣) .

(قول زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها) ثبت فى الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : كانت زينب تفتخر على أزواج النبى ﷺ وتقول : « زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات(١٧٤) : وفى لفظ غيرها كانت تقول « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه ، كان جبريل السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتك »(١٧٥) رواه العسال .

(قول أبى أمامه الباهلى رضى الله عنه) قال « لما لعن الله إبليس وأخرجه من سماواته وأخزاه قال : رب أخزيتنى ولعنتنى وطردتنى عن سماواتك وجوارك فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح فى أجسادهم ، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال : وعزتى وجلالى وارتفاعى على عرشى لو أن عبدى أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات » وقد روى هذا المتن مرفوعًا ، ولفظه « وعزتى وجلالى وارتفاعى لو أن عبدى » - وذكره . رواه ابن لهيعة عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الشيطان قال : وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم ، فقال الرب : وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر ما استغفرونى »(١٧٦) .

(*) ذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٢ / ٢٠٤) من طريق الحكم بن أبان وقال ابن عباس « ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم » .

(قلت) وفى إسناد المصنف إبراهيم بن الحكم بن أبان قال الحافظ : ضعيف . وفيه الحكم بن أبان قال الحافظ : صدوق عابد ، وله أوهام ..

(١٧٣) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال الألبانى فى « مختصره » : أخرجه الدارمى فى « الرد على الجهمية » (ص ٢٧) .

(١٧٤) سبق تخريجه رقم (١٢١) .

(١٧٥) ذكره ابن حجر فى « الفتح » (١٣ / ص ٤٢٣) وقال : هو من مرسل الشعبى وقال : أخرجه الطبرى وأبو القاسم الطحاوى فى كتاب « الحجة والتبيان » له .

(قلت) وهو فى « تفسير الطبرى » (٢٢ / ١١) بلفظ آخر نحوه وذكره الذهبى فى « العلو » وأورده الألبانى فى « مختصر العلو » ص (٨٤) .

(١٧٦) ذكره الهيثمى فى « المجمع » (١٠ / ٢٠٧) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه قال والطبرانى فى الأوسط ، وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادى أبى يعلى .

(قول الصحابه كلهم رضى الله عنهم) قال يحي بن سعيد الأموى فى مغازيه حدثنا البكائى عن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن سنان عن سعيد بن الأجود الكندى عن العرس بن قيس الكندى عن عدى بن عميرة رضى الله عنه قال « خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ فذكر قصة طويلة وقال فيها : فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم فى السماء فأسلمت وتبعته » .

(وذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى) قال مسروق رحمه الله : قال على بن الأقمر : « كان مسروق إذا حدث عن عائشة رضى الله عنها قال حدثتنى الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات »(١٧٧) .

(قول عكرمة رحمه الله) قال سلمة بن شبيب حدثنا إبرهيم بن الحكم قال : حدثنى أبى عن عكرمة رحمه الله تعالى قال : « بينما رجل مستلق على مننه فى الجنة فقال فى نفسه لم يحرك شفتيه لو أن الله يأذن لى لزرعت فى الجنة فلم يعلم إلا والملائكة على أبواب جنته قابضين على أكفهم فيقولون سلام عليك ، فاستوى قاعداً ، فقالوا له يقول لك ربك تمنيت شيئًا فى نفسك قد علمته ، وقد بعث معنا هذا البذر يقول لك ابذر ، فألقى يميناً وشمالاً وبين يديه وخلفه ، فخرج أمثال الجبال على ما كان تمنى وزاد ، فقال له الرب من فوق عرشه : كل يا ابن آدم ؛ فإن ابن آدم لا يشبع »(١٧٨) .

(قول قتادة رحمه الله تعالى) قال الدارمى : أخبرنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة قال : « قالت بنو إسرائيل يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال إذا رضيت استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم »(١٧٩) .

(قول سليمان التيمي رحمه الله تعالى) قال ابن أبي خيثمة في تاريخه حدثنا هرون بن معروف قال : حدثنا ابن ضمرة عن صدقة التيمي عن سليمان التيمي قال : « لو سئلت أين الله ؟ لقلت في السماء »(١٨٠) .

---

(١٧٧) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال : إسناده صحيح .

(١٧٨) وفى سنده إبراهيم بن الحكم . قال الحافظ فى « التقريب » : ضعيف كان يوصل المراسيل .

(١٧٩) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال : هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار قال الألبانى فى « المختصر » : أخرجه الدارمى وسنده حسن .

(١٨٠) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال : سليمان من أئمة أهل البصرة علماً وعملاً وأخرجه البخارى فى « خلق أفعال العباد » ص (١٨) وقال الألبانى فى « مختصر العلو » (ص ١٣٣) أخرجه الالكائى (٢١٩٢) وصدقة هذا هو ابن المنتصر أبو شعبة الشعبانى قال أبو زرعة : لا بأس به كما فى « الجرح والتعديل » وسائر رجاله ثقات .

(قول كعب الأحبار رحمه الله تعالى) قال الليث بن سعد حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن يزيد بن أسلم حدثه عن عطاء بن يسار قال « أتى رجل كعبًا وهو في نفر فقال : يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار ، فأعظم القوم قوله : فقال كعب دعوا الرجل فإن كان جاهلاً تعلم ، فإن كان عالماً ازداد علماً ، ثم قال كعب أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، ثم جعل ما بين كل سمائين كما بين سماء الدنيا والأرض ، وكثفهن مثل ذلك ، ثم رفع العرش فاستوى عليه فوقه ، وقال نعيم بن حماد أخبرنا أبو صفوان الأموى عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن كعب قال : « قال الله فى التوراة : أنا الله فوق عبادى وعرشى فوق جميع خلقى وأنا على عرشى أدبر أمور عبادى ؛ لا يخفى على شيء من أمور عبادى فى سمائى ولا أرضى وإلىَّ مرجع خلقى فأنبئهم بما خفى عليهم من علمى ، أغفر لمن شئت منهم بمغفرتى وأعاقب من شئت بعقابى »[١٨١] .

(قول مقاتل رحمه الله تعالى) ذكر البيهقي في الأسماء والصفات عن بكر بن معروف عن مقاتل « بلغنا والله أعلم في قوله عز وجل ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء ، والظاهر فوق كل شيء ، والباطن أقرب من كل شيء ، وإنما يعني القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم ، وبهذا الإسناد عنه في قوله تعالى ﴿ **ألا هو معهم** ﴾ يقول بعلمه وذلك قوله ﴿ **إن الله بكل شيء عليم** ﴾ فيعلم نجواهم ويسمع كلامهم ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء ، وهو فوق عرشه وعلمه معهم »[١٨٢] .

(قول الضحاك رحمه الله تعالى) روى بكر بن معروف بن مقاتل بن حيان عنه ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾ « قال هو الله على العرش وعلمه معهم »[١٨٣] .

(قول التابعين جملة) روى البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته[١٨٤] .

---

(١٨١) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : رواته ثقات وقال شيخنا الألبانى فى « المختصر » ص (١٢٨) : سنده صحيح .

(١٨٢) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (ص ٤٣٠ ، ٤٣١) وذكره الذهبى فى « العلو » (ص ١٣٩) وقال : مقاتل هذا ثقه إمام قال الألبانى فى « المختصر » فى إسناده إسماعيل بن قتيبة ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً .

(١٨٣) أخرجه عبد الله بن أحمد فى « السنة » (ص٧١) والبيهقىفى الأسماء والصفات ص (٤٣٠) وأبو داود فى مسائله والالكائى . وقال الألبانى : إسناده حسن .

(١٨٤) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (ص ٤٠٨) وذكره الذهبى فى « العلو » وعزاه إلى البيهقى . وأورده ابن تيميه فى « الفتوى الحموية » ص (٤٣) وقال : إسناده صحيح .

قال شيخ الإسلام : وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله سبحانه فوق عرشه ، والفاني لصفاته ، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾[١٨٥] هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به .

(قول الحسن رحمه الله تعالى) روى أبو بكر الهذيلي عن الحسن رحمه الله قال : « ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل وبينه وبين ربه سبعة حجب ، كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ، وإسرافيل دون هؤلاء ، ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة »[١٨٦] .

(قول مالك بن دينار رحمه الله تعالى)[١٨٧] ذكر أبو العباس السراج أخبرنا عبد الله بن أبي زياد وهرون قالا : حدثنا سيار قال حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : « إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة ، ثم يقول : خذوا فيقرءون ، ويقول اسمعوا إلى قوله الصادق من فوق عرشه » ، وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر : « ابن آدم خيري إليك نازل وشرك إليّ صاعد ، وأتحبب إليك بالنعم وتتبغض إلي بالمعاصي ولا يزال ملك كريم قد عرج إليّ منك بعمل قبيح » .

(قول ربيعة بن عبد الرحمن رحمه الله شيخ مالك بن أنس رحمة الله عليه) قال يحيى بن آدم عن أبيه عن ابن عيينة قال : سئل ربيعة عن قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التصديق »[١٨٨] .

---

(١٨٥) المجادلة / ٧

(١٨٦) (قلت) فى إسناده أبو بكر **الهذلى** واسمه سُلمى ، ابن عبد الله قال الحافظ فى « التقريب » : متروك الحديث .

(١٨٧) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصرى ، وهو من موالى بنى سامَةَ بن لؤى القرشى ، كان عالمًا زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة قال الحافظ فى « التقريب » صدوق .

« وفيات الأعيان ٤ / ١٣٩ / تقريب التهذيب ١ / ٢٢٤ »

(١٨٨) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال الألبانى فى « المختصر » : صحيح وأخرجه اللالكائى فى « السنه » (٩٢ / ١) بإسناد آخر عن ابن عيينه وقال شيخ الإسلام ابن تيميه فى « الفتوى الحمويه » رواه الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات ..

(قول عبد الله بن الكوا رحمه الله تعالى)[١٨٩] ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه عن هشام بن سعد قال : قدم عبد الله بن الكوا على معاوية فقال له « أخبرني عن أهل البصرة ؟ قال يقاتلون معًا ويدبرون شتى ، قال فأخبرني عن أهل الكوفة ؟ قال أنظر الناس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة ، قال فأخبرني عن أهل المدينة ؟ قال أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها ، قال فأخبرني عن أهل الموصل ؟ قال قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة ،قال فأخبرني عن أهل مصر ؟ قال لقمة أكل . قال فأخبرني عن أهل الجزيرة ؟ قال كناسة بين مدينتين . قال فأخبرني عن أهل الشام ؟ قال جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئًا ، قال لتقولن قال أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسماء ساكنًا » .

قول تابع التابعين جملة رحمهم الله تعالى

(ذكر قول عبد الله بن المبارك رحمه الله) روى الدارمى والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى على بن الحسن بن شقيق قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : « نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ، ولا نقول كما قالت الجهمية » وفي لفظ آخر قلت : كيف نعرف ربنا ؟ « قال في السماء السابعة على عرشه ، ولا نقول كما قالت الجهمية »[١٩٠] .

وقال الدارمى حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بنَ الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال : قيل له كيف نعرف ربنا ؟ « قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه »[١٩١] .

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمى : ومما يحقق قول ابن المبارك قول رسول الله ﷺ للجارية « أين الله » ؟ يمتحن بذلك إيمانها ، فلما قالت في السماء قال « أعتقها فإنها مؤمنة » ، والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة والحجج متظاهرة والحمد لله على ذلك ، ثم ساقها الدارمى رحمه الله تعالى ، وذكر ابن خزيمة عن ابن المبارك أنه قال له رجل : يا أبا

---

(١٨٩) عبد الله بن الكوّاء من رؤوس الخوارج . وقال البخارى : لم يصح حديثه قال ابن حجر : وله أخبار كثيرة مع على ، وكان يلزمه ويعيبه فى الأسئلة ، وقد رجع عن مذهب الخوارج ، وعاود صحبة على .

(لسان الميزان ٣ / ٤٠٦)

(١٩٠) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : صحيح ، وقال الألبانى فى « المختصر » ص (١٥١ ، ١٥٢) : أخرجه الدارمى فى «الرد على المريسى» ، ص (٢٤ ، ١٠٣) والرد على الجهمية (ص ٥٠) وعبد الله بن أحمد (ص ٧ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٧٢) من طرق عن ابن شقيق فهو صحيح .

(١٩١) ذكره الذهبى فى « العلو » وكذلك ابن تيميه فى « الحمويه » (ص ٥٦) وقال : إسناده صحيح .

عبد الرحمن قد خفت من كثرةما أدعوا على الجهمية ، قال « لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء »[١٩٢] . وصح عن ابن المبارك أنه قال « إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية »[١٩٣] .

(قول الأوزاعي رحمه الله تعالى) قال أبو عبد الله الحاكم : أخبرني محمد بن علي الجوهري ببغداد حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي قال : سمعت الأوزاعي يقول : « كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة » وهذا الأثر يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين ، فلذلك ذكرناه في الموضعين .

(قول حماد بن زيد رحمه الله تعالى) قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أحمد ابن إبراهيم قال حدثنا سليمان بن حرب قال سمعت حماد بن زيد يقول « الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء »[١٩٤] . قال شيخ الإسلام(*) : وهذا الذي كانت الجهمية يحاولونه قد صرح به المتأخرون منهم ، وكان ظهورالسنة وكثرة الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين التصريح به ، فلما بعد العهد وخفيت السنة وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من إظهاره .

(قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى) قال معدان : سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ قال « علمه » . ذكره أبو عمر[١٩٥] .

---

(١٩٢) ذكره الذهبي في « العلو » وعزاه إلى عبد الله بن الإمام أحمد . قال الألباني في « المختصر » أخرجه في « السنة » (ص ٧) عن أحمد بن نصر بن مالك أخبرني رجل عن ابن المبارك ، ورجاله ثقات إلا الرجل الذي لم يسم .

(١٩٣) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان(*) الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . (الفرق بين الفرق ص ٢١١)

(*) جهم بن صفوان الراسبي قال عنه ابن حجر في لسان الميزان (الضال المبتدع رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روى شيئاً ولكنه زرع شراً عظيماً » .
(لسان الميزان ٢ / ١٧٩) .

(١٩٤) ذكره الذهبي في العلو وقال الألباني في « المختصر » ص (١٤٧) إسناده صحيح .

(*) ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب « الفتوى الحموية »

(١٩٥) ذكره الذهبي في « العلو » وقال الألباني في « المختصر » أخرجه عبد الله بن أحمد (ص ٧٢) والآجري (٢٨٩) واللالكائي (١ / ٩٢ / ٢) ومعد أن هذا لم أعرفه وقد وقع موصوفاً في رواية البيهقي بالعابد ، والله أعلم وقال الأحرى في المختصر وهذا الأثر ثابت عن معدان ..

(قول وهب بن جرير رحمه الله تعالى) قال الأثرم حدثنا أبو عبد الله الأوسي قال : سمعت وهب بن جرير يقول « إنما تريد الجهمية أنه ليس في السماء شيء »[١٩٦] قال وقلت لسليمان بن حرب : أي شيء كان يقول حماد بن زيد في الجهمية ؟ فقال كان يقول إنما يريدون أنه ليس في السماء شيء[١٩٧] .

ذكر أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى

(قول الإمام أبي حنيفة قدس الله روحه) قال البيهقي : حدثنا أبو بكر بن الحارث الفقية ، قال حدثنا أبو محمد بن حيان أخبرنا أحمد بن جعفر بن نصر قال حدثنا يحيى بن يعلى قال : سمعت نعيم بن حماد يقول ، سمعت نوح بن أبي مريم أبا عصمة يقول : « كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما ، فدخلت الكوفة فقيل لها أن ها هنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة فاءتيه ، فأتته فقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين إلهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً : أن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض ؛ فقال له رجل أرأيت قول الله تعالى ﴿ **وهو معكم** ﴾ قال هو كما تكتب للرجل إني معك وأنت عنه غائب » . قال البيهقي لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله تعالى وتقدس من الكون في الأرض ، وفيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع في قوله إن الله سبحانه في السماء قال شيخ الإسلام وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه بإسناد عن أبي مطيع البلخي الحكم بن عبد الله قال « سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر قال لا تكفر أحداً بذنب ولا تنفي أحداً من الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا توالي أحداً دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلي رضي الله عنهما إلى الله تعالى »[١٩٨] .

وقال أبو حنيفة رحمه الله « الفقه الأكبر فى الدين خير من الفقه فى العلم ، ولئن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه سبحانه خير من أن يجمع العلم الكثير » . قال أبو مطيع قلت « فأخبرنى

---

(١٩٦) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال الألبانى فى « مختصره » ص (١٧٠) وفى إسناده من لم أعرفه .

(١٩٧) تقدم برقم (١٩٤) .

(١٩٨) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (ص ٤٢٨ ، ٤٢٩) وقال فى آخرها « إن صحت الحكاية » . قال شيخنا الألبانى فى « مختصر العلو » للذهبي ص (١٣٥) : وأنّى لها الصحة وراويها نوح الجامع المتهم بالوضع ، حتى قال بعضهم : جمع كل شيء إلا الصدق ونعيم بن حماد ضعيف اتهمه بعضهم .

عن أفضل الفقه ، قال يتعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة » وذكر مسائل فى الإيمان ، ثم ذكر مسائل فى الإيمان ، ثم ذكر مسائل في القدرة ، ثم قال فقلت « فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج عنه الجماعة ؟ هل ترى ذلك ؟ قال لا : قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسول ﷺ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو فريضة واجبة ؟ فقال كذلك لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام .وذكر الكلام فى قتال الخوارج والبغاة » (إلى أن قال) .

قال أبو حنيفة : « ومن قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فقد كفر ، لأن الله تعالى يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وعرشه فوق سبع سموات .

قلت : فإن قال إنه على العرش ولكنه يقول لأدرى العرش فى السماء أم فى الأرض ، قال هو كافر ، لأنه أنكر أن يكون فى السماء لأنه تعالى فى أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل » .

وفي لفظ « سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قال فقد كفر ، لأن الله يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وعرشه فوق سبع سموات ، قال فإنه يقول ﴿ **على العرشُ استوى** ﴾ ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء ، قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر » . وروي هذا عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بإسناده(١٩٩) .

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد رحمه الله تعالى ، ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض ، واحتج على كفره بقوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال وعرشه فوق سبع سموات ، وبين بهذا أن قوله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ بين في أن الله سبحانه فوق السموات فوق العرش ، وأن الاستواء على العرش ، ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الأرض قال « لأنه أنكر أن يكون فى السماء ، وأن الله فى أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل » ،وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ؛ فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله سبحانه فى العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكذلك أصحابه من بعده كأبى يوسف

---

(١٩٩) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال : رواها صاحب الفاروق وقال الألبانى فى « مختصره » ص (١٣٦) : أبو مطيع هذا من كبار أصحاب أبى حنيفة وفقهائهم .

وهشام بن عبيد الله الرازى كما روى ابن أبى حاتم وشيخ الإسلام بأسانيدهما « أن هشام بن عبيد الله الرازى صاحب محمد بن الحسن قاضى الري حبس رجلاً في التجهم فتاب فجىء به إلى هشام ليمتحنه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد أن الله على عرشه ، ولا أدرى ما بائن من خلقه . فقال ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب » ، وسيأتي قول الطحاوى عند أقوال أهل الحديث .

(قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى) ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا أحمد بن جعفر بن أحمد أن ابن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبي قال حدثنا شريح بن النعمان قال حدثنا عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس « الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان »[٢٠٠]، قال « قيل لمالك﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾كيف استوى فقال مالك رحمه الله تعالى استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء »[٢٠١] ، وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده ، قال يحي بن إبراهيم الطليطلي في كتاب سير الفقهاء – وهو كتاب جليل غزير العلم – حدثني عبد الملك بن حبيب عن عبد الله بن المغيرة عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون قول الرجل يا خيبةِ الدهر ، وكانوا يقولون الله هو الدهر ، وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفي لله ، وإنما يرغم أنف الكافر ، وكانوا يكرهون قول الرجل لا والذي خاتمه على فمي ، وإنما يختم على فم الكافر ، وكانوا يكرهون قول الرجل والله حيث كان أو أن الله بكل مكان ، قال أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته ، وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقهم .

(ذكر قول أبي عمرو الطلمنكي) قال في كتابه في الأصول « أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته ، وقال في هذا الكتاب أيضاً أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، ثم ساق بسنده عن مالك قوله : الله في السماء وعلمه في كل مكان ، ثم قال في هذا الكتاب وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى

---

(٢٠٠) ذكره الذهبى فى « العلو » المختصر ص (١٤٠) . قال شيخنا الألبانى : أخرجه عبد الله فى « السنة » (ص ٥ » وكذا أبو داود فى فى « المسائل » (٢٦٣) والآجرى (ص ٢٨٩) واللالكائى (ق ١ / ٩٢ / ٢) وسنده صحيح . ، واحتج به الإمام أحمد فى رواية الآجرى .

(٢٠١) ذكره الذهبى فى « العلو » المختصر ص (١٤١) وقال : هذا ثابت عن مالك وأخرجه الدارمى فى « الرد على الجهمية » ص (٣٣) واللالكائى (١ / ٩٢ / ١) باللفظ المذكور . كما قال الألبانى « حفظه الله » فى المختصر .

﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء » وهذه القصة في كتابه .

(قول الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه - رحمه الله تعالى) قال في كتاب التمهيد في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن ابن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »[٢٠٢] ، هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وفيه دليل على أن الله سبحانه في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة ، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم : إن الله في كل مكان وليس على العرش .

والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٠٣] وقوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون** ﴾[٢٠٤] وقوله تعالى ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾[٢٠٥] وقوله تعالى ﴿ **إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً** ﴾[٢٠٦] وقوله تبارك اسمه ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٢٠٧] وقوله تعالى ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً** ﴾[٢٠٨] وقوله تعالى ﴿ **ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[٢٠٩] وقوله تعالى ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾[٢١٠] وهذا من العلو .

وكذلك قوله ﴿ **العلى العظيم** ﴾[*] ﴿ والكبير المتعال ﴾[٢١١] ﴿ ورفيع الدرجات ذو

---

(٢٠١) تقدم تخريجه وهو عند أحمد بإسناد قوى .

(٢٠٣) طه /٥ .

(٢٠٤) السجدة / ٤ .

(٢٠٥) فصلت / ١١ .

(٢٠٦) الإسراء / ٤٢ .

(٢٠٧) فاطر /١٠ .

(٢٠٨) الأعراف / ١٤٣ .

(٢٠٩) الملك / ١٦ .

(٢١٠) الأعلى /١ .

(*) البقرة / ٢٥٥ ، الشورى / ٤ .

(٢١١) الرعد / ٩ .

العرش ﴾[٢١٢] ﴿ ويخافون ربهم من فوقهم ﴾[٢١٣] والجهمى يقول أنه أسفل وقوله تعالى ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** ﴾[٢١٤] وقوله ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢١٥] والعروج هو الصعود ، وقوله تعالى ﴿ **يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى** ﴾[٢١٦] وقوله تعالى ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾[٢١٧] وقوله تعالى ﴿ **فالذين عند ربك يسبحون له** ﴾[٢١٨] وقوله تعالى ﴿ **ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢١٩] والعروج هو الصعود وأما قوله ﴿ **ءأمنتم من فى السماء** ﴾[٢٢٠] فمعناه من على السماء يعنى على العرش . وقد يكون فى بمعنى على ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ **فسيحوا فى الأرض** ﴾[٢٢١] أى على الأرض .

وكذلك قوله تعالى ﴿ **ولأصلبنكم فى جذوع النخل** ﴾[٢٢٢] وهذا كله يعضده قوله تعالى ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢٢٣] وما كانا مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب .

وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة[٢٢٤] ، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل ﴿ **استوى** ﴾ استولى ، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة ، والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما

---

(٢١٢) غافر / ١٥ .
(٢١٣) النحل / ٥٠ .
(٢١٤) السجدة / ٥ .
(٢١٥) المعارج / ٣ .
(٢١٦) آل عمران / ٥٥ .
(٢١٧) النساء / ١٥٨ .
(٢١٨) فصلت / ٣٨ .
(٢١٩) المعارج / ٣ .
(٢٢٠) الملك / ١٦ .
(٢٢١) التوبة / ٢ .
(٢٢٢) طه / ٧١ .
(٢٢٣) المعارج / ٣ .
(٢٢٤) **المعتزلة** : أتباع عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وسموا **بالمعتزلة** لأنهم اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصرى رحمه الله فى أوائل المائه الثانية وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتاده وغيره أولئك المعتزله .

يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات ؛ وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه .

قال أبو عبيدة في قوله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٢٥] قال علا ؛ قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غيره استوى أي استقر واحتج بقوله تعالى ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى** ﴾[٢٢٦] انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد . قال ابن عبد البر : الاستواء الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال ﴿ **لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه** ﴾[٢٢٧] وقال تعالى ﴿ **واستوت على الجودى** ﴾[٢٢٨] وقال تعالى ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك** ﴾ وقال الشاعر :

فـــأوردتهم مـــاء بفيفـــاء قفرة وقـــد حلـــق النجم اليماني فـــاستـــوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى ؛ لأن النجم لا يستولي ؛ وقد ذكر النضر بن شميل ، وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة . قال حدثني الخليل وحسبك بالخليل ، قال أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم ما رأيت فإذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا أعرابي إلى جانبه إنه أمركم أن ترفعوا ، فقال الخليل هو من قول الله ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾[٢٢٩] فصعدنا إليه

قال وأما من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان ، فالجواب أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما ونقلته مجهولة وضعفاء ، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف ، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا .

---

(٢٢٥) طه / ٥ .

(٢٢٦) القصص / ١٤ .

(٢٢٧) الزخرف / ١٣ .

(٢٢٨) هود / ٤٤ .

(٢٢٩) فصلت / ١١ .

أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى ابلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً** ﴾[٢٣٠] فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذباً . وقال الشاعر :

فسبحـــان من لا يقـــدر الخلـق قـــدره ومن هـــو فـــوق العرش فرد مـــوحـــد
مليـــــــــك على عرش السماء مهيمن لعـزتـــه تعنـــو الـــوجـــوه وتسجـــد

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت[٢٣١] وفيه يقول وصف الملائكة :

وســـاجـــدهم لا يرفـع الـــدهر رأســـه يعظم ربـــــاً فـــوقـــــه ويمجـــد

قال فإن احتجوا بقوله تعالى ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله** ﴾[٢٣٢] وبقوله تعالى ﴿ **وهو الله في السموات وفى الأرض** ﴾[٢٣٣] ، يقوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾[٢٣٤] وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده ، قيل لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك أنه فى السماء إله معبود من أهل السماء وفى الأرض إله معبود من أهل الأرض . وكذلك قال أهل العلم بالتفسير ، وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش فالاختلاف فى ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله فى الآية الأخرى ﴿ **وفى الأرض إله** ﴾ فالإجماع والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض ، فتدبر هذا فإنه قاطع .

ومن الحجة أيضاً في أنه سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى . وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطراري لم يخالفهم فيه أحد ولا

---

(٢٣٠) غافر / ٣٦ ، ٣٧ .

(٢٣١) هو أمية بن أبى الصلت بن ربيعة بن عبد عوف . وقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله جل وعز ورغب عن عبادة الأوثان وكان يخبر بأن نبياً يبعث قد أظل زمانه وَيُؤَمِّلُ أن يكون ذلك الشيء فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ موقصّته كفر حسداً له .
(الشعر والشعراء ص ٣٠٠)

(٢٣٢) الزخرف / ٨٤ .

(٢٣٣) الأنعام / ٣ .

أنكره عليهم مسلم ، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله بأن قال لها : « أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها من أنا ، قالت أنت رسول الله ، قال اعتقها فإنها مؤمنة » ، فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه .

قال وأما احتجاجهم بقوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله . وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا[٢٣٥] . قال وبلغني عن سفيان الثورى مثله . قال سنيد حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : الله فوق العرش وعلمه في كل مكان لا يخفي عليه شيء من اعمالكم . ثم ساق من طريق يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الأخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم » ، وذكر هذا الكلام أو قريباً منه في كتاب الاستذكار .

(ذكر قول الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيراني) قال في خطبته برسالته المشهورة « باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات » ومن ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له ، وليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفوان ولا يحيط بأمره المتفكرون ، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ، وهو العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير . وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو بكل مكان بعلمه وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه ، وذكر في كتابه المفرد في السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير فقال :

---

(٢٣٥) ذكره الذهبي في « العلو » (مختصر ص ١٣٣) وقال : أخرجه العسال وأبو غبد الله بن بطة ، وأبو عمر بن عبد البر بأسانيد جيد ، ومقاتل ثقة إمام .

فصل فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة « أن الله سبحانه وتعالى اسمه ؛ له الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف بأن له علماً وقدرة وإرادة ومشيئة أحاط علماً بجميع ما بدأ قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وأن كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفذ ، وأن الله سبحانه كلم موسى عليه الصلاة والسلام بذاته وأسمعه كلامه لا كلاماً قام في غيره ، وأنه يسمع و يرى ويقبض ويبسط ، وأن يديه مبسوطتان ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي قوله سبحانه ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾[٢٣٦] .

وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائياً والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه يرضي ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب ، فلا يقوم شيء لغضبه ، وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه ؛ وأنه في كل مكان بعلمه وأن لله سبحانه كرسياً كما قال جل جلاله ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[٢٣٧] وكماجاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء » .

وقال مجاهد : كانوا يقولون ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ، وأن الله سبحانه يراهُ أولياؤه في المعاد بأبصارهم لا يضاهون في رؤيته كما قال سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[٢٣٨] وقال رسول الله ﷺ في قوله سبحانه ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[٢٣٩] هو النظر إلى وجهه الكريم[٢٤٠] ، وأنه يكلم عباده يوم القيامة ، ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان ، وأن

(٢٣٦) ص / ٧٥ .

(٢٣٧) البقرة / ٢٥٥ .

(٢٣٨) القيامة / ٢٢ ، ٢٣ .

(٢٣٩) يونس / ٢٦ .

(٢٤٠) ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (٢ / ٤١٤) جمع من الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف والخلف « بالنظر إلى وجهه الكريم » . وقال : وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وعند الإمام أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والإمام مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة . ا .هـ .

(قلت) وأخرج الإمام مسلم في « صحيحه » كتاب « الإيمان » (١ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ / ح ١٨١ / ص ١٦٣) من حديث صهيب عن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » ثم تلا هذه الآية : لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [**يونس / ٢٦**]

الجنة والنار داران قد خلقتا ، أعدت الجنة للمؤمنين المتقين ، والنار للكافرين الجاحدين ، ولا يفنيان ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه ، وأن مقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، تفضل على من أطاعه فوفقه وحبب الإيمان إليه وزينه في قلبه فيسره له وشرح له صدره ونوّر له قلبه فهداه ، ومن يهد الله فما له من مضل وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره فحجبه وأضله ، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً وكل ينتهي إلى سابق علمه لا محيص لأحد عنه ، وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصاً عن حقائق الكمال لا محبط للإيمان ، ولا قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنيه ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيراً ، ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى كما قال سبحانه ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ .

وقال تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[٢٤١] وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم كما قال تعالى ﴿ **وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون** ﴾[٢٤٢] وقال تعالى ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[٢٤٣] وأن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله تعالى متى شاء كما قال تعالى ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم** ﴾[٢٤٤] وأن الخلق ميتون بآجالهم ، فأرواح أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة : وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وأن عذاب القبر حق وأن المؤمنين يفتنون فى قبورهم ويضغطون ويسئلون ، ويثبت الله منطق من أحب تثبيته ، وأنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، كما بدأهم يعودون حفاه عراة غرلاً ، وأن الأجساد التى أطاعت أو عصت هى التى تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود هى التى كانت فى الدنيا والألسنة والأيدى والأرجل التى تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم .

وتنصب الموازين لوزن أعمال العباد ، فأفلح من ثقلت موازينه ، وخاب وخسر من خفت موازينه ، ويؤتون صحائفهم : فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، ومن أوتي

---

(٢٤١) النساء / ٤٨ ، ١١٦ .

(٤٢٢) الانفطار / ١٠ .

(٢٤٣) ق / ١٨ .

(٢٤٤) السجدة / ١١ .

كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً وأن الصراط جسر مورود بحوزة العباد بقدر أعمالهم ، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم ، وقوم أوبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون ، وأنه يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان ، وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ، ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا فيها حمماً يطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ، ويذاد عنه من غير وبدل ، والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات على ما صحت به الروايات ، وأنه ﷺ رأى من آيات ربه الكبرى ، وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حكماً عدلاً يقتل الدجال ، وبالآيات التي بين يدى الساعة من طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ، وغير ذلك مما صحت به الروايات .

ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه وثبت عن رسول الله ﷺ من إخباره ونوجب العمل بحكمه ، ونؤمن ونقر بمشكله ومتشابهه ، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله تعالى، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه والراسخون فى العلم يقولون آمنا به، وكل من غاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند ربنا ، وقال بعض الناس الراسخون فى العلم يعلمون مشكله ، ولكن الأول قول أهل المدينة وعليه تدل الكتب ، وأن أفضل القرون قرن الصحابه رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال النبي ﷺ وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي ، وقيل ثم عثمان وعلي ، ويكف عن التفضيل بينها ، روي ذلك عن مالك وقال : ما أدركت أحداً أقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه فرأى الكف عنها . وروي عنه القول الأول وهو قول أهل الحديث ، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر من المهاجرين ومن الأنصار . ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة ، وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من التابعين ، والكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ما يذكرون به ، وأنهم أحق أن ننشر محاسنهم ونلتمس بهم أفضل مخارجهم ، ونظن بهم أحسن المذاهب ، قال النبي ﷺ « لا تؤذونى فى أصحابى فوالله الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[٢٤٥] .

---

(٢٤٥) أخرجه البخارى فى كتاب « فضائل الصحابة » (٧ / ح ٣٦٧٣) من حديث أبى سعيد الخدرى ومسلم فى « فضائل الصحابة » (٤ / ٢٢١ / ح ٢٥٤٠ / ص ١٩٦٧) من حديث أبى هريرة . وقال ابن حجر فى الفتح (٧ / ص ٤٣) ورواية مسلم من حديث (أبى هريرة) بدل أبى سعيد وهو وهم كما جزم به خلف وأبو مسعود وأبو على الجيانى وغيرهم .

قال ﷺ « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[٢٤٦] قال أهل العلم لا يذكرون إلا بأحسن ذكر والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضي أو عن غلبة واشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه ، جار أو عدل ونغزو معه العدو ونحج معه البيت ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها ، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين قاله غير واحد من العلماء . وقال مالك لا نصلي خلف المبتدع منهم إلا أن نخافه فنصلي ، واختلف في الإعادة ، ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك والتسليم للمسلمين لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس ، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه وما علموا به علمناه وما تركوه تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ، ونتبعهم فيما بينوا ، ونقتدى بهم فيما استنبطوا ورأوه فى الحوادث ، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفى تأويله ، وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس فى الفقه والحديث على ما بيناه ، وكله قول مالك ، فمنه منصوص من قوله ، ومنه معلوم من مذهبه .

قال مالك : قال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستكمال لطاعته وقوة على دين الله تعالى ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها ، من اهتدى بها هُدي ، ومن استنصر بها نصر ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً ؛ قال مالك أعجبني عزم عمر رضي الله عنه في ذلك . وقال في مختصر المدونة وأنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه . رضي الله عنه ما كان أصلبه في السنة وأقومه بها .

(قول الإمام أبي بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة بن أبي زيد من المشهورين بالفقة والسنة رحمه الله تعالى) قال في شرحه للرسالة ومعنى فوق وعلا واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن** ﴾[٢٤٧] وقال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٤٨] وقال تعالى في وصف

---

(٢٤٦) ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٧ / ٢٠٢) من حديث ثوبان . وقال : رواه الطبرانى وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف . ومن حديث ابن مسعود . وقال : رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقة ابن حبان وغيره وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح وذكره المحدث الألبانى فى « الصحيحة » رقم (٣٤) وقال : روى من حديث ابن مسعود وثوبان ، وابن عمر ، وطاوس مرسلاً ، وكلها أسانيد ضعيفه ، ولكن بعضها يشد بعضاً . وقال فى « صحيح الجامع » رقم (٥٤٥) : صحيح .

(٢٤٧) الفرقان / ٥٩ .

(٢٤٨) طه / ٥ .

خوف الملائكة ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾[٢٤٩] وقال تعالى ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٢٥٠] ونحو ذلك كثير . وقال رسول الله ﷺ للأعجمية أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . ووصف النبي ﷺ أنه عرج به من الأرض إلى السماء ثم من سماء إلى سماء إلى سدرة المنتهى ثم إلى ما فوقها حتى لقد قال سمعت صريف الأقلام[٢٥١] ولما فرضت الصلوات جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام فى بعض السموات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته ، فرجع صاعداً مرتفعاً إلى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت إلى خمس صلوات[٢٥٢] . وسنذكر تمام كلامه قريباً إن شاء الله تعالى .

(قول الإمام أبى القاسم عبد الله بن خلف المقرى الأندلسى رحمه الله) قال فى الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق والاقتداء من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القابسى رحمه الله تعالى عن مالك عن ابن شهاب عن أبى عبد الله الأغر . وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له » فى هذا الحديث دليل على أنه تعالى فى السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم . ودليل قولهم أيضاً من القرآن قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٥٣] وقوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع** ﴾[٢٥٤] وقوله ﴿ **إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً** ﴾[٢٥٥] وقوله ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾[٢٥٦] وقوله تعالى ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢٥٧] وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **إنى متوفيك ورافعك**

---

(٢٤٩) النحل / ٥٠ .

(٢٥٠) فاطر / ١٠ .

(٢٥١) أخرجه البخارى فى كتاب « الصلاة » (١ / ح ٣٤٩).فتح من حديث طويل لأنس وهو عند مسلم كما سأذكره إن شاء الله وفيه مقابلته ﷺ للأنبياء فى السموات العلى وسماعه صريف **الأقلام** وفيه أيضاً مراجعه موسى له صلى الله عليهم جميعًا عند فرض الصلوات وكانت خمسين صلاة ثم خففت إلى خمس صلوات فى **اليوم والليلة** وأخرجه مسلم فى « الإيمان » (١ / ٢٦٣ / ح ١٦٣ / ص ١٤٨ : ١٤٩) من حديث أنس أيضاً .

(٢٥٢) انظر تخريج الحديث السابق رقم (٢٥١)

(٢٥٣) طه / ٥ .

(٢٥٤) السجدة / ٤ .

(٢٥٥) الاسراء / ٤٢ .

(٢٥٦) السجدة / ٥ .

(٢٥٧) المعارج / ٣ .

إلىّ ﴾[٢٥٨] وقوله ﴿ **ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢٥٩] والعروج هو الصعود وقال مالك بن أنس : الله عز وجل فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من علمه مكان ، يريد والله أعلم بقوله فى السماء على السماء كما قال تعالى ﴿ **ولأصلبنكم فى جذوع النخل** ﴾[٢٦٠] وكما قال ﴿ **أءمنتم من فى السماء** ﴾[٢٦١] أى من على السماء يعنى على العرش ، وكما قال تعالى ﴿ **فسيحوا فى الأرض** ﴾[٢٦٢] أى على الأرض ، وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى ؟ ، قال مالك رحمه الله لقائله استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة ، وأراك رجل سوء ، قال أبو عبيدة فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٦٣] أى علا ، قال وتقول العرب استويت فوق الدابة وفى البيت وكل ما قدمت دليل واضح فى إبطال قول من قال بالمجاز فى الاستواء وأن استوى بمعنى استولى لأن الاستيلاء فى اللغة « المغالبة » وأنه لا يغالبه أحد ، ومن حف الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر الأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شىء من العبادات ، وجل الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم فى اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن .

ومن الحجة أيضاً في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم وقوله عليه السلام للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها أين الله ، فأشارت إلى السماء ثم قال لها من أنا ، قالت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة ، فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء ، ودل على ما قدمناه أنه على العرش ؛ العرش فوق السموات السبع ، ودليل قولنا أيضاً قول أمية بن أبي الصلت في وصف الملائكه .

وســـاجـــدهم لا يرفـع الـــدهر رأســـه يعظم ربـــاً فـــوقـــه ويمجـــد

---

(٢٥٨) آل عمران / ٥٥ .

(٢٥٩) المعارج / ٢ : ٤ .

(٢٦٠) طه / ٧١ .

(٢٦١) الملك / ١٥ ، ١٦ (وهى بداية الآيتان) .

(٢٦٢) التوبة / ٢ .

(٢٦٣) طه / ٥ .

فسبحـــان من لا يقـــدر الخلـق قـــدره ومن هـــو فـــوق العرش فرد مـــوحـــد
مليـــــــــك على العرش السماء مهيمن لعـزتـــه تعنـــو الـــوجـــوه وتسجـــد

وقوله تعالى ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى** ﴾[٢٦٤] فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذباً ، فإن احتج أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان كذلك لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنه واحتوته فهو مخلوق فشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته ولا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس ، كان قبل الأمكنة ثم يكون بعدها لا إله إلا هو خالق كل شيء لا شريك له ، وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا يعقل كائن إلا في مكان ما ، وما ليس في مكان فهو عدم . وقد صح في العقول وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم ؛ فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينهم وبينه تمثيل أو تشبيه ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(فإن قال قائل) إذا وصفنا ربنا أنه كان في الأزل لا في مكان ثم خلق الأماكن فصار في مكان ، ففي ذلك إقرار منا فيه بالتغيير والانتقال إذا زال عن صفته في الأزل وصار في مكان دون مكان ، قيل له وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان ثم صار في كل مكان فنقل صفته من الكون لا في مكان إلى صفة هي الكون في كل مكان فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان ، فإن قال إنه كان في الأزل في كل مكان وكما هو الآن فقد أوجب الأماكن والأشياء معه في أزليته . وهذا فاسد .

(فإن قال) فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان قيل له ، أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه ، لأن كونه في الأزل لا يوجب مكاناً ، وكذلك نقلته لا توجب مكاناً ، وليس في ذلك كالخلق لأن كونه يوجب مكاناً من الخلق ونقلته توجب مكاناً ويصير منتقلاً من مكان إلى مكان والله تعالى ليس كذلك ، ولكنا نقول استوى من لا مكان إلى مكان ، ولا نقول انتقل ، وإن كان المعنى في ذلك واحداً ، كما نقول له عرش ولا نقول له سرير ، ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ، ونقول خليل إبراهيم ولا نقول صديق إبراهيم ، وإن كان المعنى فى ذلك واحداً لأنا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه على ما تقدم ، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن ، وقد قال الله

---

(٢٦٤) غافر / ٣٦ : ٣٧ .

تعالى ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾[٢٦٥] وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا ابتدالاً ، لأن ذلك يكون إذا كان الجائى جسماً أو جوهراً فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلاً ، ولو اعتبرت ذلك بقولهم : جاءت فلاناً قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشيه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء لبان لك وبالله العصمة والتوفيق .

فإن قال : إنه لا يكون مستوياً على مكان إلا مقروناً بالكيف ، قيل له قد يكون الاستواء واجباً والتكييف مرتفعاً ، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ، ولو لزم هذا لزم التكييف في الأزل ، ولا يكون كائناً في مكان ولا مقروناً بالتكييف .

فإن قال : إنه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكييف ، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحاً فى أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك ، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح ، وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب أن ليس على عرشه ، وقد روى عن أبى رزين العقيلى قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء[٢٦٦] .

قال أبو القاسم : العماء ممدود وهو السحاب ، والعمى مقصور الظلمة ، وقد روي الحديث بالمد والقصر؛ فمن رواه بالمد فمعناه عنده كان فى عماء سحاب ما تحته هواء وما فوقه هواء، والهاء راجعة على العماء، ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان فى عمى عن خلقه، لأنه من عمى عن شيء فقد أظلم عنه، قال سنيد بسنده عن مجاهد قال: إن بين العرش وبين الملائكة لسبعين حجابا من نور وحجاباً من ظلمة وروى أيضا سنيد بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ؛ ما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله سبحانه وتعالى على العرش ويعلم أعمالكم وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً: أنه فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. قال أبو القاسم يريد فوق العرش ؛ لأن العرش آخر المخلوقات ليس فوقه مخلوق ، فالله تعالى أعلى المخلوقات دون تكييف ولا مماسة ، ولا أعلم في هذا الباب حديثاً مرفوعاً إلا حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن

---

(٢٦٥) الفجر / ٢٢ .

(٢٦٦) أخرجه الترمذى فى « التفسير » (٥ / ح ٣١٠٩) وقال : حديث حسن وابن ماجه فى « المقدمة » (١ / ح ١٨٢) من حديث أبى رزين .

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة فقال ما تسمون هذه ؟ قالوا السحاب قال والمزن ؛ قالوا والمزن ، قال والعنان قالوا نعم ، قال كم ترون بينكم وبين السماء قالوا لا ندري ، قال بينكم وبينه إما واحد أو إثنان أو ثلاث وسبعون سنة والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء على ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك . هذا حديث حسن صحيح أخرجه أبو داود[٢٦٧] .

(قول الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي نعيس المالكي المشهور بابن أبي زمنين رحمه الله تعالى) قال في كتابه الذي صنفه في أصول السنة (باب الإيمان بالعرش) ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء ، كما أخبر عن نفسه في قوله عز وجل ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٦٨] وفي قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** ﴾[٢٦٩] وذكر حديث أبي رزين العقيلي . قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء ، ثم ذكر الآثار في ذلك (إلى أن قال) باب الإيمان بالحجب .

قال : ومن قول أهل السنة أن الله تعالى بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾[٢٧٠] إلى ان قال (باب الإيمان بالنزول) قال ومن قول أهل السنة أن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا ، وذكر حديث النزول ثم قال : وهذا الحديث يبين أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الأرض ، وهو أيضاً بيّن في كتاب الله تعالى ، وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ . قال الله عز وجل ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** ﴾[٢٧١] وساق الآيات في العلو وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ أين الله ثم قال : والحديث في مثل هذا كثير .

---

(٢٦٧) تقدم تخريجه برقم (١٢٣) .

(٢٦٨) طه / ٥ .

(٢٦٩) الحديد / ٤ .

(٢٧٠) الكهف / ٥ .

(٢٧١) السجدة / ٥ .

(قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق) من كبار أهل السنة رحمهم الله ، صرح بأن الله سبحانه استوى على عرشه بذاته . نقله شيخ الإسلام عنه في غير موضع من كتبه .ونقله عنه القرطبي في شرح الأسماء الحسنى .

(ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي) رحمه الله تعالى وقدس روحه ونوَّر ضريحه . قال الإمام بن الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازى حدثنا أبو شعيب وأبو ثور عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال : القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء .

قال عبد الرحمن وحدثنا يونس بن عبد الأعلىقال ، سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعى يقول وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال : لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل . لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها ، وتثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه عن نفسه فقال ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ وصح عن الشافعى أنه قال ، خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه حق قضاها الله فى سمائه وجمع عليها قلوب عباده ، ومعلوم أن المقضى فى الأرض ، والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته ، وقال في خطبة رسالته « الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه » فجعل صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع . وقال يونس بن عبد الأعلى ، قال لى محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه ، الأصل قرآن وسنة ، فإن لم يكن فقياس عليها ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد منه فهو سنة ، والإجماع أكبر من الخبر الفرد . والحديث على ظاهره ، وإذا احتمل المعانى فما أشبه منها ظاهره فهو أولاها به .

قال الخطيب فى الكفاية ؛ أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا أبو حاتم الرازى حدثنى يونس بن عبد الأعلى فذكره .

(قول صاحبه إمام الشافعية في وقته أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى) فى رسالته السنة

التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده ؛ ونحن نسوقها كلها بلفظها .

بسم الله الرحمن الرحيم ، عصمنا الله وإياكم بالتقوى ، ووفقنا إياكم لموافقة الهدى ، أما بعد فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمراً تصبر نفسك على التمسك به ، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل ، وزيغ محدثات الضالين فقد شرحت لك منهاجاً موضحاً لم آل نفسي وإياك فيه نصحاً ؛ بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد ، الحمد الله أحق ما بدأ وأولى من شكر وعليه أثنى الواحد الصمد ، ليس له صاحبة ولا ولد ، جل عن المثل ولا شبيه له ولا عديل ، السميع البصير ، العليم الخبير المنيع الرفيع عال على عرشه ، وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور ونفذ في خلقه سابق المقدور ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهم له من خير وشر ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً من الطاعة ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعاً ، خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به فخلق الملائكة جميعاً لطاعته وجبلهم على عبادته ، فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون ، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون ، وآخرون بحمده يقدسون واصطفى منهم رسلاً إلى رسله وبعض مدبرون لأمره، ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها ، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها ، وجعل أكله إلى الهبوط إلى الأرض سبباً ، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلاً ، ولا عنه لها مذهباً ، ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً ، فهم بأعمالهم بمشيئته عاملون ، وبقدرته وبإرادته ينفذون . وخلق من ذريته للنار أهلاً ، فخلق لهم أعيناً لا يبصرون بها ، وآذاناً لا يسمعون بها ، وقلوباً لا يفقهون بها ، فهم بذلك عن الهدى محجوبون ، وهم بأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون ، والإيمان قول وعمل ، وهما شيئان ونظامان وقرينان لا يفرق بينهما ، لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان ، والمؤمنون في الإيمان متفاضلون ، وبصالح الأعمال هم متزايدون ، ولا يخرجون من الإيمان بالذنوب ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان ولا يوجب لمحسنهم غير ما أوجب له النبي ﷺ ، ولا يشهد على مسيئهم بالنار ، والقرآن كلام الله عز وجل ومن الله وليس بمخلوق فيبيد . وقدرة الله ونعمته وصفاته كلها غير مخلوقات دائمات أزلية ليست بمحدثات فتبيد ، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد ، جلت صفاته عن شبه المخلوقين وقصرت عنه نظر الواصفين ، قريب بالإجابة عند السؤال ، بعيد بالبعد لا ينال ، عال على عرشه بائن من خلقه موجود ، ليس بمعدوم ولا مفقود ، والخلق ميتون بآجالهم عند نفاذ أرزاقهم وانقطاع آثارهم . ثم هم بعد الضغط في القبور مسئولون ، وبعد البلى منشورون ، ويوم القيامة إلى ربهم محشورون ، وعند العرض

عليه محاسبون بحضرة الموازين ونشر صحف الدواوين ﴿ **أحصاه الله ونسوه** ﴾[٢٧٢] في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، لو كان غير الله عز وجل الحاكم بين خلقه ؛ فالله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا ،وهو أسرع الحاسبين ، كما بدا لهم شقاوة سعادة يومئذ تعودون ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، وأهل الجنة يومئذ يتنعمون وبأفضل الكرامة يحبرون فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون ، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون ، فوجوههم بكرامته ناضرة ، وأعينهم بفضله إليه ناظرة ، في نعيم مقيم لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ، أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ، وأهل الجحد عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون ، وفي النار لمسجرون لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها إلا من شاء الله إخراجه من الموحدين منها ، والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله سبحانه مرضياً ، واجتناب ما كان مسخطاً ، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم . والتوبة إلى الله كيما يعطف بهم على رعيتهم ، والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة ، فمن ابتدع منهم ضلالة كان على أهل القبلة خارجاً ، ومن الدين مارقاً ، وبتقرب إلى الله بالبراءة منه ، ويهجر ويتجنب عدته فهي أعدى من عدة الحرب . ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر فهما وزيرا رسول الله وضجيعاه ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة ، ويخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجبه له رسول الله ﷺ من يوم التفضيل لسائر أصحابه من بعده رضي الله عنهم أجمعين ، ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ، ويمسك عن الخوض فيما شجر بينهم ، وهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، اختارهم الله سبحانه وجعلهم أنصاراً لدينه فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ، ولا تترك حضور صلاة الجمعة وصلاة مع بر هذه الأمة وفاجرها ما كان من البدعة برياً ، والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر . والحج وقصر الصلاة في الأسفار والتخيير فيه بين الصيام والأفطار .

هذه مقالات اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدرة ورضا وجانبوا التكلف فيما كفوا فسددوا بعون الله ووافقوا ، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا ولم يجاوزوا فيعتدوا ، فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون ، وإليه فى اتباع آثارهم راغبون ، فهذا شرح السنة تحريت كشفها وأوضحته . فمن وفقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على

---

(٢٧٢) المجادلة / ٦ .

أداء فرائضه بالاحتياط فى النجاسات وإسباغ الطهارات على الطاعات ، وأداء الصلوات على الاستطاعات ، وإيتاء الزكاة على أهل الجدات ، والحج على أهل الجدة والاستطاعات وصيام شهر رمضان لأهل الصحات وخمس صلوات سنها رسول الله ﷺ والوتر فى كل ليلة وركعتا الفجر وصلاة الفطر والنحر وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء ، واجتناب المحارم ، والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة والبغى بغير الحق وأن يقول على الله مالا يعلم ، كل هذه كبائر محرمات والتحرى فى المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس واجتناب الشهوات فإنها داعية لركوب المحرمات ، فمن رعى حول الحمى فإنه يوشك أن يقع فى الحمى فمن يسر لهذا فإنه من الدين على الهدى ، ومن الرحمن على رجا ، وفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم ، بمنه الجزيل الأقدم ، وجلاله العلى الأكرم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من قرأ علينا السلام ، ولا ينال سلام الله الضالون والحمد لله رب العالمين[٢٧٣] .

(قول إمام الشافعية فى وقته أبى العباس بن سريج رحمه الله تعالى) .

ذكر أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى فى جوابات المسائل التى سئل عنها بمكة فقال : الحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وعلى كل حال ، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل .

سألت - أيدك الله بتوفيقه - بيان ما صح لدىّ وتأدى حقيقته إلى من سلك مذهب السلف وصالحى الخلف فى الصفات الواردة فى الكتاب المنزل والسنة المنقولة بالطرق الصحيحة بروايات الثقات الأثبات عن النبى ﷺ بوجيز من القول ؛ واختصار فى الجواب . فاستخرت الله سبحانه وتعالى وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة والفقهاء ، وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج رحمه الله تعالى ، قد سئل عن مثل هذا السؤال فقال أقول وبالله التوفيق .

حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقع . وعلى الضمائر أن تعمق وعلى النفوس أن تفكر وعلى الأفكار أن تحيط . وعلى الألباب أن تصف ، إلا ما وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ . وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين . والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآى الواردة عن الله تعالى فى ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ وفى صفاته التى صححها أهل النقل .

---

(٢٧٣) ذكره الذهبى فى « العلو » [مختصر ص ٢٠٠ ، ٢٠١] .

وقبلها النقاد الأثبات ، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق الإيمان بكل واحد منه كما ورد . وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر . وذلك مثل قوله تعالى ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة** ﴾[٢٧٤] وقوله تعالى ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾[٢٧٥] وقوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٧٦] وقوله تعالى ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾[٢٧٧] ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة ، والرضى والغضب ، والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء ، والدنو كقاب قوسين أو أدنى ، وصعود الكلام الطيب إليه ، وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه ، وندائه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقوله للملائكة وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته وقدرته ومشيئته وصمدانيته وفردانيته ، وأوليته وآخريته . وظاهريته وباطنيته وحياته وبقائه وأزليته وأبديته ونوره وتجليه . والوجه . وخلق آدم عليه السلام بيده . ونحو قوله تعالى ﴿ **ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[٢٧٨] وقوله تعالى ﴿ **وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله** ﴾[٢٧٩] وسماعه من غيره وسماع غيره منه وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة فى الكتاب المنزل على نبيه ﷺ . وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته كغرسه جنته الفردوس بيده وشجرة طوبى بيده ، وخط التوراة بيده والضحك والتعجب ووضعه القدم على النار فتقول قط قط . وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وليله القدر . وكغيرته وفرحه بتوبة العبد ، واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء ، وأنه ليس بأعور ، وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه ، وإن كلتا يديه يمين ، واختيار آدم قبضة اليمنى ، وحديث القبضة وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة ،ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى أصحاب اليمين ، وقبض قبضة أخرى وقال هذه للنار ولا أبالى أصحاب الشمال ، ثم ردهم فى صلب آدم ، وحديث القبضة التى يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط عادوا حمماً فيلقون فى نهر من

---

(٢٧٤) البقرة / ٢١٠ .

(٢٧٥) الفجر / ٢٢ .

(٢٧٦) طه / ٥ .

(٢٧٧) الزمر / ٦٧ .

(٢٧٨) الملك / ١٦ .

(٢٧٩) الزخرف / ٨٤ .

الجنة يقال له نهر الحياة . وحديث خلق آدم على صورته ، وقوله لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن . وإثبات الكلام بالحروف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور .

وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك الأرحام وللرحم ولملك الموت ولرضوان ولمالك ولآدم ولموسى ولمحمد ﷺ وللشهداء وللمؤمنين عند الحساب وفى الجنة ونزول القرآن إلى سماء الدنيا وكون القرآن فى المصاحف وما أذن الله لشىء كإذنه لنبى يتغنى بالقرآن ، وقوله الله أشد أذناً لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته ، وأن الله سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وفرغ الله من الرزق والأجل : وحديث ذبح الموت ، ومباهات الله تعالى ، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه .

وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار وبلوغه إلى العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله إلا حجاب العزة وعرض الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وعرض أعمال الأمة عليه ، وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة الواردة فى صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه ، اعتقادنا فيه وفى الآى المتشابهة فى القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ، ولا نفسرها ولا نكيفها ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل ، ونفسر ما فسره النبى ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عما أمسكوا عنه ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة . بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول الإيمان بها واجب والقول بها سنة ، وابتغاء تأويلها بدعة .

آخر كلام أبى العباس بن سريج[٢٨٠] الذى حكاه أبو القاسم سعد بن على الزنجانى فى أجوبته ، ثم ذكر باقى المسائل وأجوبتها .

(قول الإمام حجة الإسلام أبى أحمد ابن الحسين الشافعى المعروف بابن الحداد رحمه الله تعالى) قال :

---

(٢٨٠) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيج ، الفقيه الشافعى ، كان من عظماء الشافعية ، وأئمة المسلمين ، وكان يقال له : الباز الأشهب . ولى القضاء بشيراز ، وكان يُفَضَّلُ على جميع أصحاب الإمام الشافعى توفى لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة . (وفيات الأعيان ١ / ٦٦) .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً ، وأما بعد فإنك وفقك الله تعالى لقول السداد ، وهداك إلى سبيل الرشاد ، سألتنى عن الاعتقاد الحق والمنهج الصدق الذى يجب على العبد المكلف اعتقاده ويعتمده فأقول والله الموفق للخير والصواب .

الذي يجب على العبد اعتقاده ، ويلزمه فى ظاهره وباطنه اعتماده ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الصدر الأول من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من المسلمين . وذلك أن يعتقد العبد ويقر ويعترف بقلبه ولسانه أن الله واحد أحد فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لا إله سواه ولا معبود إلا إياه ولا شريك له ، ولا نظير له ولا وزير له ولا ظهير له ولا سمى له ، ولا صاحبة له ولا ولد له ، قديم أبدى أزلى ، أول من غير بداية وآخر من غير نهاية ، موصوف بصفات الكمال من الحياة والقدوة والعلم والإرادة والسمع والبصر والبقاء والبهاء والجمال والعظمة والجلال والمن والإفضال . لا يعجزه شىء ولا يشبهه شىء ، ولا يعزب عن علمه شىء . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين . منزه عن كل نقص وآفة ، مقدس عن كل عاهة وعيب . الخالق الرازق المحى المميت ، الباعث الوارث ، الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الطالب الغالب المثيب المعاقب الغفور الشكور ، قدر كل شىء وقضاه وأبرمه وأمضاه من خير وشر ونفع وضر وطاعة وعصيان وعمد ونسيان وعطاء وحرمان لا يجرى فى ملكه مالا يريد ، عدل فى كل أقضيته ، غير ظالم لبريته ، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ، رب العالمين ، إله الأولين والآخرين مالك يوم الدين . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، نصفه بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم ، لا نجاوز ذلك ولا نزيد ، بل نقف عنده وننتهى إليه ولا ندخل فيه برأى ولا قياس لبعده عن الأشكال والأجناس ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، وأنه سبحانه مستو على عرشه وفوق جميع خلقه ، كما أخبر فى كتابه وعلى ألسنة رسله صلوات الله عليهم من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل . وكذلك كل ما جاء من الصفات نمره كما جاء من غير مزيد عليه . ونقتدى فى ذلك بعلماء السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ونسكت عما سكتوا ونتأول ما تأولوا ، وهم القدوة فى هذا الباب ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . ونؤمن بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره أنه من الله عز وجل لا معقب لما حكم ولا ناقض لما أبرم ، وأن أعمال العباد حسنها وسيئها خلق الله سبحانه ومقدورة منه عليهم ، لا خالق لها سواه ولا مقدر لها إلا إياه ليجزى

الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، وأنه عدل فى ذلك غير جائر لا يظلمهم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً .

وكذلك الأرزاق والآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص . ونؤمن ونقر ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من أنبيائه ، وأنه خاتم النبيين وسيد المرسلين . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

ونؤمن أن كل كتاب أنزله الله تعالى حق ، وأن كل رسول أرسله الله تعالى حق وأن الملائكة حق وميكائيل حق وإسرافيل حق وعزرائيل حق وحملة العرش والكرام الكاتبين من الملائكة حق ، وأن الشياطين والجن حق ، وأن كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء حق والعين حق والسحر له حقيقة وتأثير فى الأجسام ومسئلة منكر ونكير حق ، وفتنة القبر ونعيمه حق ، وعذابه حق والبعث بعد الموت حق ، وقيام الساعة والوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة للحساب والقصاص والميزان حق ، والصراط حق ، والحوض والشفاعة التى خص بها نبينا يوم القيامة حق ، والشفاعة من الملائكة والنبيين والمؤمنين حق ، والجنة حق والنار حق وأنهما مخلوقتان لا يبيدان ولا يفنيان ، وخروج المؤمنين من النار بعد دخولها حق ، ولا يخلد فيها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وأهل الكبائر فى مشيئة الله تعالى لا نقطع عليهم النار ، بل نخاف عليهم ولا نقطع للطائعين بالجنة بل نرجو لهم ، وأن الإيمان قول اللسان ومعرفة القلب وعمل بالجوارح وأنه يزيد وينقص ، وأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل فى الآخرة من غير حجاب ، وأن الكفار عن رؤية ربهم عز وجل محجوبون ، وأن القرآن كلام الله رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم النبيين ﷺ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ، وأنه غير مخلوق ، وأن السور والآيات والحروف المسموعات والكلمات التامات التى أعجزت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ليس بمخلوق كما قال المعتزلى ولا عبارة كما قال الكلابى وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ فى الصدور ، المكتوب فى المصاحف ، المسموع لفظه المفهوم معناه ، لا يتعدد بتعدد الصدور والمصاحف والآيات ، لا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات أنزله إذا شاء . وهذا معنى قول السلف : « منه بدأ وإليه يعود » ، واللفظية الذين يقولون « ألفاظنا بالقرآن مخلوقة » مبتدعة جهمية عند الإمام أحمد والشافعى أخبرنا به الحسين بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم الطبرى قال : سمعت أحمد بن يوسف الشالنجى يقول : سمعت أبا عبد الله الحسين بن على القطان يقول : سمعت على النجى يقول :

سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول : « من قال لفظي بالقرآن أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي » .

وحكى بهذا اللفظ عن أبي زرعة وعلي بن خشرم وغيرهم من أئمة السلف . وأن الآيات التي تظهر عند قرب الساعة من الدجال ونزول عيسى عليه السلام والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات التي وردت بها الأخبار الصحاح حق . وأن خير هذه الأمة القرن الأول وهم الصحابة رضي الله عنهم وخيرهم العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وخير هؤلاء العشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

ونعتقد حب آل محمد ﷺ وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ، ونذكر محاسنهم وننشر فضائلهم ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطلع فيما شجر بينهم ونستغفر الله لهم ، ونتوسل إلى الله تعالى باتباعهم ونرى الجهاد والجماعة ماضياً إلى يوم القيامة والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجباً في طاعة الله دون معصيته ، لا يجوز الخروج عليهم ولا المفارقة لهم ، ولا نكفر أحداً من المسلمين بذنب عمله ولو كبر ولا ندع الصلاة عليهم بل نحكم فيهم بحكم رسول الله ﷺ ونترحم على معاوية ونكل سريرة يزيد إلى الله تعالى ، وقد روى عنه أنه لما رأى رأس الحسين رضوان الله عليه قال : « لقد قتلك من كانت الرحم بينك وبينه قاطعة ونبرأ ممن قتل الحسين رضوان الله عليه وأعان عليه وأشار به ظاهراً وباطناً » .

هذا اعتقادنا ونكل سريرته إلى الله تعالى .

والعبارة الجامعة في باب التوحيد أن يقال « إثبات من غير تشبيه ونفي من غير تعطيل » قال الله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[٢٨١] والعبارة الجامعة في المتشابه من آيات الصفات أن يقال : « آمنت بما قال الله تعالى على ما أراده ، وآمنت بما قال رسول الله على ما أراده . فهذا اعتقادنا الذي نتمسك به وننتهي إليه . ونسأل الله أن يحيينا عليه ويميتنا عليه ، ويجعله وسيلتنا يوم الوقوف بين يديه إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين » .

(قول الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي) صاحب كتاب الترغيب والترهيب وكتاب الحجة في بيان المحجه ومذهب أهل السنة وكان إماماً للشافعية في وقته رحمه الله تعالى وجمع له أبو موسى المديني مناقب لجلالته . قال في كتاب الحجة باب (في بيان استواء الله سبحانه

---

(٢٨١) الشورى / ١١ .

وتعالى على عرشه) قال الله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٨٢] وقال في آيه أخرى ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[٢٨٣] وقال ﴿ **العلي العظيم** ﴾ وقال ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾[٢٨٤] قال أهل السنة « الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه » .

ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رءوسهم وأبصارهم ، وقال عز وجل ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[٢٨٥] وقال ﴿ **أءمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير** ﴾[٢٨٦] والدليل على ذلك من النصوص التي فيها نزول الرحمن .

(فصل) : في بيان أن العرش فوق السموات وأن الله سبحانه فوق العرش ، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في البخارى « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي »[٢٨٧] وبسط الاستدلال على ذلك بالسنة ثم قال : قال علماء السنة « إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه » وقالت المعتزلة « هو بذاته في كل مكان » . وقالت الأشعرية « الاستواء عائد إلى العرش » قال ولو كان كما قالوا لكانت القراءة برفع العرش ، فلما كانت بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى ، قال : وقال بعضهم استوى بمعنى استولى .

قال الشاعر :

قـــــد استـــــوى بشر على العراق ، مـــن غيـــر سيـــف ودم مهـــراق

والاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه والله تعالى لم يزل قادراً على الأشياء ومستولياً عليها ، ألا ترى أنه لا يوصف بشر بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك .

---

(٢٨٢) طه / ٥ .

(٢٨٣) البقرة / ٢٥٥ .

(٢٨٤) الأعلى / ١ .

(٢٨٥) الأنعام / ١٨ ، ٦١ .

(٢٨٦) الملك / ١٦ .

(٢٨٧) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه . أخرجه البخارى فى « بدء الخلق » (٦ / ح ٣١٩٤ / فتح) . ومسلم فى « التوبة » (٤ / ١٦ / ح ٢٧٥١ / ص ٢١٠٨) .

ثم حكى أبو القاسم عن ذي النون المصرى أنه قيل له : « ما أراد الله سبحانه بخلق العرش ؟ قال أراد أن لا يتوه قلوب العارفين » . قال وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[٢٨٨] « قال هو على عرشه وعلمه في كل مكان » ، ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال : « وزعم هؤلاء أن معنى الرحمن على العرش استوى ، أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه » .

وقال أهل السنة : « خلق الله تعالى السموات وكان عرشه مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض ، على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه » .

قال وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرءوس والأصابع إلى فوق فإن ذلك يوجب التحديد ، وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات ، وعند المسلمين أن الله عز وجل علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ، لأن العلو صفة مدح فنثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة ، وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل ، لأن جماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ، ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق ، وقال تعالى ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾[٢٨٩] وقال ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾[٢٩٠] وقال ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٢٩١] وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال ﴿ **يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى** ﴾[٢٩٢] فكأن فرعون قد فهم من موسى عليه الصلاة والسلام أنه يثبت إلهاً فوق السماء حتى رام بصراحة أن يطلع إليه ، واتهم موسى عليه الصلاة والسلام بالكذب في ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون بل وأضل .

---

(٢٨٨) المجادلة / ٧ .

(٢٨٩) النحل / ٥٠ .

(٢٩٠) فاطر / ١٠ .

(٢٩١) المعارج / ٣ .

(٢٩٢) غافر / ٣٦ ، ٣٧ .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله ؟ قالت في السماء وأشارت برأسها إلى السماء ، وقال : من أنا ؟ فقالت أنت رسول الله ، فقال أعتقها فإنها مؤمنه ، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت إن الله في السماء ، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك .

هذا كله كلام أبي القاسم التيمي رحمه الله تعالى .

(قول الإمام أبي عمرو وعثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهروردي) الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما له كتاب في أصول الدين قال في أوله :

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان ، وزين أهله بزينة الإيمان ، وجعل السنة عصمة أهل الهدايه ، ومجانبتها أمارة أهل الغواية ، وأعز أهلها بالاستقامه ووصل عزهم بالقيامه . وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين .

وبعد فإن الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى ، والسنة سبب النجاة من الردى ولم يجعل لمن ابتغى غير الإسلام ديناً هادياً ولا من انتحل غير الإسلام نحله ناجياً ، جمعت أصول السنة الناجي أهلها التي لا يسع الجاهل نكرها ، ولا العالم جهلها ، ومن سلك غيرها من المسالك فهو في أودية البدع هالك إلى أن قال : ودعاني إلى جمع هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب الشافعي وأصحاب الحديث إذ هم أمراء العلم وأئمة الإسلام قول النبيّ ﷺ « تكون البدع في آخر الزمان محنة فإذا كان كذلك فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ[٢٩٣] » ثم ساق الكلام في الصفات إلى أن قال :

فصل : ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف ، ودليله قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٢٩٤] وقوله ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن** ﴾[٢٩٥] وقوله في خمس مواضع

---

(٢٩٣) ذكره الشاطبي في « الأعتصام » (ص ٥٨) وعزاه إلى الآجرى في كتاب « السنة » من طريق الوليد بن مسلم عن معاذ بن جبل . بنحوه .

(قلت) الوليد بن مسلم هذا أظنه ابن القوشى أبو العباس الدمشقى قال الحافظ ثقة ، لكنه كثير التدليس والتسوية من الثامنة . والحديث فيه انقطاع . والله أعلم .

(٢٩٤) طه / ٥ .

(٢٩٥) الفرقان / ٥٩ .

﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[٢٩٦] وقوله في قصة عيسى عليه السلام ﴿ **ورافعك إلى** ﴾[٢٩٧] وساق آيات العلو ثم قال : وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله سبحانه مستو على عرشه ، وعرشه فوق سبع سمواته ، ثم ذكر كلام عبد الله بن المبارك : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه وساق قول ابن خزيمة : من لم يقر بأن الله تعالى فوق عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر ، بإسناده من كتاب معرفة علوم الحديث ، ومن كتاب تاريخ نيسابور للحاكم ، ثم قال :

وإمامنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ورضي عنه احتج في كتابه المبسوط على المخالف في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة ، وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه ، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة وسأل النبي ﷺ ليعرف إنها مؤمنة أم لا ، فقال لها : أين ربك ؟ فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية : فقال لها : من أنا ؟ فأشارت إليه وإلى السماء ، تعني إنك رسول الله الذي في السماء ، فقال أعتقها فإنها مؤمنة ، فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء ، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية ، هذا لفظه .

(قول إمام الشافعية فى وقته الإمام أبى بكر محمد بن محمود بن سورة التميمى فقيه نيسابور رحمه الله تعالى) .

قال الحافظ عبد القادر الرهاوي ، أخبرنا أبو العلاء الحسن بن الحسين أحمد الحافظ قال سمعت الشيخ الفقيه أبا بكر محمد بن سورة التيمي النيسابوري يقول : لا أصلي خلف من ينكر الصفات ولا خلف من يقول بقول أهل الفساد ولا خلف من لم يثبت القرآن في المصحف ولا يثبت النبوة قبل الماء والطين إلى يوم الدين ، ولا يقر بأن الله فوق عرشه بائن من خلقه .

قال أبو جعفر وسمعته يقول للشيخ أبي المظفر السمعاني بنيسابور إن أردت أن يكون لك درجة الأئمة في الدنيا والآخرة فعليك بمذهب السلف الصالح وإياك أن تداهن في ثلاث مسائل : مسألة القرآن ومسألة النبوة ومسألة استواء الرحمن على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي ﷺ . حكاه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد في كتاب إثبات العلو له .

---

(٢٩٦) الأعراف / ٥٤ ، يونس / ٣ ، الرعد / ٢ ، الفرقان / ٥٩ ، السجدة / ٤ ، الحديد / ٤ .
(قلت) بل هى فى ستة مواضع وقد بينتها آنفاً ..

(٢٩٧) آل عمران /٥٥ .

قلت : ونظير هذه المسائل الثلاث ما حكاه أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي قال سمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم شيخ الإسلام الأنصاري يقول حضرت مع شيخ الإسلام على الوزير أبي على الحسن بن علي الطوسي نظام الملك وكان أصحابه كلفوه الخروج إليه ، ذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان في العسكر أئمة من الفريقين فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير يعنتونه بها فإن أجاب بما يجيب بهراة سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عين أصحابه وأهل مذهبه ، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من الجماعة فقال : يأذن الشيخ الإمام في أن أسال مسألة ، فقال سل ، فقال لم تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لما علم من جوابه فلما كان بعد ساعة قال له الوزير أجبه ، فقال لا ألعن الأشعري وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء ، وأن القرآن في المصحف وأن النبي ﷺ اليوم نبي ثم قام وانصرف ، فلم يكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصولته وصلابته ، فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فأجهدتم حتى سمعناه بآذاننا ، وما عسى أن أفعل به . ثم بعث خلفه خلعاً وصلة فلم يقبلها وخرج من فوره إلى هراة .

وهذا القول في النبوة بناء على أصل الجهمية وأفراخهم أن الروح عرض من أعراض البدن كالحياة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها ، ونجا متأخروهم من هذا الإلزام وفروا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت .

وقد أشبعنا الكلام على هذه المسأله واستيفاء الحجج لهم وبيان ما في ذلك في كتاب الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

(قول أبي الحسين العمراني صاحب البيان) فقيه الشافعية ببلاد اليمن رحمه الله تعالى ، له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث صرح فيه بمسأله الفوقية والعلو والاستواء حقيقة وتكلم الله سبحانه بهذا القرآن العربي المسموع بالآذان حقيقة ، وأن جبرائيل عليه الصلاة والسلام سمعه من الله سبحانه حقيقة ؛ وصرح فيه بإثبات الصفات الخبرية ، واحتج بذلك ونصره وصرح بمخالفة الجهمية والنفاة .

ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدى بأقوالهم سوى ما تقدم

(قول أبي بكر بن محمد بن وهب المالكي) شارح رسالة ابن أبي زيد رحمة الله عليهما ، وقد تقدم

ذكره عند ذكر أصحاب مالك رحمه الله وحكينا بعض كلامه في شرحه ، ونحن نسوقه بعبارته قال :

وأما قوله أنه فوق عرشه المجيد بذاته ، فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تصديق ذلك ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية ، إلى أن قال : وقد تأتي (في) في لغة العرب بمعنى فوق ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ **فامشوا فى مناكبها** ﴾[٢٩٨] يريد فوقها وعليها ، وكذلك قوله سبحانه ﴿ **ولأصلبنكم فى جذوع النخل** ﴾[٢٩٩] يريد عليها ، وقال تعالى ﴿ **ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[٣٠٠] الآيات .

قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب : يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابه رضي الله عنهم مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها فلذلك قال الشيخ أبو محمد إنه فوق عرشه المجيد بذاته ، ثم بين أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها ، وقد كان ولا مكان ولم يحل بصفاته عما كان ، إذ لا تجرى عليه الأحوال ؛ لكن علوه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوى على العرش لأنه قال ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[٣٠١] وثم أبداً لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله فسحة ، إلى أن قال : وقوله ﴿ **على العرش استوى** ﴾[٣٠٢] فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة ومن قال بقولهم إنه بمعنى الاستيلاء ، وبعضهم يقول إنه على المجاز دون الحقيقة ، قال ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها ، وكان العرش وغيره في ذلك سواء ، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة .

---

(٢٩٨) الملك /١٥ .

(٢٩٩) طه /٧١ .

(٣٠٠) الملك / ١٦ .

(٣٠١) الحديد / ٤ .

(٣٠٢) طه / ٥ .

قال وكذلك بين أيضاً أنه على الحقيقة بقوله عز وجل ﴿ **ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾[٣٠٣] فلما رأى المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء ، علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا بصفة الاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز ، لأنه الصادق في قيله ، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله ، إذ ليس كمثله شيء من الأشياء ، وقد تقدم قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق أن الاستواء استواء الذات على العرش وأنه قول أبي الطيب الأشعري حكاه عنه عبد الوهاب نصاً ، وأنه قول الأشعري بنفسه صرح به في بعض كتبه ، وأنه قول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدثين ، ذكر ذلك كله الإمام أبو بكر الحضرمي في رسالته التي سماها بالإيماء إلى مسألة الاستواء ، فمن أراد الوقوف عليها فليقرأها .

وقد تقدم قول أبي عمر بن عبد البر ، وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[٣٠٤] أنه على العرش ، وعلمه فى كل مكان وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله ، وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يجدون فيه صفة محصورة . وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة .

(قول شيخ الإسلام موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد المقدسى) الذى اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته . خلا جهمى أو معطل ، قال فى كتاب « إثبات صفة العلو » :

أما بعد : فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو فى السماء ، ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء ، وتواترت الأخبار فى ذلك على وجه حصل به اليقين ، وجمع الله عز وجل عليه قلوب المسلمين وجعله مغروراً فى طبائع الخلق أجمعين فتراهم عند نزول الكرب يلحظون السماء بأعينهم ، ويرفعون عندها للدعاء أيديهم وينتظرون مجيء الفرج من ربهم سبحانه وينطقون بذلك

---

(٣٠٣) النساء / ١٢٢ .

(٣٠٤) المجادلة / ٧ .

بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال فى بدعته أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته وقال فى عقيدته ومن السنة قول النبى ﷺ « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » وقوله ﷺ « لله أفرح بتوبة عبده » وقوله ﷺ يعجب ربك (إلى أن قال) فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نعتقد فيه تشبيهه بصفات المخلوقين ، ولا سمات المحدثين ، بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه ، قراءته تفسيره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **أءمنتم من فى السماء** ﴾ وقول النبي ﷺ : « ربنا الله الذى فى السماء » وقوله للجارية : أين الله قالت فى السماء قال اعتقها إنها مؤمنة رواه مالك بن أنس وغيره من الأئمة ، وروى أبو داود فى سننه أن النبى ﷺ قال : « إن بين سماء إلى سماء مسيرة كذا كذا » وذكر الحديث (إلى أن قال) وفوق ذلك العرش والله تعالى فوق ذلك نؤمن بذلك ونتلقاه بالقبول من غير رد له ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تأويل ، ولا نتعرض له بكيف .

ولما سئل مالك بن أنس رضى الله عنه فقيل له يا أبا عبد الله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كيف استوى ؟ فقال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج .

(قول إمام الشافعية فى وقته) بل هو الشافعى الثانى أبى أحمد الإسفراييني رحمه الله تعالى : كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات قال : مذهبى ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد ﷺ وسمعه النبى ﷺ من جبرائيل عليه السلام وسمعه الصحابة رضى الله عنهم من محمد ﷺ ، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ، ذكره فى كتابه فى أصول الفقه ، ذكره عنه شيخ الإسلام فى الأجوبة المصرية .

قال شيخنا رحمه الله : وكان الشيخ أبو حامد يصرح بمخالفة القاضى أبى بكر بن الطيب فى مسئله القرآن ، قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة قال الشيخ الأنصارى سمعت يحيى بن عمار يقول : أنبأنا محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : حدثنا جدى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : نحن نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا مستو على عرشه ، لا نبدل كلام الله ولا نقول غير الذى قيل لنا كما قالت الجهمية المعطلة أنه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم .

وقال في كتاب التوحيد (باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه وكان فوقه فوق كل شيء عالياً) ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة ثم قال (باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان) ثم ساق حديث الجارية ثم قال (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة) ثم قال نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب تبارك وتعالى من غير أن نصف الكيفية ، ثم ساق الأحاديث ثم قال (باب كلام الله تعالى لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام) ثم ساق الأدلة على ذلك ثم قال (باب صفة تكلم الله تعالى بالوحي وشدة خوف السموات منه) وذكر صعقة أهل السموات وسجودهم ثم قال (باب بيان أن الله سبحانه يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله تعالى وبين عباده) ثم ذكر الأحاديث في ذلك ثم قال (باب ذكر بيان الفرق بين كلام الله تعالى الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه) ثم قال (باب ذكر بيان أن الله تعالى ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم وإن رغمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات الله سبحانه وتعالى) وكتابه في السنة كتاب جليل .

قال أبو عبد الله الحاكم في علوم الحديث له وفي كتاب تاريخ نيسابور سمعت محمد بن صالح ابن هانيء يقول : سمعت إمام الأئمة أبا بكر بن خزيمة يقول : من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماواته وأنه بائن من خلقه فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة ، وتوفي الإمام ابن خزيمة سنة اثنى عشر وثلاثمائة ، ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ، أخذ الفقه عن المزني ، قال المزني : ابن خزيمة هو أعلم بالحديث مني ولم يكن في وقته مثله في العلم بالحديث والفقه جميعاً وقال في كتابه : فمن ينكر رؤية الله تعالى في الآخرة فهو عند المؤمنين شر من اليهود والنصارى والمجوس وليسوا بمؤمنين عند جميع المؤمنين .

(قول إمام الشافعية في وقته سعد بن علي الزنجاني) صرح بالفوقية بالذات فقال : وهو فوق عرشه بوجود ذاته ، هذا لفظه ، وهو إمام في السنة له قصيدة فيها معروفه أولها :

تمسك بحبل الله واتبع الأثر ... ودع عنك رأياً لا يلائمه خبر

وقال في شرح هذه القصيدة : والصواب عند أهل الحق أن الله تعالى خلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ونطق به القرآن وليس معنى استوائه أنه ملكه

واستولى عليه ، لأنه كان مستولياً عليه قبل ذلك وهو أحدثه لأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها . وليس معنى الاستواء أيضاً أنه ماس العرش أو اعتمد عليه أو طابقه ، فإن كل ذلك ممتنع في وصفه جل ذكره ، ولكنه مستو بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه .

وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو ، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل ، فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة ، وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ، فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة ؛ ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق ، وقال تعالى ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾[٣٠٥] وقال ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٣٠٦] وقال ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٣٠٧] وأخبر عن فرعون أنه قال ﴿ **يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً** ﴾[٣٠٨] وكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلهاً فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك . ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته ، فهو أعجز فهما من فرعون .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله ؟ قالت في السماء ، وأشارت برأسها . وقال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، فقال أعتقها فإنها مؤمنة ، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت : إن الله في السماء .

وقال الله عز وجل ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[٣٠٩] وقال ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** ﴾[٣١٠] وذكر النبي ﷺ ما بين كل سماء إلى سماء وما بين السماء السابعة وبين العرش ثم قال (الله فوق ذلك) وله أجوبة سئل عنها فى السنة فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة وصدرها بجواب إمام وقته أبى عباس بن سريج .

---

(٣٠٥) النحل / ٥٠ .

(٣٠٦) فاطر / ١٠ .

(٣٠٧) المعارج / ٣ .

(٣٠٨) غافر / ٣٦ ، ٣٧ .

(٣٠٩) الفرقان / ٥٩ .

(٣١٠) السجدة / ٥ .

(قول الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) الإمام فى الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن ، قال فى كتاب صريح السنة .

وحسب امرىء أن يعلم أن ربه هو الذى على العرش استوى ، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر ، وقال فى تفسيره الكبير فى قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ قال علا وارتفع ، وقال فى قوله ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾[٣١١] عن الربيع بن أنس أنه يعنى ارتفع . وقال فى قوله تعالى ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[٣١٢] قال يجلسه معه على العرش وقال فى قوله عز وجل ﴿ **يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً** ﴾[٣١٣] يقول وإنى لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعى أن له رباً فى السماء أرسله إلينا .

وقال فى كتاب التبصير فى معالم الدين القول فيما أدركه بيان علمه خبر من الصفات وذلك نحو إخباره أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾[٣١٤] وأن له وجهاً بقوله تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[٣١٥] وأن له قدماً لقول النبى ﷺ « حتى يضعَ رب العزة فيها قدمه »[٣١٦] وأنه يضحك لقوله « لقى الله وهو يضحك إليه »[٣١٧] وأنه يهبط إلى سماء الدنيا بخبر النبى ﷺ بذلك ، وأن له أصبعاً بقول النبى ﷺ : « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن »[٣١٨] . فإن هذا المعانى التى وضعت

---

(٣١١) البقرة / ٢٩ .

(٣١٢) الإسراء /٧٩.

(٣١٣) غافر / ٣٦ .

(٣١٤) المائدة / ٦٤ .

(٣١٥) الرحمن / ٢٧ .

(٣١٦) حديث متفق عليه من حديث أنس بلفظ .

« لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول « هل من مزيد »[*] حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » .

(*)ق/ ٣٠ . أخرجه البخارى فى « التفسير » (٨ / ح ٤٨٤٨ / فتح) ومسلم فى « الجنة » (٤ / ٣٨ / ح ٢٨٤٨ / ص ٢١٨٨) واللفظ له ...

(٣١٧) أخرج أحمد فى « مسنده » (٦ / ٤٥٦) . والحاكم فى « المستدرك » (٣ / ٢٠٦) من حديث اسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاريه رضى الله عنها قالت : لما مات سعد بن معاذ صاحت أمه فقال لها رسول الله ﷺ ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك أول من ضحك الله إليه واهتز له العرش » ١ . هـ .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى بقوله : صحيح .

(٣١٨) أخرجه مسلم فى « القدر » (٤ / ١٧ / ح ٢٦٥٤ / ص ٢٠٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ فى « أوله إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن .. » ثم ذكر الحديث بتمامه ..

ونظائرها ما وصف الله به نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالذكر والرؤية لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهائها إليه ـ ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلى فى كتاب إبطال التأويل .

قال الخطيب : كان ابن جرير أحد العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعانى ، فقيهاً فى أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابه والتابعين فى الأحكام والحلال والحرام .

قال أبو حامد الإسفراييني : لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً . وقال ابن خزيمة : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ، وقال الخطيب : سمعت على بن عبد الله اللغوى يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقه .

قلت : وكان له مذهب مستقل له أصحاب ، عده أبو الفرج المعافا بن زكريا ، ومن أراد معرفة أقوال الصحابة والتابعين فى هذا الباب فليطالع ما قاله عنهم فى تفسير قوله تعالى ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾[٣١٩] وقوله ﴿ **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن** ﴾[٣٢٠] وقوله ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[٣٢١] ليتبين له أى الفريقين أولى بالله ورسوله الجهمية المعطلة أو أهل السنة والإثبات ، والله المستعان .

(قول الإمام أبى القاسم الطبرى اللالكائى) أحد أئمة أصحاب الشافعى رحمه الله تعالى فى كتابه « فى السنة » وهو من أجلّ الكتب ، سياق ما جاء فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٣٢٢] وأن الله عز وجل على عرشه فى السماء ، ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة . قال هو قول عمر وعبد لله بن مسعود وأحمد بن حنبل ؛ وعد جماعة يطول ذكرهم ، ثم ساق الآثار فى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وعائشة ابن عباس وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم .

(قول الإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوى قدس الله روحه) قال فى تفسيره الذى هو شجى فى حلوق الجهمية والمعطلة فى سورة الأعراف فى قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ قال الكلبي ومقاتل استقر ، وقال أبو عبيدة صعد ، قال وأولت المعتزلة الاستواء

---

(٣١٩) الأعراف / ١٤٣ .

(٣٢٠) الشورى / ٥ .

(٣٢١) الفرقان / ٥٩ .

(٣٢٢) طه / ٥ .

بالأستيلاء . قال وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف ، يجب على الرجل أن يؤمن بذلك ، ويكل العلم فيه إلى الله تعالى ، ثم حكى قول مالك الاستواء غير مجهول .

ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفى للتأويل ، فإنه التكييف الذى يزعمه أهل التأويل ، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون فى ثلاثة محاذير : نفى الحقيقة ، وإثبات التكييف بالتأويل ، وتعطيل الرب سبحانه عن صفته التى أثبتها لنفسه ، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ، ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف رداً عليه ، وإنما ردوا على أهل التأويل الذى يتضمن التحريف والتعطيل ، تحريف اللفظ وتعطيل معناه .

فصل فى ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه رحمه الله تعالى

قال الخلال فى كتاب السنة حدثنا يوسف بن موسى قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد قال : قيل لأبى : ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ، قال : نعم لا يخلو شىءمن علمه[٣٢٣] . قال الخلال : وأخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى قال : سألت أبا عبد الله أحمد عمن قال إن الله تعالى ليس على العرش ، فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وروى الطبرى الشافعى فى كتاب السنة له بإسناده عن حنبل قال : قيل لأبى عبد الله : ما معنى قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ وقوله ﴿ **وهو معكم** ﴾ قال : علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات والأرض[٣٢٤] . وقال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال « إن الله معنا » وتلا قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ قال يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، هلا قرأت عليه ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات** ﴾ بالعلم معهم ، وقال فى قوله ﴿ **ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[٣٢٥] .

---

(٣٢٣) ذكره الذهبى فى « العلو » / مختصر (١٨٩) . وقال شيخنا الألبانى : إسناده صحيح .

(٣٢٤) ذكره الذهبى فى « العلو » / مختصر (١٩٠) وعزاه إلى اللالكائى .

(*) المجادلة / ٧ .

(٣٢٥) ذكره الذهبى فى « العلو » / مختصر (١٩٠) .

وقال المروزى : قلت لأبى عبد الله أن رجلاً قال : أقول كما قال الله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره فقال أبو عبد الله : هذا كلام الجهمية ؛ فقلت له فكيف نقول ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم** ﴾ قال : علمه فى كل مكان وعلمه معهم قال أول الآية يدل على أنه علمه(٣٢٦) . وقال فى موضع آخر : وإن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وأنه غير مماس لشىء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائنون منه ، قال فى كتاب الرد على الجهمية الذى رواه عنه الخلال من طريق ابنه عبد الله قال (باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله تعالى على العرش) وقال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(٣٢٧)قلنا لهم ما أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش ، وقد قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(*) فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش وفى السموات والأرض وفى كل مكان وتلا ﴿ **وهو الله فى السموات وفى الأرض** ﴾(٣٢٨) قال أحمد فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شىء ، أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليست فيها من عظمة الرب شىء وقد أخبرنا الله سبحانه أنه فى السماء فقال ﴿ **أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء** ﴾(٣٢٩) ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾(٣٣٠) ﴿ **إنى متوفيك ورافعك إلى** ﴾(٣٣١) ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾(٣٣٢) ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾(٣٣٣) .

ذكر هذا الكتاب كله أبو بكر الخلال فى كتاب السنة الذى جمع فيه نصوص أحمد وكلامه ، وعلى منواله جمع البيهقى فى كتابه الذى سماه جامع النصوص من كلام الشافعى ، وهما كتابان جليلان لا يستغنى عنهما عالم . وخطبة كتاب أحمد بن حنبل :

أحمد بن حميد هو أبو طالب وهو المشكانى . صاحب الإمام أحمد .

قال الخطيب : روى عن أحمد مسائل تفرد بها ، وكان أحمد يكرمه ويعظمه . مات سنة أربع وأربعين ومائتين .

(*) ق / ١٦ .

(٣٢٦) قال الذهبى فى « العلو » : رواه ابن بطة فى « الإبانة » (مختصر العلو / ١٩٠)

(٣٢٧) طه / ٥ .

(٣٢٨) الأنعام / ٣ .

(٣٢٩) الملك / ١٦ ، ١٧ .

(٣٣٠) فاطر / ١٠ .

(٣٣١) آل عمران / ٥٥ .

(٣٣٢) النساء / ١٥٨ .

(٣٣٣) النحل / ٥٠ .

الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله تعالى أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد أهدوه ؛ فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب . يقولون على الله تعالى وفى الله تعالى وفى كتاب الله تعالى بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين .

ثم قال (باب بيان ما ضلت فيه الجهمية الزنادقة من متشابه القرآن)ثم تكلم على قوله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾(٣٣٤) .

قال : قالت الزنادقة فما بال جلودهم التى عصت قد احترقت وأبدلهم الله جلوداً غيرها ، فلا نرى إلا أن الله عز وجل يعذب جلوداً بلا ذنب حين يقول جلوداً غيرها ؛ فشكوا فى القرآن وزعموا أنه متناقض ، فقلنا إن قول الله عز وجل : بدلناهم جلوداً غيرها ، ليس يعنى جلوداً أخرى غير جلودهم ، وإنما يعنى بتبديلها تجديدها ، لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله ، ثم تكلم على آيات من مشكل القرآن ، ثم قال :

وإن مما أنكرت الجهمية الضلال أن الله تعالى عز وجل على العرش استوى ، وقد قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾(٣٣٥) وقال تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً** ﴾(٣٣٦) ثم ساق أدلة القرآن ثم قال :

ووجدنا كل شىء أسفل مذموماً ، قال الله تعالى ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار** ﴾(٣٣٧) وقال تعالى ﴿ **وقال الذين كفروا ربنا أرنا الَّذَيْنِ أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾(٣٣٨) ثم قال : ومعنى قوله تعالى ﴿ **وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** ﴾(٣٣٩)

---

(٣٣٤) النساء / ٥٦ .

(٣٣٥) طه / ٥ .

(٣٣٦) الفرقان / ٥٩ .

(٣٣٧) النساء / ١٤٥ .

(٣٣٨) فصلت / ٢٩ .

(٣٣٩) الأنعام / ٣ .

ويقول هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض وهو على العرش ، لا يخلو من علمه مكان ، ولا يكون علم الله تعالى فى مكان دون مكان ، وذلك من قوله ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيءقدير وأن الله قد أحاط بكل شيءعلماً** ﴾[٣٤٠] .

قال الإمام أحمد : ومن الاعتبار فى ذلك لو أن رجلاً كان فى يده قدح من قوارير وفيه شيء كان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم فى القدح ، فالله سبحانه ﴿ **وله المثل الأعلى** ﴾[٣٤١] قد أحاط بجميع ما خلق ، وقد علم كيف هو وما هو ، من غير أن يكون فى شيء مما خلق ، قال وخصلة أخرى لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها ثم أغلق بابها كان لا يخفى عليه كم بيت فى داره ؛ وكم سعة كل بيت ، من غير أن يكون صاحب الدار فى جوف الدار . فالله سبحانه قد أحاط بجميع ما خلق ، وقد علم كيف هو وما هو ، وله المثل الأعلى وليس هو فى شيء مما خلق .

قال الإمام : ومما تأولت الجهمية من قول الله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ فقالوا أن الله معنا وفينا ، فقلنا لهم : لم قطعتم الخبر من أوله ؟ إن الله تعالى يقول ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ يعنى علمه فيهم أينما كانوا ﴿ **ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيءعليم** ﴾[٣٤٢] ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه .

قال الإمام أحمد : وإذا أردت أن تعلم أن الجهمى كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان ، فقل له : أليس كان الله ولا شيء ؟ فيقول نعم . فقل له فحين خلق الشيء خلقه فى نفسه أو خارجاً عن نفسه فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل : إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق فى نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وابليس فى نفسه . وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضاً حين زعم أنه دخل فى كل مكان وحشّ وقذر ، وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع ، وهو قول أهل السنة .

---

(٣٤٠) المجادلة / ١٢ .

(٣٤١) الروم / ٢٧ .

(٣٤٢) المجادلة / ٧ .

قال أحمد : بيان ما ذكر فى القرآن - وهو معكم - على وجوه . قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ **إننى معكما أسمع وأرى** ﴾[٣٤٣] يقول فى الدفع عنكما ، وقال ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[٣٤٤] يعنى فى الدفع عنا ، قال تعالى ﴿ **والله مع الصابرين** ﴾[٣٤٥] يعنى فى النصرة لهم على عدوهم ، وقوله تعالى ﴿ **وأنتم الأعلون والله معكم** ﴾[٣٤٦] يعنى فى النصرة لكم على عدوكم . وقال سبحانه ﴿ **وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول** ﴾[٣٤٧] يعنى يقول بعلمه فيهم وقوله تعالى ﴿ **كلا إن معى ربى سيهدين** ﴾[٣٤٨] يقول بالعون على فرعون ، فلما ظهرت الحجة على الجهمى بما أدعى على الله سبحانه أنه مع خلقه ؛ قال هو فى كل شىء غير مماس لشىء ولا مباين له ، فقلنا له فإذا كان غير مبائن للشىء أهو مماس له ، قال لا ، قلنا فكيف يكون فى كل شىء غير مماس لشىء ولا مباين لشىء ، فلم يحسن الجواب ، فقال : بلا كيف ليخدع الجهال بهذه الكلمة ويموه عليهم ، ثم قلنا لهم إذا كان يوم القيامة أليس إنما تكون الجنة والنار والعرش والهوى فقال بلى ، فقلنا وأين يكون ربنا ؟ قال يكون فى كل شىء كما كان حيث كانت الدنيا قلنا ففى مذهبكم أن ما كان من الله تعالى على العرش فهو على العرش وما كان من الله تعالى فى الجنة فهو فى الجنة ، وما كان من الله تعالى فى النار فهو فى النار ، وما كان منه فى الهوى فهو فى الهوى ، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله .

قال أحمد : وقلنا للجهمية حين زعمتم أن الله تعالى فى كل مكان ، قلنا أخبرونا عن قول الله تعالى ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾[٣٤٩] كان فى الجبل بزعمكم ، فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له ، بل كان سبحانه على العرش ، فتجلى الشىء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قط قبل ذلك .

قال أحمد : وقلنا للجهمية الله نور ، فقالوا هو نور كله ، فقلنا لهم : قال الله عز وجل ﴿ **وأشرقت الأرض بنور بها** ﴾[٣٥٠] فقد أخبر جل ثناؤه أن له نوراً وقلنا لهم أخبرونا

---

(٣٤٣) طه / ٤٦ .
(٣٤٤) التوبة / ٤٠ .
(٣٤٥) الأنفال / ٦٦ .
(٣٤٦) محمد / ٣٥ .
(٣٤٧) النساء / ١٠٨ .
(٣٤٨) الشعراء / ٦٢ .
(٣٤٩) الأعراف / ١٤٣ .
(٣٥٠) الزمر / ٦٩ .

حين زعمتم أن الله سبحانه فى كل مكان وهو نور فلم لم يضىء البيت المظلم بلا سراج ، وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضىء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى .

قال الإمام أحمد رحمه الله : كان جهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم كثيراً ، وكان فيما بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان ؛ وكان صاحب خصومات وشر وكلام ، وكان أكثر كلامه فى الله تعالى ، فلقى أناساً من الكفار يقال لهم السمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت فى ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا فى دينك ، فكانوا مما كلموا به جهماً قالوا ألست تزعم أن لك إلهاً ، قال الجهم نعم ، قالوا له فهل رأت عينك إلهك ، قال لا ، قالوا فهل شممت له رائحة قال لا ، قالوا فهل وجدت له حساً ، قال لا ، قالوا فهل وجدت له مجلساً ، قال لا قالوا فهل يدريك إنه إله ، قال فتحير الجهم ولم يدر أربعين يوماً .

ثم أنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصارى لعنهم الله ، وذلك أن زنادقة النصارى لعنهم الله زعموا أن الروح التى فى عيسى بن مريم روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمراً دخل فى بعض خلقه فتكلم على لسانه فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب عن الأبصار ،فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسمنى : ألست تزعم أن فيك روحاً ؟ قال نعم ، قال فهل رأيت روحك ، قال لا ، قال فهل سمعت كلامه ، قال لا ، قال فهل وجدت له مجلساً أو حساً ، قال لا ، قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، ووجدت ثلاث آيات فى القرآن من المتشابه قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾[٣٥١] ﴿ **وهو الله فى السموات وفى الأرض** ﴾[٣٥٢] ، ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾[٣٥٣] فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث النبى ﷺ وزعم أن من وصف الله تعالى بشىء مما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه النبي ﷺ كان كافراً أو كان من المشبهة ، فأضل بشراً كثيراً ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب فلان ، ووضع دين الجهمية فإذا سألهم الناس عن قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ ما تفسيره يقولون ليس كمثله شىء من الأشياء هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش لا يخلو منه مكان ، ولا هو فى مكان دون مكان ، ولا يتكلم ولا يكلم ، ولا ينظر إليه أحد ؛ لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا

---

(٣٥١) الشورى / ١١ .

(٣٥٢) الأنعام / ٣ .

(٣٥٣) الأنعام / ١٠٣ .

يوصف ولا يعرف بصفة ، ولا يعقل ، ولا له غاية ولا منتهى ، ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ، وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله وهو قدرة كله ، لا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس بمعلوم ولا معقول ، وكل ما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه ، فقلنا لهم فمن تعبدون ، قالوا : نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ؛ قلنا : فالذى يدبر أمر هذا الخلق مجهول لا يعرف بصفته ، قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئاً إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون .

ثم قلنا لهم هذا الذى يدبر هو الذى كلم موسى ، قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح منفية عن الله سبحانه وتعالى فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله سبحانه ولم يعلم أن كلامهم إنما يعود إلى ضلالة وكفر .

قال الخلال : كتبت هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه واحتج القاضى أبو يعلى فى كتابه إبطال التأويل بما نقله منه عن أحمد ، وذكر ابن عقيل فى كتابه بعض ما فيه عن أحمد ونقله عن أصحابه قديماً وحديثاً . ونقل منهم البيهقى وعزاه إلى أحمد وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد ، ولم يسمع عن أحد من متقدمى أصحابه ولا متأخريهم طعن فيه .

فإن قيل هذا الكتاب يرويه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال عن الخلال عن الخضر بن المثنى عن عبد الله بن أحمد عن أبيه . وهؤلاء كلهم أئمة معروفون إلا الخضر بن المثنى فإنه مجهول . فكيف تثبتون هذا الكتاب عن أحمد برواية مجهولة فالجواب من وجوه .

(**أحدهما**) أن الخضر هذا قد عرفه الخلال وروى عنه كما روى كلام أبى عبد الله عن أصحابه وأصحاب أصحابه ولا يضر جهالة غيره له . (**الثانى**) أن الخلال قد قال كتبته من خط عبد الله بن أحمد وكتبه عبد الله من خط أبيه ، والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر لأنه أحب أن يكون متصل السند على طريق أهل النقل . وضم ذلك إلى الوجادة . والخضر كان صغيراً حين سمعه من عبد الله ، ولم يكن من المعمرين المشهورين بالعلم ولا هو من الشيوخ . وقد روى الخلال عنه غير هذا فى جامعه فقال فى كتاب الأدب من الجامع فقال « دفع إلى الخضر بن المثنى بخط عن عبد الله بن أحمد أجاز لى أن أرويه عنه » .

قال الخضر حدثنا مهنا قال سألت أحمد بن حنبل عن الرجل يبزق عن يمينه فى الصلاة وفى غير الصلاة . فقال يكره أن يبزق الرجل عن يمينه فى الصلاة وفى غير الصلاة . فقلت له لم

يكره أن يبزق الرجل عن يمينه فى غير الصلاة . قال أليس عن يمينه الملك فقلت وعن يساره أيضاً ملك ، فقال الذى عن يمينه يكتب الحسنات والذى عن يساره يكتب السيئات .

قال الخلال : وأخبرنا الخضر بن المثنى الكندى قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال : قال أبى لا بأس بأكل ذبيحة المرتد إذا كان ارتداده إلى يهودية أو نصرانية ولم يكن إلى مجوسية ، قلت والمشهور فى مذهبه خلاف هذه الرواية وإن ذبيحة المرتد حرام ، رواها أصحابه ولم يذكر أكثر أصحابه غيرها .

ومما يدل على صحة هذا الكتاب ما ذكره القاضى أبو الحسين بن القاضى أبى يعلى فقال :

(قرأت فى كتاب جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل قال قرأت على أبى صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال هذا كتاب علمه أبى فى مجلسه رداً على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره رسول الله ﷺ وما يلزم اتباعه) .

وقال الخلال فى كتاب السنة : أخبرنى عبيد الله بن حنبل أخبرنى أبى حنبل بن إسحاق قال : قال عمى (يعنى أحمد بن حنبل) نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصفون أو يحدها أحد وصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية وهو يدرك الأبصار ، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب .

قال الخلال : وأخبرنى على بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التى تروى أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا وأن الله يرى وأن الله يضع قدمه ، وما أشبه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق إذا كانت أسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وقال حنبل فى موضع آخر عن أحمد ليس كمثله شىء فى ذاته كما وصف نفسه قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شىء وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه قال : فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال : ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون ، نؤمن بالقرآن كله : محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفه من صفته بشناعة شنعت ،

وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعيدة يوم القيامة ووضعه كنفه عليه ، فهذا كله يدل أن الله سبحانه وتعالى يرى فى الآخرة ، والتحديد فى هذا كله بدعة والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه ، سميع بصير لم يزل متكلماً عالماً غفوراً ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾[٣٥٤] كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ، ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير لا نتعدى القرآن والحديث ، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة . قلت له ، والمشبه ما يقول ؟ قال من قال بصر كبصرى ويد كيدى وقدم كقدمى ، فقد شبه الله سبحانه بخلقه ، وكلام أحمد فى هذا كثير فإنه امتحن بالجهمية ، وجميع المتقدمين من أصحابه على مثل منهاجه فى ذلك ، وإن كان بعض المتأخرين منهم من يدخل فى نوع من البدعة التى أنكرها الإمام أحمد ، ولكن الرعيل الأول من أصحابه كلهم وجميع أئمة الحديث قولهم قوله .

أقوال أئمة أهل الحديث الذين رفع الله تعالى منارهم فى العالمين وجعل لهم لسان صدق فى الآخرين

(ذكر قول إمامهم وشيخهم) الذى روى له كل محدث ، أبو هريرة رضى الله عنه روى الدارمى عنه فى كتاب النقض بإسناد جيد قال : لما ألقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار قال : اللهم إنك فى السماء واحد وأنا فى الأرض واحد أعبدك[٣٥٥] .

(ذكر قول إمام الشام فى وقته) أحد أئمة الدنيا الأربعة أبى عمرو الأوزاعى رحمه الله تعالى ، روى البيهقى عنه فى الصفات أنه قال : كنا التابعون متوافرين نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته وقد تقدم حكاية ذلك عنه[٣٥٦] .

(قول إمام أهل الدنيا فى وقته) عبد الله بن المبارك رحمه الله ، وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له بماذا نعرف ربنا ؟ قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ذكره البيهقى وقبله الحاكم وقبله الدارمى عثمان وقد تقدم[٣٥٧] .

---

(٣٥٤) الأعراف / ٥٤ .

(٣٥٥) ذكره الثعلبى فى « قصص الأنبياء » (ص ٨٥) .

(٣٥٦) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » ص (٤٠٨) وذكره الذهبى فى « العلو » / مختصر / ١٠٠ .

(٣٥٧) تقدم وقال الألبانى فى « المختصر للعلو » صحيح ثابت عن ابن المبارك .

(قول حماد بن زيد إمام وقته) رحمه الله تعالى تقدم عنه قول الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا : ليس فى السماء شيء ، وكان من أشد الناس على الجهمية[٣٥٨] .

(قول يزيد بن هرون) رحمه الله تعالى : قال عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب السنة حدثنا عباس حدثنا شداد بن يحيي قال سمعت يزيد بن هرون من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر فى قلوب العامه فهو جهمى[٣٥٩] ، قال شيخ الإسلام والذى تقرر فى قلوب العامه هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليه ، ولكن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له[٣٦٠] .

(قول عبد الرحمن بن مهدى) رحمه الله روى عنه غير واحد بإسناد صحيح أنه قال : أن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسى وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم[٣٦١] ، قال على بن المدينى « لو حلفت لحلفت بين الركن والمقام أنى ما رأيت أعلم من عبد الرحمن بن مهدى » .

(قول سعيد بن عامر الضبعى) إمام أهل البصرة على رأس المائتين رحمه الله تعالى . روى ابن أبي حاتم عنه فى كتاب السنة أنه ذكر عنده الجهمية فقال « هم شر قولاً من اليهود والنصارى» وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم ليس على العرش شيء[٣٦٢] .

---

(٣٥٨) قال الألبانى فى « مختصر العلو » (ص ١٤٦) :
رواه عبد الله بن أحمد فى « السنة » ص (٩ ، ١٠) وإسناده صحيح وصححه ابن تيمية فى « الحموية » .

(٣٥٩) ذكره الذهبي فى « العلو » / مختصر (١٦٧) وقال : (يَقرُ) مخفف ، و(العامة) مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم وقال الألبانى : أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد فى « السنة » ص (١١ ، ١٢) وأبو داود فى « المسائل » (ص ٢٦٨) . وهذا إسناد جيد .

(٣٦٠) (قلت) وهذا الكلام الأخير (حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يُقيض له) وهذا قياساً على قوله ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .. الحديث » أخرجه البخارى (٣ / ح ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ / فتح) ومسلم (٤ / ٢٢ / ح ٢٦٥٨ / ص ٢٠٤٧) من حديث أبى هريرة .

(٣٦١) ذكره الذهبي فى « العلو » / مختصر (١٦٩) . وقال الألبانى : أخرجه عبد الله (ص ١٠ ،١١) من طرق عنه مختصراً .

(٣٦٢) ذكره الذهبي فى « العلو » مختصر / ١٦٨ .

(قول عباد بن العوام) أحد أئمة الحديث بواسط ، رحمه الله قال كلمت بشر المريسى وأصحابه فرأيت آخر كلامهم يقولون ليس فى السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا[٣٦٣] .

(قول عبد الله بن مسلمة القعنبي) شيخ البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى قال بنان بن أحمد كنا عند القعنبي فسمع رجل من الجهمية يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ استولى[*] ، فقال القعنبي « من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما تقرر فى قلوب العامه فهو جهمى »[٣٦٤] قال البخارى محمد بن إسماعيل رحمه الله تعالى فى كتابه خلق أفعال العباد عن يزيد بن هرون مثله سواء وقد تقدم .

(قول على بن عاصم شيخ الإمام أحمد رحمهما الله تعالى) صح عنه أنه قال « ما الذين قالوا أن لله سبحانه ولداً أكفر من الذين قالوا أن الله سبحانه لم يتكلم » وقال احذروا من المريسى وأصحابه فإن كلامهم الزندقة ، وأنا كلمت أستاذهم فلم يثبت أن فى السماء إلهاً ، حكاه عنه غير واحد ممن صنف فى السنة .

قال يحيي بن عاصم كنت عند أبى فاستأذن عليه المريسى فقلت له يا أبت مثل هذا يدخل عليك ، فقال وما له ، فقلت إنه يقول أن القرآن مخلوق ويزعم أن الله معه فى الأرض ، وكلاماً ذكرته ؛ فما رأيته أشتد عليه مثل ما اشتد عليه قوله إن القرآن مخلوق ، وقوله إن الله معه فى الأرض ، ذكر هذين الأثرين عنه عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية[٣٦٥] .

(قول وهب بن جرير رحمه اللهتعالى) صح عنه أنه قال : إياكم ورأى جهم فإنهم يحاولون أن ليس فى السماء شيء وما هو إلا من وحى إبليس وما هو إلا الكفر[٣٦٦] ، حكاه محمد بن عثمان

---

(٣٦٣) قال الألبانى فى « مختصر العلو » للذهبي (ص ١٥٤) : أخرجه عبد الله فى « السنة » (ص ١٣ ، ٢٣) . وصححه .

(*) كتبت الآية عند المصنف صحيحه ، أما الذى وجدته فى « مختصر العلو » أن الجهمى قرأها (الرحمن على العرش استولى) ولذلك أنكر عليه القعنبي لأنه ينكر الاستواء .

(٣٦٤) ذكره الذهبي فى « العلو » وقالأخرجهاعبد العزيز القحيطى وقال الألبانى فى « المختصر / ص ١٧٨ : فى المخطوطة (العجيلى) وليس (القحيطى) وسواء كان هذا أو ذاك فإنى لم أعرف عبد العزيز هذا ثم رأيته فى « المختصر » (القحيطى) . وبنان بن أحمد لا بأس به ، وله ترجمة فى تاريخ بغداد (٧ / ١٠٠) . ٠هـ

(٣٦٥) ذكره الذهبي فى « العلو » ، وقال الألبانى فى « المختصر / ص ١٦٧ » لم أعرف يحى بن على بن عاصم ولم يذكروه فى الرواة عن أبيه على بن عاصم .

(٣٦٦) ذكره الذهبي فى « العلو » وقال الألبانى فى « مختصر / ١٧٠ » بعد أن ساق تراجم سنده ، صححه ابن القيم فى جيوشه وكأنه أقر التصحيح .

الحافظ فى رسالته فى السنة ، وقال البخارى رحمه الله تعالى فى كتاب خلق الأفعال : وقال وهب بن جرير الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى .

(قول عاصم بن على أحد الشيوخ النبل) شيخ البخارى وغيره أحد الأئمة الحفاظ الثقات حدث عن شعبة ، وابن أبى ذئب ، والليث رحمهم الله تعالى ، قال الخطيب وجه المعتصم من يحزر مجلسه فى جامع الرصافة ، وكان عاصم يجلس على سطح الرحبة ويجلس الناس فى الرحبة وما يليها فعظم الجمع مرة جداً حتى قال أربع عشرة مرة حدثنا الليث بن سعد والناس لا يسمعون لكثرتهم فحزر المجلس فكان عشرين ومائة ألف رجل ، قال يحيى بن معين فيه : هو سيد المسلمين ، قال عاصم ناظرت جهمياً فتبين من كلامه أنه اعتقد أن ليس فى السماء رب[٣٦٧] ، قال شيخ الإسلام : كان الجهمية يدورون على ذلك ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله ، قال هكذا ظهرت البدع كلما طال الأمر وبعد العهد اشتد أمرها وتغلظت ، قال وأول بدعة ظهرت فى الإسلام بدعة القدر والإرجاء ، ثم بدعة التشيع إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالها .

(قول الإمام عبد العزيز بن يحيى الكنانى) صاحب الشافعى رحمها الله تعالى له كتاب فى الرد على الجهمية قال فيه (باب قول الجهمى فى قوله الرحمن على العرش استوى) زعمت الجهمية أن معنى استوى (استولى) من قول العرب استوى قاطن على مصر يريدون استولى عليها ، قال فيقال له هل يكون خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه فإذا قال لا ، قيل له فمن زعم ذلك فهو كافر فيقال له يلزمك أن تقول أن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه ، وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استوى عليه بعد خلقهن ، فيلزمك أن تقول ، المدة التى كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله تعالى بمستول عليه فيها ، ثم ذكر كلاماً طويلاً فى تقرير العلو والاحتجاج عليه .

(ذكر قول جرير بن عبد الحميد) شيخ إسحاق بن راهويه وغيره من الأئمة رحمهم الله قال : كلام الجهمية أوله عسل وآخرة سم ، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء إله ، رواه ابن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية .

---

(٣٦٧) عاصم بن على بن عاصم الواسطى كان حافظاً من أوعية العلم صادقاً وقد ذكر هذه الواقعة الذهبى فى « العلو » / مختصر ١٧٩ .

(ذكر قول عبد الله بن الزبير الحميدى) أحد الشيوخ النبل شيخ البخارى إمام أهل الحديث والفقة فى وقته ، وهو أول رجل افتتح به البخارى صحيحه قال وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله تعالى ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوابل يداه مبسوطتان** ﴾[٣٦٨] ومثل قوله تعالى ﴿ **والسموات مطويات بيمينه** ﴾[٣٦٩] وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ونقول : الرحمن على العرش استوى ، ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمى[٣٧٠] ، وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهمياً مبتدعاً فإنه يكون كافراً زنديقياً ، وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته .

(قول نعيم بن حماد الخزاعى) أحد الشيوخ النبل شيخ البخارى رحمها الله تعالى قال فى قوله تعالى ﴿ **وهو معكم** ﴾ معناه لا يخفى عليه خافية بعلمه . ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ أراد أن لا يخفى عليه خافية[٣٧١] .

قال البخارى : سمعته يقول من شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهاً[٣٧٢] .

(قول عبد الله بن أبى جعفر الرازى) رحمه الله قال صالح بن الضريس جعل عبد الله بن أبى جعفر الرازى يضرب قرابة له بالنعل على رأسه يرى رأى جهم ويقول لا حتى يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ بائن من خلقه ، ذكره عبد الرحمن بن أبى حاتم فى كتاب الرد على الجهمية[٣٧٣] .

---

(٣٦٨) المائدة / ٦٤ .

(٣٦٩) الزمر / ٦٧ .

(٣٧٠) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال : كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى الحميدى مفتى أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة ، حدّث عنه البخارى والكبار . مات سنة (٢٢٩) وقال الألبانى فى المختصر / ١٨٠ : عبد الغفار بن محمد هو أبو طاهر المؤدب ، له ترجمة فى تاريخ الخطيب (١١ / ١١٦) وقال : كتبت عنه ، وسمعت أبا عبد الله الصورى يغمزه ، ويذكره بما يوجب ضعفه قال الألبانى : ولعله قد توبع فقد رأيت ابن تيمية ثبت هذا النص عن الحميدى فى كتابه « مفصل الاعتقاد » ص ٦ . والله أعلم .

(٣٧١) قال شيخنا الألبانى فى « مختصر العلو / ١٨٤ » سنده صحيح .

(٣٧٢) ذكر ابن القيم هذا الكلام للبخارى ، ولكنى وجدته فى « العلو » للذهبى تحت (محمد بن إسماعيل الترمذى) ولعل هذا وهم من ابن القيم واختلط عليه الاسم ، والصحيح هو ما ذكره الذهبى فى « العلو » . قال الألبانى فى « المختصر / ١٨٤ » بعد أن ساق السند إلى محمد بن إسماعيل الترمذى . وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات معروفون .

(٣٧٣) ذكره الألبانى فى « مختصر العلو » ص (١٧٣) ، وقال : أورده ابن أبى حاتم (٢ / ١ / ٤٠٦ / ٤٠٧) وسنده لا بأس به .

(قول الحافظ أبى معمر القطيعى) رحمه الله ، ذكر ابن أبى حاتم عنه أنه قال : آخر كلام الجهمى أنه ليس فى السماء إله[٣٧٤] .

(قول بشر بن الوليد وأبى يوسف رحمها الله تعالى) وروى ابن أبى حاتم قال : جاء بشر ابن الوليد إلى أبى يوسف فقال له : تنهانى عن كلام بشر المريسى ، وعلى الأحول وفلان يتكلمون ، فقال وما يقولون ؟ قال يقولون إن الله فى كل مكان ، فبعث أبو يوسف وقال على بهم فانتهوا إليهم وقد قام بشر فجىء بعلى الأحول والشيخ الآخر فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال : لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك وأمر به إلى الحبس ، ضرب على الأحول وطيف به ، وقد استتاب أبو يوسف بشر المريسى لما أنكر أن الله فوق عرشه ، وهى قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمن بن أبى حاتم وغيره ؛ وأصحاب أبى حنيفة المتقدمون على هذا .

قال محمد بن الحسن رحمه الله اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقات عن الرسول ﷺ فى صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لاشىء[٣٧٥]. وقال محمد رحمه الله تعالى أيضاً فى الأحاديث التى جاءت أن الله يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا : هذه الأحاديث قد رواها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها ؛ ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائى وهذا تصريح منه بأن من قال بقول جهم فقد فارق جماعة المسلمين ، وقد ذكر الطحاوى فى اعتقاد أبى حنيفة وصاحبيه رحمهم الله تعالى ما يوافق هذا وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم ، قال فى عقيدته المعروفة : وأنه تعالى محيط بكل شىء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه .

(قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى) ذكر الثعلبى عنه فى تفسيره . قال ابن عيينه ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ صعد .

(قول خالد بن سليمان أبى معاذ البلخى أحد الأئمة رحمه الله تعالى) روى عبد الرحمن بن أبى حاتم عنه بإسناده قال : كان جهم على معبر ترمذ ؛ وكان فصيح اللسان ، لم يكن له علم ولا

---

(٣٧٤) ذكره الذهبى فى « العلو » وقال الألبانى فى « مختصره / ١٨٨ » ذكره ابن أبى حاتم (٢ / ١ / ٤٠٤ / ٤٠٦) .

(٣٧٥) ذكره الذهبى فى « العلو / مختصر / ١٥٩ » وعزاه إلى اللالكائى والمقدسى . وقال ابن تيمية فى « مفصل الاعتقاد » إنه ثبت عن محمد بن الحسن .

مجالسة أهل العلم ، فكلمه السمنية فقالوا : صف لنا ربك الذى تعبده ، فدخل البيت لا يخرج ، ثم خرج إليهم بعد أيام فقال : هو هذا الهوى مع كل شىء وفى كل شىء ولا يخلو منه شىء.

قال أبو معاذ : كذب عدو الله ، إن الله فى السماء على العرش كما وصف نفسه وهذا صحيح عنه[٣٧٦] ، وأول من عرف عنه فى هذه الأمة أنه نفى أن يكون الله فى سمواته على عرشه هو جهم بن صفوان ، وقبله الجعد بن درهم ، لكن الجهم هو الذى دعا إلى هذه المقالة وقررها وعنه أخذت ، فروى ابن أبى حاتم وعبد الله بن أحمد فى كتابيهما فى السنة عن شجاع بن أبى نصر أبى نعيم البلخى ، وكان قد أدرك جهماً قال : كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره ، فإذا هو قد وقع به ، فصيح به وبدر[*] به وقيل له لقد كان يكرمك فقال إنه قد جاء منه مالا يحتمل ، بينما هو يقرأ طه والمصحف فى حجره ، فلما أتى على هذه الآية ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فقال لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت ، فاحتملت هذه ؛ ثم أنه بينما هو يقرأ آية إذ قال : ما أظرف محمداً حين قالها ، ثم بينما هو يقرأ (طسم) القصص والمصحف فى حجره إذ مر بذكر موسى عليه الصلاة والسلام ، فدفع المصحف بيديه ورجليه وقال : أى شىء هذا الذى ذكره هنا ، فلم يتم ذكره[٣٧٧] ، فهذا شيخ النافين لعلو الرب على عرشه ومباينته من خلقه .

وذكر ابن أبى حاتم عنه بإسناده عن الأصمعى قال : قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها : الله على عرشه ، فقالت محدود على محدود . فقال الأصمعى هى كافرة بهذه المقالة ، أما الرجل وامرأته فما أولاه بأن سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب .

(قول إسحاق بن راهويه إمام أهل المشرق نظير أحمد رحمها الله تعالى) قال حرب بن إسماعيل الكرمانى صاحب أحمد ، قلت لإسحاق بن راهويه قول الله عز وجل ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ كيف تقول فيه ؟ قال حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه ، ثم قال وأعلى كل شىء من ذلك وأثبته قول الله عز وجل ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٣٧٨] .

---

(٣٧٦) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » ص (٤٢٧) وقال الألبانى فى « مختصر العلو » / ١٦٣ : إسناده صحيح .

(*) (بدر) فى المخطوطة (للعلو) (ندر) وصححه الألبانى بقوله (ونذر) وقال : هو الصحيح .

(٣٧٧) أخرجه البخارى فى « خلق أفعال العباد » (ص ٢٠) وعبد الله بن أحمد فى « السنة » (ص ٣٠) ، وقال الألبانى : إسناده صحيح .

(٣٧٨) قال الذهبى فى « العلو » رواها الخلال فى « السنة » عن حرب وقال الألبانى فى « مختصره » ص / ١٩٠ / أخرجه

وقال الخلال فى كتاب السنة : أخبرنا أبو بكر المروزى حدثنا محمد بن الصباح النيسابورى حدثنا سليمان بن داود الخفاف قال : قال إسحاق بن راهويه قال الله عز وجل ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شىء أسفل السابعة وفى قعور البحار ورءوس الجبال وبطون الأودية وفى كل موضع ، كما يعلم ما فى السموات السبع وما دون العرش ، أحاط بكل شىء علماً ، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه ، لا يعجزه معرفة شىء عن معرفة غيره .

وقال السراج : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : دخلت يوماً على طاهر بن عبد الله وعنده منصور بن طلحة ، فقال لى منصور : يا أبا يعقوب تقول أن الله ينزل كل ليلة ؛ قلت له ونؤمن به ، إذ أنت لا تؤمن أن الله فى السماء لا تحتاج أن تسألنى ، فقال طاهر : ألم أنهك عن هذا الشيخ .

(ذكر قول حافظ الإسلام يحيى بن معين رحمه الله تعالى) روى ابن بطة عنه فى الإبانة بإسناده قال : إذا قال لك الجهمى كيف ينزل فقل كيف يصعد[٣٧٩] .

(قول الإمام حافظ أهل المشرق وشيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارمى رحمه الله) قال فيه أبو الفضل الفرات : ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى عثمان مثل نفسه ، أخذ الأدب عن ابن الأعرابى ، والفقه عن البويطى ، والحديث عن يحيى بن معين وعلى بن المدينى ، وأثنى عليه أهل العلم ، صاحب كتاب « الرد على الجهمية » والنقض على بشر المريسى ، وقال فى كتابه النقض على بشر ، وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سمواته لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض ، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم وتشقق السموات يومئذ لنزوله وتنزل الملائكة تنزيلاً ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، كما قال الله به ورسوله ﷺ فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشىء من أمور الدنيا علموا يقيناً أن ما يأتى الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه ، فقوله ﴿**فأتى الله بنيانهم من القواعد**﴾[٣٨٠] إنما هو أمره وعذابه[٣٨١] .

الهروى أيضاً فى (ذم الكلام) (٦ / ١٢٠ / ١) عن حرب نحوه . وحرب حافظ فقيه نبيل من أصحاب الإمام أحمد مات سنة (٢٨٠) .

(٣٧٩) ذكره الذهبى فى « العلو » / مختصر / ١٨٨ . وقال : الكيف فى الحالين منفى عن الله تعالى لا مجال للعقل فيه . ويحيى لا يحتاج إلى تعريف هو حامل راية الحديث ، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين بمدينه النبى ﷺ .

(٣٨٠) النحل / ٢٦ .

(٣٨١) ذكره الألبانى فى « مختصر العلو » ص (٢١٣) وقال : انظر كتاب (النقض) ص (٢٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣) .

وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب وقد ذكر الحلول : ويحك هذا المذهب أنزه الله تعالى من السوء أم مذهب من يقول هو بكماله وجماله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته فوق جميع الخلائق فى أعلى مكان وأظهر مكان حيث لا خلق هناك ولا إنس ولا جان أى الحزبين أعلم بالله وبمكانه ، وأشد تعظيماً وإجلالاً له وقال فى هذا الكتاب ، علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ ، وهو بكماله فوق عرشه والسموات ومسافة بينهن وبينه وبين خلقه فى الأرض ؛ فهو كذلك معهم خامسهم وسادسهم ، وإنما يعرف فضل الربوبية وعظم القدرة بأن الله من فوق عرشه ، ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما فى الأرض .

وقال فى موضع آخر من الكتاب : والقرآن كلام الله وصفة من صفاته ، خرج منه كما شاء أن يخرج ، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق ؛ وهو بكماله على عرشه .

وقال فى موضع آخر وقد ذكر حديث البراء بن عازب رضى الله عنه الطويل فى شأن الروح وقبضها ونعيمها وعذابها ، وفيه فيصعد بروحه حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله ، فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين فى السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض[٣٨٢] ، وذكر الحديث ثم قال .

وفى قوله ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء** ﴾[٣٨٣] دلالة ظاهرة أن الله تعالى فوق السموات لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال إلى السماء ولما غلقت أبواب السماء عن قوم ، وفتحت لآخرين .

وقال فى موضع آخر وقد بلغنا أن حملة العرش حين حملوا العرش وفوقه الجبار جل جلاله فى عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته ، ثم ساق بإسناده عن معاوية بن صالح أول ما خلق الله حين كان عرشه على الماء حملة العرش فقالوا ربنا لم خلقنا ؟ فقال خلقتكم لحمل عرشى ، فقالوا ربنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه جلالك وعظمتك ووقارك ، فقال لهم إنى خلقتكم لذلك . قال فيقول ذلك مراراً ، قال فقولوا ذلك لا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(٣٨٢) (صحيح) عند الإمام أحمد (٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨) من حديث البراء بن عازب وقد تقدم تخريجه .

(٣٨٣) الأعراف / ٤٠ .

وقال فى موضع آخر : ولكنا نقول رب عظيم وملك كبير ، نور السموات والأرض ، وإله السموات والأرض على عرش عظيم مخلوق فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن ، من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه .

وقال فى موضع آخر فى حديث حصين كم تعبد[٣٨٤] ، فلم ينكر النبي ﷺ على حصين إذ عرف أن إله العالمين فى السماء كما قال النبي ﷺ فحصين رضى الله عنه قبل إسلامه كان أعلم بالله الجليل من المريسى وأصحابه مع ما ينتحلون من الإسلام ، إذ ميز بين الإله الخالق الذى فى السماء وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التى فى الأرض . قال وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله سبحانه فى السماء وعرفوه بذلك إلا المريسى وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث ؛ وقال فى قول رسول الله ﷺ للأمة أين الله ، تكذيب لمن يقول هو فى كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين ، بل يستحيل أن يقال أين هو ، والله فوق سمواته بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذى يعبده .

وكتاباه من أجلّ الكتب المصنفة فى السنة وأنفعها ، وينبغى لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصى بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمها جداً وفيها من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس فى غيرها .

(قول قتيبة بن سعيد) الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام وحفاظ الحديث من شيوخ الأئمة الذين تجملوا بالحديث عنه .

قال أبو العباس السراج : سمعت قتيبة بن سعيد يقول : هذا قول الأئمة فى الإسلام والسنة والجماعة ، نعرف ربنا سبحانه بأنه فى السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وقال موسى بن هارون حدثنا قتيبة بن سعيد قال نعرف ربنا فى السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٣٨٥] .

(قول عبد الوهاب الوراق) أحد الأئمة الحفاظ ، أثنى عليه الأئمة ، وقيل للإمام أحمد رحمه الله : من نسأل بعدك ، فقال عبد الوهاب ، وهو من شيوخ النبل ، قال عبد الوهاب . وقد

---

(٣٨٤) أخرجه الترمذى (٥ / ح ٣٤٨٣) من حديث عمران وقال : حديث غريب وذكره التبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٢ / ح ٢٤٧٦) ولفظه : (يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً ؟ قال أبى : « ستا فى الأرض وواحد فى السماء .... الحديث » .

(٣٨٥) ذكره الذهبى فى « العلو » مختصر / ١٨٧ .

روى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة الاف نور ، وهو فوق ذلك ، ومن زعم أن الله ههنا فهو جهمى خبيث ، إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة ، صح ذلك عنه حكاه عنه محمد بن عثمان فى رسالته فى الفوقية ، وقال ثقة حافظ روى عنه أبو داود والترمذى والنسائى ، مات سنة خمسين ومائتين .

(قول خارجة بن مصعب رحمه الله تعالى) قال عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة : حدثنى أحمد بن سعيد الدارمى أبو جعفر قال : سمعت أبى يقول : سمعت خارجه بن مصعب يقول : الجهمية كفار أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ؛ ثم تلا طه إلى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ .

(قول إمامى أهل الحديث) أبى زرعة وأبى حاتم رحمهما الله تعالى . قال عبد الرحمن بن أبى حاتم ، سألت أبى وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة فى أصول الدين وما أدركا عليه أئمة العلم فى ذلك فقالا أدركنا العلماء فى جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله عز وجل ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف ، أحاط بكل شىء علماً ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وأنه سبحانه يرى فى الآخرة يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء ، والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان لا يفنيان أبداً ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقله عن الملة ، ومن شك فى كفره ممن يفهم ولا يجهله فهو كافر ، ومن وقف فى القرآن فهو جهمى ، ومن قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى[٣٨٦] .

قال أبو حاتم : والقرآن كلام الله وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات ؛ ونقول إن الله على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ثم ذكر عن أبى زرعة رحمه الله تعالى أنه سئل عن تفسير قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فغضب وقال تفسيرها كما تقرأ هو على العرش استوى وعلمه فى كل مكان ، من قال

---

(٣٨٦) ذكره الذهبى فى « العلو » . وقال الألبانى فى « مختصره » : هذا صحيح ثابت عن أبىزرعة وأبى حاتم رحمة الله عليهما . فقد ساقه المصنف (يقصد الذهبى) بأسانيد ثلاثة .. وصححه ..

غير ذلك فعليه لعنة الله . وهذان الإمامان إماما أهل الدين وهما من نظراء الإمام أحمد والبخارى رحمهما الله تعالى[٣٨٧] .

(قول حرب الكرمانى) صاحب أحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى وله مسائل جليلة عنهما ، قال يحيي بن عمار أخبرنا أبو عصمة قال حدثنا إسماعيل بن الوليد حدثنا حرب بن إسماعيل قال : والماء فوق السماء السابعة والعرش على الماء والله على العرش ، قلت هذا لفظه فى مسائله وحكاه إجماعاً لأهل السنة من سائر أهل الأمصار .

(قول إمام أهل الحديث على بن المدينى) شيخ البخارى بل شيخ الإسلام رحمه الله ، قال البخارى على بن المدينى سيد المسلمين قيل له ما قول الجماعه فى الاعتقاد ، قال يثبتون الكلام والرؤية ويقولون إن الله تعالى على العرش استوى فقيل له ما تقول فى قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[٣٨٨] فقال اقرءوا أول الآية ، يعنى بالعلم : لأن أول الآية ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات** ﴾[٣٨٩] قال البخارى فى كتاب خلق الأفعال . وقال ابن المدينى : القرآن كلام الله غير مخلوق من قال إنه مخلوق فهو كافر لا يُصلى خلفه ، قال البخارى ما استصغرت نفسى بين يدى أحد إلا بين يدى على بن المدينى .

وقال الحسن بن محمد بن الحارث سمعت على بن المدينى يقول : أهل الجماعة يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله فوق السموات على العرش استوى ، وسئل عن قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ الآية ، فقال اقرأ ما قبله ، يعنى علم الله تعالى[٣٩٠] .

(قول سنيد بن داود) شيخ البخارى رحمهما الله تعالى ، قال أبو حاتم الرازى حدثنا أبو عمران موسى الطرطوسى قال : قلت لسنيد بن داود هو على عرشه بائن من خلقه قال نعم ، ألم تسمع قوله تعالى ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾[٣٩١] .

(قول إمام أهل الإسلام محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله تعالى) .

قال فى كتاب التوحيد من صحيحه (باب قول الله عز وجل وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) قال أبو العالية : استوى إلى السماء ارتفع « فسواهن » خلقهن ، وقال مجاهد

---

(٣٨٧) ذكره الألبانى فى « مختصر العلو » للذهبى / ٢٠٧ .

(٣٨٨) المجادلة / ٧ .

(٣٨٩) المجادلة / ٧ .

(٣٩٠) قال الألبانى فى « مختصر العلو / ١٨٩ » ابن الحارث ونافع لم أعرفهما .

(٣٩١) الزمر / ٥ .

« استوى » علا على العرش[٣٩٢] ، ثم ساق البخارى حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها كانت تفتخر على نساء رسول الله ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات[٣٩٣] ، وذكر تراجم أبواب هذه الكتاب الذى ترجمه كتاب التوحيد والرد على الجهمية رداً على أقوال الجهمية التى خالفوا بها الأمة ، فمن تراجم أبواب هذا الكتاب « باب قول الله تعالى : **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** » ومن أبوابه أيضاً « باب قول الله عز وجل **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » وذكر أحاديث ثم قال « باب قوله تعالى : **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إن الله عنده علم الساعة ، أنزله بعلمه ، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** » .

ثم ساق أحاديث مستدلاً بها على إثبات صفة العلم ثم قال « باب قول الله عز وجل : **السلام المؤمن** » ثم ساق حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن الله تعالى هو السلام[٣٩٤] ، ثم ساق حديث أبى هريرة رضى الله عنه يقول الله أنا الملك[٣٩٥] ثم قال « باب قول الله : « **وهو العزيز الحكيم ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، ولله العزة ولرسوله** » وذكر أحاديث فى ذلك ثم قال « باب قول الله **وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق** » .

ثم ذكر حديث ابن عباس رضى الله عنهما اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض إلى آخره[٣٩٦] ، ثم قال « باب قول الله تعالى : **وكان الله سميعاً بصيراً** » ثم ساق أحاديث منها حديث أبى موسى رضى الله عنه أن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته[٣٩٧] ، ثم قال « باب قول تعالى : **قل هو القادر** » .

ثم ساق أحاديث فى إثبات القدرة ثم قال « باب مقلب القلوب » وقول الله عز وجل **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** وقول النبى ﷺ فى حلفه « لا ومقلب القلوب »[٣٩٨] ثم قال

---

(٣٩٢) فتح البارى لابن حجر (١٣ / ١١٠ / ريان) .

(٣٩٣) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٢٠ / فتح) من حديث أنس .

(٣٩٤) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٣٨١ / فتح) من حديث ابن مسعود .

(٣٩٥) الحديث فى باب قول الله تعالى ﴿ ملك الناس ﴾ (١٣ / ح ٧٣٨٢ / فتح) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض » ...

(٣٩٦) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٣٨٥ / فتح) من حديث ابن عباس .

(٣٩٧) أخرجه البخارى فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٣٨٦ / فتح) من حديث أبى موسى وليس فيه (أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) كما ذكر المؤلف ولعله سهو منه . وهذه اللفظة فى صحيح مسلم من حديث أبى موسى أيضاً كتاب « الذكر » باب « استحباب خفض الصوت بالذكر » (٤ / ٤٦ / ص ٢٠٧٧) .

(٣٩٨) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٣٩١ / فتح) من حديث ابن مسعود .

« باب إن لله مائة اسم إلا واحداً » ثم قال « باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ومقصود بذلك أنها غير مخلوقة فإنه لا يستعاذ بمخلوق ولا يسأل به ، ثم قال « باب ما يذكر فى الذات والنعوت وأسامى الله تعالى » ثم قال « باب قول الله عز وجل : ﴿ **ويحذركم الله نفسه** » .

وقد ساق أحاديث ثم قال « باب قول الله عز وجل : ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ ثم ذكر حديث جابر رضى الله عنه أعوذ بوجهك »[٣٩٩] ثم قال « باب قول الله عز وجل ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾ وقوله ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ » ثم ذكر حديث الدجال إن ربكم ليس بأعور[٤٠٠] . ثم قال « باب قول الله عز وجل : ﴿ **هو الله الخالق البارىء المصور** ﴾ » ثم قال « باب قول الله : ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾ » .

ثم ذكر أحاديث فى إثبات اليدين ، ثم قال « باب قول النبى ﷺ لا شخص أغير من الله » ثم قال « باب قول الله تعالى : ﴿**قل أى شىء أكبر شهادة قل الله**﴾ فسمى الله نفسه شيئاً ثم قال « باب قول الله تعالى :﴿**وكان عرشه على الماء** ﴾ ثم ذكر بعض أحاديث الفوقية ، ثم قررها بترجمة أخرى فقال « باب قول الله تعالى :﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾وقوله تعالى : ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾

ثم ساق فى ذلك أحاديث فى إثبات صفة الفوقية ، ثم قال « باب قوله تعالى :﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ ثم ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية فى الآخرة ، ثم قال « باب ما جاء فى قوله ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ثم ذكر أحاديث فى إثبات صفة الرحمة ، ثم قال « باب قول الله تعالى :﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**﴾.

ثم ساق فى هذا الباب حديث الحبر الذى فيه إن الله يمسك السموات على أصبع . الحديث[٤٠١] ، ثم قال « باب ما جاء فى تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب عز وجل وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو هو الخالق المكون ، غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون ، وهذه الترجمة من

---

(٣٩٩) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٠٦ / فتح) من حديث جابر قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ قال النبى ﷺ : « أعوذ بوجهك » ، فقال ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ فقال النبى ﷺ : « أعوذ بوجهك » ، قال : ﴿ أو يلبسكم شيعاً ﴾ فقال النبى ﷺ : « هذا أيسر » .

(٤٠٠) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٠٨ / فتح) من حديث أنس .

(٤٠١) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٥١ / فتح) من حديث عبد الله بن مسعود .

أدل شيء على دقة علمه ورسوخه فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته .

وهذه الترجمة فصل فى مسأله الفعل والمفعول ، وقيام أفعال الرب عز وجل به وأنها غير مخلوقة ، وأن المخلوق هو المنفصل عنه الكائن بفعله وأمره وتكوينه ففصل النزاع بهذه الترجمة أحسن فصل وأبينه وأوضحه ، إذ فرق بين الفعل والمفعول ، وما يقوم بالرب سبحانه ومالا يقوم به ، وبين أن أفعاله تعالى كصفاته داخلة فى مسمى اسمه ليست منفصلة خارجة مكونة بل بها يقع التكوين ، فجزاه الله سبحانه عن الإسلام والسنة ، بل جزاهما عنه أفضل الجزاء ، وهذا الذى ذكره فى هذه الترجمة هو قول أهل السنة ، وهو المأثور عن سلف الأمة ، وصرح به فى كتاب « خلق أفعال العباد » وجعله قول العلماء مطلقاً ، ولم يذكر فيه نزاعاً إلا عن الجهمية ، وذكره البغوى إجماعاً من أهل السنة .

وصرح البخارى فى هذه الترجمة بأن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وأن أفعاله وصفاته غير مخلوقه ، ثم قال « باب قول الله عز وجل :﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾ ثم ساق أحاديث فى القدر وإثباته ، ثم قال « باب قول الله تعالى : ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ » .

ثم ساق أحاديث فى إثبات تكلم الرب جل جلاله ثم قال « باب قول الله عز وجل :﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً**﴾وقوله تعالى :﴿**ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلامٍوالبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾ ، وقوله تعالى : ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ .

ومقصوده إثبات صفة الكلام والفرق وبينها وبين صفة الخلق ، ثم قال « باب فى المشيئة والإرادة » ثم ساق آيات وأحاديث فى ذلك ثم قال « باب قوله تعالى :﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم**﴾ قال البخارى رحمه الله ولم يقولوا ماذا خلق ربكم[٤٠٢] ، ثم ذكر حديث أبى سعيد رضى الله عنه فينادى بصوت[٤٠٣] ، وحديث عبد الله بن أنيس وعلقه فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان[٤٠٤] ، ومقصوده أن هذا النداء يستحيل أن يكون مخلوقاً ، فإن

---

(٤٠٢) ذكره فى « التوحيد » (١٣ / ٤٦١ / فتح) من كلام البخارى نفسه .

(٤٠٣) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٨٣ / فتح) .

(٤٠٤) أخرجه البخارى تعليقاً فى « التوحيد » (١٣ / ٤٦١ / فتح) طـ / ريان .

المخلوق لا يقول أنا الملك أنا الديان فالمنادى بذلك هو الله عز وجل القائل أنا الملك أنا الديان ، ثم قال « باب كلام الرب تعالى مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام ونداء الله تعالى الملائكة » ، ثم ذكر حديث إذا أحب الله عبداً نادى جبرائيل[٤٠٥] ، ثم قال « باب قوله عز وجل : ﴿**أنزله بعلمه والملائكة يشهدون**﴾ ثم ساق أحاديث فى نزول القرآن من السماء مما يدل على أصلين فوقية الرب تعالى وتكلمه بالقرآن ، ثم قال « باب قول الله عز وجل : ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ ثم ذكر أحاديث فى تكلم الرب تعالى ثم قال « باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم » ثم ساق حديث الشفاعه[٤٠٦] ،وحديث ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وحديث يدنو المؤمن من ربه[٤٠٧] ، ثم قال « باب قوله تعالى :﴿**وكلم الله موسى تكليماً**﴾ ثم ذكر أحاديث فى تكليم الله لموسى ، ثم قال « باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة » ، ثم ذكر حديثين فى ذلك ، ثم قال « باب قول الله عز وجل :﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ وذكر آيات فى ذلك وذكر حديث ابن مسعود فى ذلك أى الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك[٤٠٨] ، وعرضه بهذا التبويب الرد على القدرية والجبرية فأضاف الجعل إليهم فهو كسبهم وفعلهم ، ولهذا قال فى هذا الباب نفسه : « وما ذكر فى خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله ﴿ **وخلق كل شيء فقدره تقديراً** ﴾ » فأثبت خلق أفعال العباد وأنها أفعالهم وأكسابهم فتضمنت ترجمته مخالفته للقدرية والجبرية ، ثم قال « باب قول الله عز وجل : ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا وجوهكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعلمون**﴾ وقصد بهذا أن يبين أن الصوت والحركة التى يؤدى بها الكلام كسب العبد وفعله وعمله ؛ ثم ذكر أبواباً فى إثبات خلق أفعال العباد ، ثم ختم الكتاب بإثبات الميزان[٤٠٩] .

(قول مسلم بن الحجاج) يعرف قوله فى السنة من سياق الأحاديث التى ذكرها ولم يتأولها ، ولم يذكر لها تراجم كما فعل البخارى ولكن سردها بلا أبواب ، ولكن تعرف التراجم من ذكره للشيء مع نظيره فذكر فى كتاب الإيمان كثيراً من أحاديث الصفات كحديث الإتيان يوم القيامة وما فيه من التجلى ، وكلام الرب لعباده ورؤيتهم إياه ، وذكر حديث الجارية

---

(٤٠٥) أخرجه البخارى فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٤٨٥ / فتح) من حديث أبى هريرة .

(٤٠٦) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٥١٠ / فتح) من حديث أنس .

(٤٠٧) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٥١٢ / فتح) من حديث عدى بن حاتم .

(٤٠٨) أخرجه فى « التوحيد » (١٣ / ح ٧٥٢٠ / فتح) من حديث ابن مسعود .

(٤٠٩) المقصود به باب قول الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ فى « التوحيد » (١٣ / ٥٤٧ / فتح) .

وأحاديث النزول ، وذكر حديث إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع ، وحديث يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده ، وأحاديث الرؤية ، وحديث حتى وضع الجبار فيها قدمه وحديث المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وحديث ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء ، وغيرهما من أحاديث الصفات محتجاً بها وغير مؤول لها ، ولو لم يكن معتقداً لمضمونها لفعل بها ما فعل المتأولون حين ذكرها .

(قول حماد بن هناد البوشنجى) الحافظ أحد أئمة الحديث فى وقته ، ذكر شيخ الإسلام الأنصارى فقال : قرأت على أحمد بن محمد بن منصور أخبركم جدكم منصور بن الحسين حدثنى أحمد بن الأشرف قال حدثنا حماد بن هناد البوشنجى قال : هذا ما رأيناه عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وطرق الفقهاء ، وصفة السنة وأهلها إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان ، فقال نعم .

(قول أبى عيسى الترمذى) رحمه الله تعالى قال فى جامعه لما ذكر حديث أبى هريرة « لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله »[٤١٠] قال معناه لهبط على علم الله ، قال وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه ، وقال فى حديث أبى هريرة إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه[٤١١] .

قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ، قالوا : قد ثبتت الروايات فى هذا ونؤمن به ولا نتوهم ولا نقول كيف ، هكذا روى عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا فى هذه الأحاديث أمِرُّوها بلا كيف ، قال وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات ، وقالوا هذا تشبيه ، وقد ذكر الله تعالى فى غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر . فأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم ، وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وإنما معنى اليد ههنا القوة فقال إسحاق بن راهوية : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيدى أو مثل يدى أو سمع كسمعى فهذا تشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله يد وسمع وبصر فلا يقول كيف ولا

---

(٤١٠) أخرجه الترمذى فى « التفسير » (٥ / ح ٣٢٩٨) من حديث أبى هريرة . وقال : غريب وذكره الهيثمى فى « المجمع » وقال : رواه أحمد وفيه : الحكم بن عبد الملك وهو متروك . وقال الألبانى فى « ضعيف الجامع » رقم (٦١٠٧) : ضعيف .

ثم قال : ولم يذكر الزيادة (والذى نفس محمد بيده ... الحديث) والجامع حذفها . قال الألبانى لنكارتها .

(٤١١) أخرجه الترمذى فى « الزكاة » (٣ / ح ٦٦٢) من حديث أبى هريرة وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها عنده قال الله تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[٤١٢] هذا كله كلامه ، وقد ذكره عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى فى كتابه الفاروق بإسناده وكذلك من تأمل تبويب ابن ماجه فى السنة والرد على الجهمية فى أول كتابه ، وتبويب أبى داود فيما ذكر فى الجهمية والقدرية ، وسائر أئمة أهل الحديث علم مضمون قولهم، وأنهم كلهم على طريقة واحدة وقول واحد، ولكن بعضهم بوب وترجم ولم يزد على الحديث غير التراجم والأبواب ، وبعضهم زاد التقرير وإبطال قول المخالف وبعضهم سرد الأحاديث ولم يترجم لها ، وليس فيهم من أبطل حقائقها وحرفها عن مواضعها ، وسمى تحريفها تأويلاً كما فعلته الجهمية ، بل الذى بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين الكفر وعسكر الإسلام ، وابن ماجه قال فى أول سننه : باب ما أنكرت الجهمية ، ثم روى أحاديث الرؤية وحديث أين كان ربنا ، وحديث جابر بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فوقهم فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرق عليهم من فوقهم ، وحديث الأوعال الذى فيه والعرش فوق ذلك والله فوق العرش ، وحديث إن الله ليضحك إلى ثلاثة وغيرها من الأحاديث .

(قول الحافظ أبى بكر الأجرى إمام عصره فى الحديث والفقه) قال فى كتابه الشريف (باب التحذير من مذهب الحلولية) الذى يذهب إليه أهل العلم : إن الله على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، قد أحاط بجميع ما خلق فى السموات العلا وبجميع ما خلق فى سبع أرضين ، ترفع إليه أعمال العباد ، فإن قال قائل فما معنى قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[٤١٣] قيل له علمه معهم ، والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم ، كذا فسره أهل العلم ، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم ، وهو على عرشه ، هذا قول المسلمين .

(قول الحافظ أبى الشيخ عبيد الله بن محمد بن حيان الأصبهانى) قال فى كتاب العظمة ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظمة خلقها وعلو الرب جل جلاله فوق عرشه ، ثم ساق كثيراً من أحاديث هذا الباب بإسناده .

(قول الحافظ زكريا بن يحيى الساجى إمام أهل البصرة) قال أبو عبد الله بن بطة حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى الساجى قال قال أبى : القول فى السنة التى رأيت عليها

---

(٤١٢) الشورى / ١١ .

(٤١٣) المجادلة / ٧ .

أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، ثم ذكر بقية الاعتقاد ، ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء وقال أخذ عن الربيع والمزنى ، وله كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث ، وهو شيخ أبى الحسن الأشعرى فى الفقه والحديث ، وذكر ما حكاه أبو نصر السجزى عن أهل الحديث قال : وأئمتنا كالثورى ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان .

(قول الإمام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى) إمام أهل الحديث والفقه والتصوف فى وقته ، قال فى رسالته المشهورة فى السنة : وإن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ثم ساق بإسناده عن ابن المبارك أنه قال : نعرف ربنا تبارك وتعالى بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ولا نقول كما قالت الجهمية أنه ههنا فى الأرض ثم قال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ عن محمد بن صالح عن ابن خزيمة قال من لم يقر بأن الله على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقى على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته ، وكان ماله فيئا ولا يرثه أحد من المسلمين ، إذ المسلم لا يرث الكافر ، ولا الكافر يرث المسلم ،

(قول أبى جعفر الطحاوى إمام الحنفية) فى وقته فى الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف ، قال فى العقيدة التى له وهى معروفة عند الحنفية ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد بن الحسن نقول فى توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ولا شىء مثله ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً .ونزل على نبيه وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً . وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر . والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، وكل ما فى ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال . ومعناه كما أراد لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام ما حظر عنه عليه . ولا يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصحيح الإيمان ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه ، إلى أن قال : والعرش والكرسى حق كما بيّن فى كتابه ؛ وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شىء . وفوق كل شىء وذكر سائر الاعتقاد(٤١٤) .

---

(٤١٤) وهى المسماه (بشرح العقيدة الطحاوية) وقد حققت أكثر من مرة لبعض المحققين وعلى رأسهم الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله تعالى) والشيخ المحدث الألبانى (حفظه الله) .

(قول أئمة التفسير) وهذا باب لا يمكن استيعابه لكثرة ما يوجد من كلام أهل السنة فى التفسير. وهو بحر لا ساحل له، وإنما نذكر طرفاً منه يسيراً يكون منبهاً على ما وراءه، فمن أراد الوقوف عليه فهذه تفاسير السلف وأهل السنة موجودة. فمن طلبها وجدها.

(قول إمامهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) ذكر البيهقى عنه فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤١٥] قال استقر. وقد تقدم قوله فى تفسير قوله تعالى عن إبليس ﴿ **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** ﴾[٤١٦] قال لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم. وتقدم حكاية قوله إن الله كان على عرشه وكتب ما هو كائن وإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه. رواه سفيان الثورى عن أبى هشام عن مجاهد عنه، وذكر البخارى عنه فى صحيحه أن سائلاً سأله فقال: إنى أجد أشياء تختلف علّى أسمع الله يقول ﴿ **أم السماء بناها** ﴾[٤١٧] إلى قوله ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾[٤١٨] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال فى آية أخرى ﴿ **قل إنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين** ﴾[٤١٩] إلى أن قال ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾[٤٢٠] فذكر هنا خلق الأرض قبل السماء. فقال ابن عباس: أما قوله ﴿ **أم السماء بناها** ﴾ فإنه خلق الأرض قبل السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم نزل إلى الأرض فدحاها، وهذه الزيادة وهى قوله «ثم نزل إلى الأرض» ليست عند البخارى وهى صحيحة.

قال محمد بن عثمان فى رسالته فى العلو عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قالت امرأة العزيز ليوسف: إنى كثيرة الدر والياقوت فأعطيك ذلك حتى تنفق فى مرضاة سيدك الذى فى السماء.

وعن ذكوان حاجب عائشة أن ابن عباس دخل على عائشة وهى تموت فقال لها: كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه ولم يكن رسول يحب إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع

---

(٤١٥) طه / ٥.
(٤١٦) الأعراف / ١٧.
(٤١٧) النازعات / ٢٧.
(٤١٨) النازعات / ٣٠.
(٤١٩) فصلت / ٩.
(٤٢٠) البقرة / ٢٩.

سموات ، جاء بها جبرائيل ، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا وهى تتلى فيه آناء الليل وآناء النهار[٤٢١] ، وأصل القصة فى صحيح البخارى .

وقال ابن جرير فى تفسيره : حدثنى محمد بن سعد حدثنى عمى حدثنى أبى عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **تكاد السموات يتفطرن من فوقهن** ﴾[٤٢٢] قال يعنى من ثقل الرحمن وعظمته جل جلاله[٤٢٣] . وهذا تفسير تلقاه عن ابن عباس الضحاك والسدى وقتادة ، فقال سعيد عن قتادة : يتفطرن من فوقهن . قال من عظمة الله وجلاله . وقال السدى تشقق بالله . وذكر شيخ الإسلام عن رواية الضحاك بن مزاحم عنه قال : إن الله خلق العرش أول ما خلق فاستوى عليه .

قلت : وهذا تفسير الضحاك ، وفى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال قعد .

(قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه) روى أبو الشيخ فى كتابه العظمة عن ابن مسعود قال ، قال رجل يا رسول الله : ما الحاقة ؟ قال يوم ينزل الرب تبارك وتعالى على عرشه .

وقال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد . قال ابن مسعود فى قوله تعالى ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ قال العرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه[٤٢٤] . وقال ابن مسعود : من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله الله والله أكبر تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجىء بهن وجه الرحمن . أخرجه العسال فى كتاب المعرفة بإسناد كلهم ثقات .

---

(٤٢١) قال الألبانى : سنده صحيح على شرط مسلم .

(٤٢٢) مريم / ٩٠ .

(٤٢٣) (قلت) لم أجد هذا السند ولا قول ابن عباس فى تفسير ابن جرير تحت هذه الآية ولا أعلم من أين أتى بها المؤلف ولعلها فى طبعة أخرى .

أما الذى وجدته فى تفسير الآية عند ابن جرير الطبرى (١٦ / ٩٨) قال : حدثنى على قال ثنا عبد الله . قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعو للرحمن ولداً ﴾ قال : إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكا لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين . ١٠هـ .

(٤٢٤) أخرجه البخارى فى « خلق أفعال العباد » (ص ٢٧) من حديث ابن مسعود فى تفسير آيه (الأعراف / ٥٤) والدارمى فى « الرد على الجهمية / ٨١ » والبيهقى فى « الأسماء والصفات / ٤٠١ » وابن خزيمة فى « التوحيد / ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٣٧٦ » .

وقال الدارمى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهرى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه وأن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالأمس أول النهار فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع فيها على ما يكره فيغضبه ذلك ، فأول من يعلم بغضبه الذين يحملون العرش يجدونه يثقل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ، وهو فى معجم الطبرانى أطول من هذا[٤٢٥] .

وصح عن السدى عن مرة عن ابن مسعود . وعن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فى قوله ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ ولا يناقض أن الله عز وجل كان على عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء ، لحديث وفيه : فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش .

ولا يناقض هذا حديث « أول ما خلق الله القلم »[٤٢٦] لوجهين : أحدهما أن الأولية راجعة إلى كتابته لا إلى خلقه فإن الحديث أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ؛ قال ما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . والثانى أن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش ، فإن العرش مخلوق قبله فى أصح قولى السلف . حكاهما الحافظ عبد القادر الرهاوى .

ويدل على سبق خلق العرش قوله فى الحديث الثابت « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء »[٤٢٧] وقد أخبر أنه حين خلق القلم قدر به المقادير كما فى اللفظ الآخر « قال اكتب ، قال ما أكتب ؟ قال اكتب القدر » فهذا هو التقدير الموقت قبل خلق العالم بخمسين ألف سنة ، فثبت أن العرش سابق على القلم والعرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، فأقوال الصحابة لا تناقض ما أخبر به الرسول ﷺ .

---

(٤٢٥) ذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١ / ٨٥) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه أبو عبد السلام قال أبو حاتم : مجهول ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره ..

(٤٢٦) أخرجه الترمذى (٤ / ح ٢١٥٥) وقال : حديث غريب من هذا الوجه من حديث عبادة وأبو داود (٤ / ٤٧٠٠) ، وأحمد فى « مسنده » (٥ / ٣١٧) وقال الألبانى فى « صحيح الجامع » برقم (٢٠١٧) : صحيح ..

(٤٢٧) أخرجه مسلم فى « القدر » (٤ / ١٦ / ح ٢٦٥٣ / ص ٢٠٤٤) والترمذى « القدر » فى « ٤ / ح ٢١٥٦) وأحمد فى « مسنده » (٢ / ١٦٩) والحاكم فى « المستدرك » (١ / ٥) وابن حبان فى « صحيحه » (٨ / ح ٦١٠٥ / إحسان) من حديث ابن عمرو .

وروى أبو القاسم اللالكائى بإسناد صحيح عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن العبد ليهم بالتجارة والإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة : اصرفوا عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار . وقد سبق نحوه عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً[٤٢٨] . وذكر سنيد بن داود بإسناد صحيح عنه أنه قال : بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء ، والله تعالى على العرش ويعلم أعمالكم .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سحاق عن أبى عبيدة قال ، قال : عبد الله ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء[٤٢٩] وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى عن ابن مسعود قال : إن الله ملأ العرش حتى أن للعرش أطيطا كأطيط الرحل . رواه حرب عن إسحاق عن آدم بن أبى إياس عن حماد .

(قول مجاهد وأبى العالية) روى البيهقى من طريق شبل عن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عز وجل ﴿ **وقربناه نجيا** ﴾ قال بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، فما زال يقرب موسى حتى صار بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال : رب أرنى أنظر إليك[٤٣٠] . وقال البخارى فى صحيحة : قال أبو العالية : استوى إلى السماء ارتفع . وقال مجاهد استوى علا على العرش . وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾[٤٣١] قال هم فى هذه الأمة يتراكبون كما تتراكب الحمر

---

(٤٢٨) قال الألبانى فى « مختصر العلو / ١٠٤ » سنده ضعيف .

(٤٢٩) أخرجه الطبرانى فى « المعجم الصغير » (١ / ١٠١) وذكره الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٨ / ١٨٧) وقال : رواه أبى يعلى والطبرانى فى الثلاثة ورجاله رجال الصحيح .

(٤٣٠) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (٤٠٢) وأبو الشيخ فى « العظمة » (ق ٤٩ / ٢ ، ٥٥ / ١) وإسناده صحيح وذكره الألبانى فى « مختصر العلو » / ١٣٢ .

وقال : وأعله الكوثرى الجهمى فى تعليقه على الأسماء والصفات بالغمز من روح بن عبادة وهو ثقة يحتج به فى « الصحيحين » وشبل بن عباد وهو ثقة من رجال البخارى ، وهو حين غمز فيه لم يزد على قوله : « قدرى » : فهل هذا جرح ؟ .

(قلت) نظرت فى كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقى فوجدت الكوثرى هذا معلقاً على الكتاب وكثيراً ما يسمى السلف فى الهامش بالحشوية والمجسمة ، وحسبنا الله من هذا الجهمى ومعتقده .

وأما بالنسبة (لروح بن عبادة) قال الحافظ فى « التقريب » : ثقة فاضل له تصانيف وبالنسبة (لشبل بن عباد) قال الحافظ : ثقة ، رمى بالقدر ، من رجال البخارى .

(٤٣١) مريم / ٥٩ .

والأنعام فى الطرق ولا يستحيون الناس فى الأرض ولا يخافون الله فى السماء ، رواه ابن الهيثم ابن خلف الدورى فى كتاب تحريم اللواط .

(قول قتادة) قد تقدم ما رواه عثمان الدارمى عنه فى كتاب النقض قال : قالت بنو إسرائيل : يا رب أنت فى السماء ونحن فى الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عليكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم . وفى تفسير ابن أبى حاتم عن قتادة قال : ثم استوى على العرش فى يوم الجمعة .

(قول عكرمة) صح عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : بينما رجل فى الجنة فقال فى نفسه : لو أن الله يأذن لى لزرعت ، فلا يعلم إلا الملائكة على أبوابه فيقولون : سلام عليك يقول لك ربك تمنيت شيئاً فقد علمته ، وقد بعث معنا البذر فيقول ابذر فيخرج أمثال الجبال ، فيقول له الرب من فوق عرشه « كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع » وله شاهد مرفوع فى صحيح البخارى .

(قول سعيد بن جبير) روى عنه من طرق قال : قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل ، فقال الملك ليرسلن الله علينا من السماء أو لنؤذينه ، فقال جلساؤه فكيف تقدر وهو فى السماء ؟ فقال أقتل أولياءه ، فأرسل الله عليهم السماء .

(قول محمد بن كعب القرظى) قال عثمان بن سعيد الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى حرملة بن عمران عن سليمان بن حميل قال ، سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عمر ابن عبد العزيز قال « إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل الله فى ظلل من الغمام والملائكة فسلم على أهل الجنة فى أول درجة فيردون عليه السلام » قال القرظى فهذا فى القرآن ﴿ **سلام قولاً من رب رحيم** ﴾ فيقول سلونى يفعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى على عرشه ، ثم يأتيهم التحف من الله تحمله الملائكة إليهم[٤٣٢] .

(قول الضحاك) قد تقدم عنه فى قوله تعالى ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ قال هو على عرشه وعلمه معهم . ذكره ابن بطة وابن عبد البر والعسال فى كتاب المعرفة ولفظه قال هو فوق عرشه وعلمه معهم أينما كانوا . ورواه أحمد عن نوح بن ميمون عن بكر بن معروف عن مقاتل عنه ، ولفظه هو على العرش وعلمهم معهم . ونقل ابن عبد البر إجماع الصحابة والتابعين على ذلك .

---

(٤٣٢) ذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٣ / ٥٧٦) تحت الآية رقم ٥٨ / يس وقال : هذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم .

(قول الحسن البصرى) ذكر الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسى فى كتابه (إثبات صفة العلو) عنه بإسناد صحيح قال « سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا والحيتان ، فجعل يسبح ، وكان يقول فى دعائه « يا سيدى فى السماء مسكنك وفى الأرض قدرتك وعجائبك ، إلهى فى الظلمات الثلاث حبستنى » فلما كان تمام الأربعين وأصابه الغم فنادى فى الظلمات ﴿ **أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾[٤٣٣] .

وقال الحسن البصرى : ليس شىء عند ربك أقرب إليه من إسرافيل وذكر ابن منده أخبرنا أحمد بن محمد الوراق حدثنا إسماعيل بن أبى كثير حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا هشام عن الحسن قال ، قال الله عز وجل لما خلقت خلقى واستويت على عرشى كتبت أن رحمتى سبقت غضبى ، ولولا ذلك لهلكوا .

(قول مسروق) صح عنه أنه كان إذا حدث عن عائشة قال حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات[٤٣٤] .

(قول مقاتل) قد تقدم قوله فى تفسير قوله تعالى ﴿ **وهو معكم** ﴾ قال هو على العرش وهو معهم بعلمه . ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره .

(قول عبيد بن عمير) ذكر عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة من رواية حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال : ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى السماء فيقول : من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل[٤٣٥] .

(قول كعب الأحبار) روى أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب العظمة عنه بإسناد صحيح أنه أتاه رجل فقال : يا أبا إسحاق حدثنى عن الجبار جل جلاله . فأعظم القوم ذلك ؛ فقال كعب : دعوا الرجل فإنه إن كان جاهلاً تعلم ، وإن كان عالماً إزداد علماً ، ثم قال كعب أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل ما بين كل سمائين كما بين سماء الدنيا والأرض وجعل كثفها مثل ذلك . ثم رفع العرش فاستوى عليه فما من سماء من السموات إلا لها أطيط كأطيط الرحل فى أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن . وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب عن كعب قال ؛ قال الله فى التوراة أنا الله فوق عبادى وعرشى فوق جميع خلقى . وأنا

---

(٤٣٣) الأنبياء / ٨٧ .

(٤٣٤) قال الذهبى فى « العلو » : صحيح .

(٤٣٥) ذكره الذهبى فى« العلو » / مختصر / ١٢٩ وقال : أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب « الرد على الجهمية » تصنيفه .

على عرشى أدبر أمور عبادى ، ولا يخفى على شىء فى السماء ولا فى الأرض رواه أبو الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح عنه(٤٣٦) .

(قول بشر بن عمر شيخ إسحاق) عن جماعة ممن لقيهم من المفسرين ، قال إسحاق بن راهويه أخبرنا بشر بن عمر قال : سمعت غير واحد من المفسرين يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ارتفع .

(قول نوف البكالى) روى عنه عبد الله بن عمرو أنه قال : ذكر لنا أن الله قال للملائكة ادعوا إلىّ عبادى ، فقالوا يا رب فكيف والسموات السبع دونهم والعرش فوق ذلك ؟ قال إنهم إذا قالوا لا إله إلا الله فقد استجابوا رواه الدارمى عنه .

(قول ابن رافع) قال أبو الشيخ فى كتاب العظمة : حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أبو حاتم حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى عيسى أن ملكاً لما استوى الرب على عرشه سجد فلم يرفع رأسه ولا يرفعه حتى تقوم الساعة فتقول الملائكة سبحانك لم نعبدك حق عبادتك ، وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات ، ورواه أبو أحمد العسال فى كتاب المعرفة ، وأبو عيسى هو يحيى بن رافع من قدماء التابعين ذكرناه هنا وإن لم يكن مشهوراً بالتفسير .

(قول عباس القمى) وإن لم يكن من المشهورين بالتفسير ، روى ابن أبى شيبة فى كتاب العرش بإسناد صحيح عنه قال ، بلغنى أن داود كان يقول فى دعائه « اللهم أنت ربى تعاليت فوق عرشك وجعلت خشيتك على من فى السموات والأرض .

(قول محمد بن إسحاق الإمام فى الحديث والتفسير والمغازى) قال بعث الله ملكاً من الملائكة إلى بختنصر قال هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض ؟ قال لا قال بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة وغلظها مثل ذلك ، وذكر الحديث إلى أن ذكر حملة العرش قال وفوقهم العرش عليه ملك الملوك تبارك وتعالى ، أى عدو الله فأنت تطلع إلى ذلك ، ثم بعث الله عليه البعوضة فقتلته . رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة بإسناد جيد إلى ابن إسحاق .

(قول الإمام محمد بن جرير الطبرى) قد تقدم من قوله ما فيه كفاية ، وقد قال فى تفسيره فى قوله عز وجل ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن** ﴾ أى علا وارتفع(٤٣٧) .

---

(٤٣٦) قال الألبانى فى « مختصر العلو / ١٢٨ / : « صحيح » .

(٤٣٧) ذكره ابن جرير الطبرى فى « تفسيره » (١ / ١٥٠) وهو من قول الربيع بن أنس . وذكره الذهبى فى « العلو / مختصر / ٢٢٣ » ، وقال شيخنا الألبانى : رواه اللالكائى فى شرح أصول السنة ١ / ٤٩ / ١ . « وسنده صحيح »

(قول الحسين بن مسعود البغوى) محيي السنة الذى اجتمعت الأمة على تلقى تفسيره بالقبول وقراءته على رءوس الأشهاد من غير نكير ، قد أسلفنا قوله عند ذكر أصحاب الشافعى وإنكاره على من يقول ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ بمعنى استولى وأن هذا مذهب الجهمية والمعتزلة .

قول أبى عبد الله القرطبى المالكى صاحب التفسير المشهور

قال فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام وذكر قول المتكلمين الذين يقولون إذا وجب تنزيه البارى عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لما يلزم عن الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغيير والحدوث . قال هذا قول المتكلمين ، ثم قال وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والعامة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت به رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ؛ فإنه لا تُعلم حقيقته ، كما قال مالك الاستواء معلوم « يعنى فى اللغة » والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة . هذا لفظه فى تفسيره وهو من فقهاء المالكية ومن علمائهم .

أقوال أئمة اللغة العربية الذين يحتج بقولهم فيها

(ذكر قول أبى عبيدة معمر بن المثنى) ، ذكر البغوى عنه فى معالم التنزيل فى قوله تعالى ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ قال أبو عبيدة صعد وحكاه عنه ابن جرير عند قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن** ﴾ .

(قول يحيى بن زياد الفراء) إمام أهل الكوفة ، قال فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ أى صعد ، قاله ابن عباس ، قال فهو كقول الرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وكان قائماً فاستوى قاعداً . ذكر البيهقى عنه فى الأسماء والصفات قلت مراد الفراء اعتدال القائم والقاعد فى صعوده على الأرض[٤٣٨] .

(قول أبى العباس ثعلب) روى الدارقطنى عن إسحاق الكلابى قال سمعت أبا العباس ثعلباً يقول : استوى على العرش علا ،واستوى الوجه اتصل ، واستوى القمر امتلأ ، واستوى زيد وعمرو تشابها ، واستوى إلى السماء أقبل[٤٣٩] ، هذا الذى نعرف من كلام العرب .

---

(٤٣٨) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » / ص ١٦٧ » وقال الألبانى : إسناده إلى الفراء لا بأس به .

(٤٣٨) ذكره الذهبى فى « العلو / مختصر » (٢٣٠) . ورواه ابن منظور فى « لسان العرب » (١٤ / ٤١٤) .

(قول أبي عبدالله محمد بن الأعرابي) قال ابن عرفة في كتاب « الرد على الجهمية » حدثنا داود بن على قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : ما معنى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال هو على عرشه كما أخبر ، فقال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى ، فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء ويكون له مصادقاً إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة :

إلاَّ لِمِثْلِـــكَ أو من أنت ســـابقـــة سَبْـقَ الجـوادِ إذا اسْتَـولى على الأمَـدِ(٤٤٠)

قال محمد بن النضر : سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول : أراني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ استوى بمعنى استولى فقلت له والله ما يكون هذا ولا وجدته .

(قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه) ذكر أبو عمر بن عبد البر عنه في التمهيد قال الخليل بن أحمد استوى إلى السماء ارتفع إلى السماء(٤٤١) .

(قول إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطوية(*) له كتاب في الرد على الجهمية أنكر فيه أن يكون استوى بمعنى استولى . وحكى فيه عن ابن الأعرابي ما قدمنا حكايته عنه ثم قال : وسمعت داود بن على يقول . كان المريسي يقول : سبحان ربي الأسفل . وهذا جهل من قائله ورد لنص الكتاب إذ يقول الله ﴿ **أءمنتم من في السماء** ﴾ ورحمه الله لقد لين القول في المريسي صاحب هذا التسبيح ، ولقد كان جديراً بما هو أليق به من الجهم .

(قول الأخفش) قال الأزهري في كتاب التهذيب له في قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال الأخفش استوى أي علا ، يقال استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته .

أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم

(قول ثابت البناني شيخ الزهاد) قال محمد بن عثمان في رسالته : صح عنه أنه قال كان داود يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول « إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء » ورواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه ، ورواه الإمام أحمد أيضاً في

---

(٤٤٠) ذكر القصة ابن منظور في « لسان العرب » (١٤ / ٤١٤) .

(٤٤١) ذكره الذهبي في « العلو » (١٧١ / مختصر) بنحوه .

(*) ذكره الذهبي في « العلو » (٢٣٦ / مختصر) .

كتاب الزهد ، فهذا الرفع إن كان فى الصلاة فهو منسوخ فى شرعنا ، وإن كان بعد الصلاة فهو جائز كرفع اليدين فى الدعاء إلى الله تعالى .

(قول مالك بن دينار) قد أسلفنا عنه أنه كان يقول خذوا فيقرأ ثم يقول اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه . رواه أبو نعيم فى الحلية بإسناد صحيح ، وروى ابن أبى الدنيا عنه قال قرأت فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول « يا ابن آدم خيرى إليك ينزل وشرك يصعد إلىّ وأتحبب إليك بالنعم وتتبغض إلى بالمعاصى ولا يزال ملك كريم يعرج إلىّ منك بعمل قبيح »[٤٤٢] .

(قول سليمان التيمى) قال البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد قال ضمرة بن ربيعة عن صدقة عن سليمان سمعته يقول « لو سئلت أين الله ؟ لقلت فى السماء ولو سئلت أين كان العرش قبل السماء ؟ لقلت على الماء ، ولو سئلت أين كان قبل الماء لقلت لا أدرى »[٤٤٣] .

(قول شريح بن عبيد) روى عنه أبو الشيخ بإسناد صحيح أنه كان يقول ارتفع إليك ثناء التسبيح وصعد إليك . وقال فى التقديس : سبحانك ذا الجبروت بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير .

(قول عبيد بن عمير) روى عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة له من حديث حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير أنه قال : ينزل الرب عز وجل شطر الليل إلى سماء الدنيا ويقول « من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » ، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل .

(قول الفضيل بن عياض) قال الأثرم فى كتاب السنة : حدثنا إبراهيم بن الحارث ، يعنى العبادى ، حدثنى الليث بن يحيى قال سمعت إبراهيم بن الأشعث قال أبو بكر صاحب الفضيل سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم فى الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه ، وكذا النزول والضحك والمباهاة والاطلاع ، كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يباهى ، وكما شاء أن يطلع ، وكما شاء أن يضحك ، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف .

---

(٤٤٢) أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٤/ ح ٤٥٨٩) .

(٤٤٣) أخرجه البخارى فى « خلق أفعال العباد » ص (١٨) « وإسناده صحيح »

وإذا قال لك الجهمى أنا أكفر برب ينزل عن مكانه ، فقلت أنت : أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء[٤٤٤] ، وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل البخارى فى كتاب خلق الأفعال فقال : وقال الفضيل بن عياض : إذا قال لك الجهمى ، فذكر قول يحيى بن معاذ الرازى قال : الله تعالى على العرش بائن من الخلق قد أحاط بكل شىء علماً وأحصى كل شىء عدداً ، ولا شك فى هذا المقالة إلا جهمى ردىء ضليل وهالك مرتاب ، يقول يمزج الله بخلقه ، ويخلط الذات بالأقذار والأنتان .

(قول عطاء السلمى) ثبت أنه كان لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل ، ومن هذا نهى النبى ﷺ المصلى عن رفع بصره إلى السماء تأدباً مع الله وإطراقاً بين يديه وإجلالاً له كما يقف العبيد بين يدى الملوك ، ولا يرفعون رءوسهم إليهم إجلالاً لهم ، وإذا ضم هذا إلى رفع الأيدى فى الرغبات والرهبات وتوجه القلوب إلى العلو دون اليمنة واليسرة والخلف والأمام ، أفاد العلم بأن هذا فطرة الله التى فطر الناس عليها .

(قول أبى عبيدة الخواص) ذكر أبو نعيم وابن الجوزى عنه أنه مكث كذا وكذا سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله .

(قول بشر الحافى) صح عنه أنه قال : إنى لأرفع يدى إلى الله ثم أردهما وأقول إنما يفعل هذا من له جاه عند الله .

(قول ذى النون المصرى) روى أبو الشيخ فى كتاب العظمة بإسناده عنه قال أشرقت لنوره السموات وأنار بوجهه الظلمات وحجب جلاله عن العيون وناجاه على عرشه ألسنة الصدور[٤٤٥] .

فإن قيل : قد نقل القشيرى عن ذى النون أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ فقال أثبت ذاته ونفى مكانه وهو موجود بذاته والأشياء موجود بحكمته كما شاء .

قيل القشيرى لم يذكر لهذه الحكاية إسناداً ؛ وما ذكرناه مسند عنه ، وفى كتب التصوف من الحكايات المكذوبة ما الله به عليم . قال شيخ الإسلام وهذا النقل باطل ، فإن هذا الكلام

---

(٤٤٤) أخرجه البخارى فى « خلق أفعال العباد » ص (١٧) .

(٤٤٥) ذكره الذهبى فى « العلو / مختصر / ١٩٨ » ، وقال : أخرجه أبو الشيخ فى كتاب « العظمة » . وقال الألبانى فى « المختصر » : عمر بن بحر الأسدى لم أعرفه .

ليس فيه مناسبة للآية بل هو مناقض لها ، فإن هذه الآية لم تتضمن إثبات ذاته ونفى مكانه بوجه من الوجوه فكيف يفسر بذلك ، قال وأما قوله هو موجود بذاته والأشياء موجودة بحكمته حق ولكن ليس هو معنى الآية .

(قول الحارث بن أسد المحاسبى) قال وأما قوله ﴿ **الرحمن على العرش استوى - وهو القاهر فوق عباده / أءمنتم من فى السماء / إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً** ﴾ فهذه وغيرها مثل قوله ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه / إليه يصعد الكلم الطيب** ﴾ وهذه توجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها ، متنزه عن الدخول فى خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية ؛ لأنه أبان فى هذه الآيات أنه أراد به بنفسه فوق عباده لأنه قال ﴿ **أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾ يعنى فوق العرش ، والعرش على السماء ؛ لأن من كان فوق كل شىء على السماء فى السماء ، وقد قال ﴿ **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر** ﴾ أى على الأرض ، لا يريد الدخول فى جوفها ، وكذلك قوله ﴿**يتيهون فى الأرض**﴾ يعنى على الأرض . وكذلك قوله تعالى ﴿ **لأصلبنكم فى جذوع النخل** ﴾ يعنى فوقها عليها . وقال فى موضع آخر فبيَّن عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت عروجها بالارتفاع صاعدة إليه فقال ﴿ **فى يوم كان مقداره** ﴾ فذكر صعودها إليه ووصولها بقوله ﴿ **إليه** ﴾ كقول القائل اصعد إلى فلان فى ليلة أو يوم . وذلك أنه فى العلو ، وأن صعودك إليه فى يوم فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل . وإن كانوا لم يروه ولم يساووه فى الارتفاع فى علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو الذى الله تعالى فوقه . وقال تعالى ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ ولم يقل عنده ، وقال فرعون ﴿ **يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ لأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى** ﴾ ثم استأنف وقال ﴿ **وإنى لأظنه كاذباً** ﴾ يعنى فيما قال إن إلهه فوق السموات ، فبين الله عز وجل أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب قال له وعمد إلى طلبه حيث قال له مع الظن بموسى أنه كاذب . ولو أن موسى قال إنه فى كل مكان بذاته لطلبه فى نفسه فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(قول إمام الصوفية فى وقته) الإمام العارف أبو عبد الله محمد بن عثمان المكى قال فى كتابه « آداب المريدين » والتعرف لأحوال العبادة فى باب ما يجىء به الشياطين للنائبين من الوسوسة .

وأما الوجه الثالث الذى يأتى به الناس إذا هم امتنعوا عليه واعتصموا بالله فإنه يوسوس لهم فى أمر الخالق ليفسد عليهم أصول التوحيد . وذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال : فهذا من أعظم

ما يوسوس به فى التوحيد بالتشكيك أو فى صفات الرب بالتشبيه والتمثيل ، أو بالحجد لها والتعطيل ، وأن يدخل عليهم مقاييس عظمة الرب بقدرِ عقولهم فيهلكوا أو يضعضع أركانهم إلا أن يلجأوا فى ذلك إلى العلم وتحقيق المعرفة بالله سبحانه من حيث أخبر عن نفسه ووصف به نفسه ووصفه به رسوله ، فهو تعالى القائل : أنا الله ـ لا الشجرة ـ الجائى هو لا أمره . المستوى على عرشه بعظمته وجلاله دون كل مكان . الذى كلم موسى تكليماً وأراه من آياته عظيماً ، فسمع موسى كلام الله الوارث لخلقه ، السميع لأصواتهم الناظر بعينه إلى أجسامهم ، يداه مبسوطتان ، وهما غير نعمته وقدرته ، وخلق آدم بيده[٤٤٦] .

ثم ساق كلاماً طويلاً فى السنة ، وهو رحمه الله من نظراء الجنيد وأعيان مشايخ القوم توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد .

(قول أبى جعفر الهمدانى الصوفى) ذكر محمد بن طاهر المقدسى محدث الصوفية فى كتابه عنه أنه حضر مجلس أبى المعالى الجوينى وهو يقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه . وكلاماً من هذا المعنى ، فقال يا شيخ دعنا من ذكر العرش أخبرنا عن هذه الضرورة التى نجدها فى قلوبنا فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو ، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ قال فصرخ أبو المعالى ولطم على رأسه وقال : حيرنى الهمذانى حيرنى الهمذانى .

(قول الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهانى) شيخ الصوفية فى أواخر المائة الرابعة قال فى رسالته : أحببت أن أوصى أصحابى بوصية من السنة وموعظة من الحكمة ، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها : وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول ، وأنه عز وجل بائن من خلقه ، والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لأن الفرد البائن من الخلق الواحد الغنى عن الخلق ، وأن الله سميع بصير عليم خبير ، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول : هل من داع فأستجيب له ، هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال[٤٤٧] .

---

(٤٤٦) ذكره الذهبى فى « العلو » (٢٣٠ / مختصر) .

(٤٤٧) ذكره الألبانى فى « مختصر العلو » للذهبى ص (٢٦٢) .

(قول الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلانى) قدس الله روحه قال فى كتابه « تحفة المتقين وسبيل العارفين » فى باب « اختلاف المذاهب فى صفات الله عز وجل » وفى ذكر اختلاف الناس فى الوقف عند قوله ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ قال إسحاق فى الـلم ـ إلى أن قال ـ والله تعالى بذاته على العرش علمه محيط بكل مكان ، والوقف عند أهل الحق على قوله « إلا الله » وقد روى ذلك عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش ، ويعلم ما فى السموات والأرض ـ إلى أن قال ـ ووقف جماعة من منكرى استواء الرب عز وجل على قوله ﴿ **الرحمن على العرش** ﴾ وابتدءوا بقوله « **استوى له ما فى السموات وما فى الأرض** » يريدون بذلك نفى الاستواء الذى وصف به نفسه . وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته . وقال فى كتابه الغنية : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار ، فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد ، إلى أن قال ، وهو بجهة العلو مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال إنه فى السماء على العرش استوى ، قال الله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وساق آيات وأحاديث ثم قال وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، ثم قال وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على نبى أرسل بلا كيف ، هذا نص كلامه فى الغنية(٤٤٨) .

(قول أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى) إمام الصوفية فى وقته قال فى كتابه الذى سماه « اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات » قال فى آخر خطبته « فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار فى توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه وقدره قولاً واحداً وشرطاً ظاهراً وهم الذين نقلوه عن رسول الله ﷺ ذلك حين قال « عليكم بسنتى » فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف ، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله فى أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع ، ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنقل إلينا سائر الاختلاف ، ثم ذكر حديث يلقى فى النار وتقول هل من مزيد ،

---

(٤٤٨) أورده الألبانى فى « مختصر العلو » للذهبى (ص ٢٨٤) ن وقال الذهبى فى « العلو » : سمعت الحافظ أبا الحسين يقول : سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمصر يقول : ما نعرف أحداً كراماته متواترة كالشيخ عبد القادر رحمه الله توفى سنة (٥٦١)

حتى يضع الجبار فيها رجله ، وحديث الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله ، ثم ذكر حديث الصور - إلى أن قال - ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار - إلى أن قال - ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فى ثلث الليل الأخير فيبسط يديه ويقول : هل من سائل ، الحديث ، وليلة النصف من شعبان وعشية عرفة ، وذكر الحديث فى ذلك ، ونعتقد أن الله يتولى حساب الخلق بنفسه ، ونعتقد أن الله خص محمداً ﷺ بالرؤية واتخذه خليلاً .

(قول شيخ الإسلام أبى إسماعيل عبد الله الأنصارى) صاحب كتاب منازل السائرين[٤٤٩] والفاروق وذم الكلام وغيره ، صرح فى كتابه بلفظ الذات فى العلو ، وأنه استوى بذاته على عرشه ، قال ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك ، ومن أراد معرفة صلابته فى السنة والإثبات فليطالع كتابيه « الفاروق وذم الكلام » .

(قول شيخ الصوفية والمحدثين أبى نعيم صاحب كتاب حلية الأولياء) قال فى عقيدته « وإن الله سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؛ هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ، ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال ، وسائر الصفوة العارفين على هذا ، ثم قال وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، فالاستواء معقول والكيف مجهول ، وأنه سبحانه بائن من خلقه وخلقه بائنون منه ، بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لأنه البائن الفرد من الخلق الواحد الغنى عن الخلق . وقال أيضاً : طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة . وساق ذكر اعتقادهم ثم قال : ومما اعتقدوه أن الله فى سمائه دون أرضه وساق بقيته[٤٥٠] .

(قول الإمام يحيى بن عمار السجزى) شيخ أبى إسماعيل الأنصارى إمام الصوفية فى وقته ؛ قال فى رسالته فى السنة بعد كلام : بل نقول هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شىء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شىء ، وهو معنى قول الله تعالى ﴿ **وهو معكم** ﴾ ورسالته موجودة مشهورة .

---

(٤٤٩) (قلت) وقد شرحه المؤلف (رحمه الله) فى كتاب (مدارج السالكين) وهو فى ثلاث مجلدات .

(٤٥٠) ذكره الذهبى فى « العلو » (مختصر / ٢٦١) .

أقوال الشارحين لأسماء الله الحسنى

(قول القرطبي فى شرحه) وقد كان الصدر الأول لا ينفون الجهة بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبر رسوله ﷺ ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة وخص العرش بذلك دون غيره لأنه أعظم مخلوقاته ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلم حقيقته . كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عن الكيف بدعة . وكذلك قالت أم سلمة ثم ذكر كلام أبى بكر الحضرمى فى رسالته التى سماها « بالإيمان إلى مسأله الاستواء » وحكايته عن القاضى عبد الوهاب أنه استواء الذات على العرش ، وذكر أن ذلك قول القاضى أبى بكر بن الطيب الأشعرى كبير الطائفة وأن القاضى عبد الوهاب نقله عنه نصاً ، وأنه قول الأشعرى وابن فورك فى بعض كتبه . وقول الخطابى وغيره من الفقهاء والمحدثين .

قال القرطبي وهو قول أبى عمر بن عبد البر والطلمنكى وغيرهما من الأندلسيين ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولاً ، وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآى والأخبار . وقال جميع الفضلاء الأخيار أن الله على عرشه كما أخبر فى كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف ، بائن من جميع خلقه . هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات .

أقوال أئمة الكلام من أهل الإثبات المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة

(قول الإمام أبى محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب) إمام الطائفة الكلابية ، كان من أعظم أهل الإثبات للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه ، ومنكراً لقول الجهمية ، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى وأن القرآن معنى قائم بالذات ، وهو أربع معان ، ونصر طريقته أبو العباس القلانسى وأبو الحسن الأشعرى وخالفه فى بعض الأشياء ، ولكنه على طريقته فى إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه ، كما سيأتى حكاية كلامه بألفاظه .

قال ابن كلاب فى بعض كتبه ، وأخرج من الأثر والنظر من قال إن الله سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه ، حكاه عنه شيخ الإسلام فى عامة كتبه الكلامية . وحكى عنه أبو الحسن الأشعرى أنه كان يقول أن الله مستو على عرشه كما قال ، وأنه فوق كل شىء ؛ هذا لفظ حكاية الأشعرى عنه ، وحكى عنه أبو بكر بن فورك فيما جمعه من مقالاته فى كتاب المجرد ، وأخرج من النظر والخبر قول من قال لا هو فى العالم ولا خارجه ، فنفاه نفياً مستوياً ، لأنه لو قيل له

صفه بالعدم ما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله نصاً . وقال فى ذلك مالا يجوز فى نص ولا معقول ، وزعم أن هذا التوحيد الخالص ، والنفى الخالص عندهم هو الإثبات الخالص ، وهم عند أنفسهم قياسون .

قال وإن قالوا هذا انفصاح منكم بخلو الأماكن منه وانفراد العرش به . قيل إن كنتم تعنون خلو الأماكن من تدبيره وأنه غير عالم بها فلا ، وإن كنتم تريدون خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش فنحن لا نحتشم أن نقول استوى على العرش ونحتشم أن نقول استوى على الأرض واستوى على الجدار وفى صدر البيت . قال ابن كلاب يقال لهم أهو فوق ما خلق ؟ فإن قالوا نعم ، قيل لهم ما تعنون بقولكم فوق ما خلق ؟ فإن قالوا بالقدرة والعزة ، قيل لهم ليس هذا سؤالنا ، وإن قالوا المسألة خطأ ، قيل لهم أفليس هو فوق ؟ فإن قالوا نعم ليس هو فوق ، قيل لهم وليس هو تحت ، فإن قالوا لا فوق ولا تحت أعدموه ، لأن ما كان لا تحت ولا فوق عدم ، وإن قالوا هو تحت وهو فوق ، قيل لهم فليزم أن يكون تحت وفوق .

ثم بسط الكلام فى استحالة النفى المباينة والمماسة عنه بالعقل ، وأن ذلك يلحقه بالعدم المحض . ثم قال ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته أعلمهم بالأين ، واستصوب قول القائل إنه فى السماء وشهد له بالإيمان عند ذلك ، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين بزعمهم ويحيلون القول به ، قال ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له وكان ينبغى أن يقول لها لا تقولى ذلك فتوهمى أنه محدود ، وأنه فى مكان دون مكان ، ولكن قولى إنه فى كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ما قلت ، كلا فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وأنه من الإيمان ، بل الأمر الذى يجب به الإيمان لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته ، وكيف يكون الحق فى خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك وشاهد له ، ولو لم يشهد لصحة مذهب الجماعة فى هذا خاصة إلا ما ذكرناه من هذه الأمور لكان فيه ما يكفى ، كيف وقد غرس فى نيته الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك مالا شىء أبين منه ولا أوكد ، لأنك لا تسأل أحداً من الناس ، عربياً ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فيقول أين ربك إلا قال فى السماء ، أفصح أو أوماً بيده أو أشار بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ، ولا رأينا أحداً إذا عنَّ له دعاء إلا رافعاً يديه إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهميه يُسأل عن ربه فيقول فى كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وخمسون رجلاً معهم : نعوذ بالله من مضلات الفتن . هذا آخر كلامه .

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية) قدس الله روحه : ولما رجع الأشعرى من مذهب المعتزلة سلك طريق ابن كلاب ، ومال فى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك فى كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها ، وكان القدماء من أصحاب أحمد ، كأبى بكر بن عبد العزيز وأبى الحسين التميمى وأمثالها يذكرونه فى كتبهم على طريق الموافق للسنة فى الجملة ، ويذكرون رده على المعتزلة ، وأبدى تناقضهم ثم ذكر ما بين الأشعرى وقدماء أصحابه وبين الحنابلة من التآلف لا سيما بين القاضى أبى بكر بن الباقلانى وبين أبى الفضل بن التميمى حتى كان ابن الباقلانى يكتب فى أجوبته فى المسائل كتبه محمد بن الطيب الحنبلى ويكتب أيضاً الأشعرى .

قال وعلى العقيدة التى صنفها أبو الفضل التميمى اعتمد البيهقى فى الكتاب الذى صنفه فى مناقب أحمد لما ذكر عقيدة أحمد قال :

وأما ابن حامد وابن بطة وغيرهما فإنهم مخالفون لأصل ابن كلاب قال والأشعرى وأئمة أصحابه كابن الحسن الطبرى وأبى عبد الله بن مجاهد والقاضى أبى بكر متفقون على إثبات الصفات الخبرية التى ذكرت فى القرآن كالاستواء والوجه واليدين وإبطال تأويلها .

وليس للأشعرى فى ذلك قولان أصلاً ، ولم يذكر أحد عن الأشعرى فى ذلك قولين : ولكن لأتباعه قولان فى ذلك ؛ ولأبى المعالى الجوينى فى تأويلها قولان أولها فى الإرشاد ، ورجع عن التأويل فى رسالته النظامية وحرمه ، ونقل إجماع السلف على تحريمه ، وأنه ليس بواجب ولا جائز .

(قول أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى) ، إمام الطائفة الأشعرية ، نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات ، وما نقله عنه أعظم الناس انتصار له الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى الكتاب الذى سماه (تبيين كذب المفترى ، فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى) ذكر قوله فى كتاب الإبانة ذكر فى أصول الديانة .

قال أبو القاسم بن عساكر : إذا كان أبو الحسن مستوصب المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد فوافقه فى أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ، ولا يقدح فى معتقده غير أهل الجهل والعناد ، فلابد أن نحكى عنه معتقده على وجهه بالأمانة ، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة ، لتعلم حقيقة حاله فى صحة عقيدته فى أصول الديانة ، فاسمع ما ذكره فى كتابه الذى سماه بالإبانة فإنه قال :

الحمد لله الأحد الواحد العزيز الماجد المتفرد بالتوحيد المتمجد بالتمجيد الذى لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد ، وهو المبدىء المعيد جل عن اتخاذ الصاحبة والأبناء ، وتقدس عن ملامسة النساء ، فليس له عزة تنال ولا حد تضرب فيه الأمثال ؛ لم يزل بصفاته أولاً قديراً ولا يزال عالماً خبيراً ، سبق الأشياء علمه ونفذت فيها إرادته فلم تعزب عنه خفيات الأمور ، ولم يغيره سوالف صروف الدهور ، ولم يلحقه فى خلق شىء مما خلق كلال ولا تعب ولا مسه لغوب ولا نصب خلق الأشياء بقدرته ودبرها بمشيئته وقهرها بجبروته وذللها بعزته ، فذل لعظمته المتكبرون ؛ واستكان لعظم ربوبيته المتعظمون . وانقطع دون الرسوخ فى علمه الممترون وذلت له الرقاب وحارت فى ملكوته فطن ذوى الألباب وقامت بكلمته السموات السبع واستقرت الأرض المهاد وثبتت الجبال الرواسى وجرت الرياح اللواقح وسار جو السماء السحاب وقامت على حدودها البحار ، وهو إله قاهر يخضع له المتعززون ، ويخشع له المترفعون ، ويدين طوعاً وكرهاً له العالمون .

نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله ومستحقه ؛ ونستعينه استعانة من فوض إليه أمره وأقر أنه لا ملجأ ولا منجأ منه إلا إليه . ونستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بوحدانيته وإخلاصاً لربيوبيته . وأنه العالم بما تبطنه الضمائر وتنطوى عليه السرائر وما تخفيه النفوس وما تخزن البحار وما توارى الأسراب ، وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار .

وساق خطبة طويلة بين فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة - إلى أن قال فيها - ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[٤٥١] وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾[٤٥٢] وأنكروا أن يكون لله عينان مع قوله ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾[٤٥٣] وكقوله ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾[٤٥٤] ونفوا ما روى عنه ﷺ من قوله « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا » إلخ ، وأنا ذاكر ذلك إن شاء الله تعالى باباً باباً وبه المعونة والتأييد ومنه التوفيق والتسديد .

---

(٤٥١) الرحمن / ٢٧ .

(٤٥٢) ص / ٧٥ .

(٤٥٣) القمر / ١٤ .

(٤٥٤) طه / ٣٩ .

(فإن قال لنا قائل) قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئه فعرفونا قولكم الذى به تقولون . وديانتكم التى بها تدينون .

قيل له : قولنا الذى به نقول وديانتنا التى بها ندين : التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون . لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال . وأوضح به المنهاج . وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين . فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير مفهم . وعلى جميع أئمة المسلمين .

وجملة قولنا إنا نقر بالله وملائكته كتبه ورسله وما جاء من عند الله . وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ . لا نرد من ذلك شيئاً . وأن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها . وأن الله يبعث من فى القبور وأن الله تعالى استوى على عرشه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٥٥] وأن له وجهاً كما قال تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[٤٥٦] وأن له يدين ، كما قال تعالى ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾[٤٥٧] وكما قال تعالى ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾[٤٥٨] وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾[٤٥٩] وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالاً ، وأن لله علماً كما قال تعالى ﴿ **أنزله بعلمه** ﴾[٤٦٠] وكما قال تعالى ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾[٤٦١] .

ونثبت لله قوة ، كما قال تعالى ﴿ **أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة** ﴾[٤٦٢] ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية .

---

(٤٥٥) طه / ٥ .

(٤٥٦) الرحمن / ٢٧ .

(٤٥٧) المائدة / ٦٤ .

(٤٥٨) ص / ٧٥ .

(٤٥٩) القمر / ١٤ .

(٤٦٠) النساء / ١٦٦ .

(٤٦١) فاطر / ١١ ، فصلت / ٤٧ .

(٤٦٢) فصلت / ١٥ .

ونقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فيكون ؛ وأنه لا يكون فى الأرض شىء من خير وشر إلا ما شاء الله ، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ، وأن لا يستغنى عن الله ولا نقدر عن الخروج من علم الله ؛ وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له ، كما قال تعالى ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾(٤٦٣) وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون ، كما قال تعالى ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾(٤٦٤) وكما قال تعالى ﴿ **لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون** ﴾(٤٦٥) وكما قال تعالى ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾(٤٦٦) وكما قال تعالى ﴿ **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض** ﴾(٤٦٧) وهذا في كتاب الله كثير .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، وأضل الكافرين ولم يلطف بهم ولم يهدهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، كما قال تعالى ﴿ **من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾(٤٦٨) .

وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم ؛ وأن الخير والشر بقضاءالله وقدره ، وإنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وإنا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، وإنا لنلجىء أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه .

ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإن من قال بخلق القرآن كان كافراً وندين بأن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ(٤٦٩) . ونقول إن الكافرين - إذا رآه المؤمنون - محجوبون كما قال تعالى

---

(٤٦٣) الصافات / ٩٦ .

(٤٦٤) فاطر / ٣ .

(٤٦٥) النحل / ٢٠ ، الفرقان / ٣ .

(٤٦٦) النحل / ١٧ .

(٤٦٧) الطور / ٣٥ .

(٤٦٨) الأعراف / ١٧٨ .

(٤٦٩) حديث (الرؤية) أخرجه البخارى فى كتاب « الأذان » باب « فضل السجود » (حـ٢ / ح ٨٠٦) من حديث =

﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾[٤٧٠] وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا . وأن الله تجلى - للجبل فجعله دكًا وخر موسى صعقاً . وأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا . ونرى أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه . كالزنا والسرقة وشرب الخمر . كما دانت بذلك الخوارج . وزعموا أنهم بذلك كافرون .

ونقول إن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلاً لها كان كافراً إذا كان غير معتقد لتحريمها . ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيماناً . وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه . وأنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ[٤٧١] . وندين بأن لا ننزل أحداً من الموحدين المتمسكين بالإيمان جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ونرجوا الجنة للمذنبين . ونخاف عليهم أن يكونوا من أهل النار معذبين . ونقول إن الله يخرج من النار قوماً بعدما امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ ونؤمن بعذاب القبر .

ونقول : إن الحوض والميزان حق . والصراط حق والبعث بعد الموت حق وأن الله يوقف العباد بالموقف ويحاسب المؤمنين . وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله ﷺ التى رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى تنتهى الرواية إلى رسول الله ﷺ ، وندين بحب السلف الذى اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم .

ونقول أن الإمام بعد رسول الله أبو بكر وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم عثمان بن عفان نضر الله وجهه . قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً . ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه . فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ خلافتهم خلافة النبوة . ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها ، ونتولى سائر أصحاب رسول الله ﷺ ونكف عما شجر بينهم ، وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون فضلاء مهديون لا يوازيهم غيرهم في الفضل ،

= أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تمارون فى القمر ليلة البدر دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ... الحديث . وأخرجه ايضاً مسلم فى « صحيحه » كتاب « الزهد » (٤ / ١٦ / ح ٢٩٨٦ / ص ٢٢٧٩) من حديث أبى هريرة .

(٤٧٠) المطففين / ١٥ .

(٤٧١) تقدم تخريجه برقم (٤٠١) وهو صحيح عند البخارى فى « التوحيد » .

ونصدق جميع الروايات التي رواها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا ، وأن الرب تعالى يقول : هل من سائل هل من مستغفر[٤٧٢] ، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتعطيل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، فلا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقول على الله مالا نعلم ، ونقول إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾[٤٧٣] وإن الله يقرب من عباده كيف شاء ، كما قال تعالى ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[٤٧٤] وكما قال تعالى ﴿ **ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[٤٧٥] ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وغيرهما خلف كل بر وفاجر ، وكذلك سائر الصلوات الخمس سنة بالجماعات ، كما روى عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج[٤٧٦] ، وأن المسح على الخفين في الحضر والسفر خلافاً لمن أنكر ذلك ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم ، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة ، وندين بترك الخروج عليهم وترك القتال في الفتنة ، ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتها للمدفونين في قبورهم ، ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ، وأن لذلك تأثيراً ، ونرى الصدقة عن موتى المسلمين المؤمنين والدعاء لهم ، ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك . ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً ، وأن السحر كائن موجود في الدنيا ، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ونوارثهم .

---

(٤٧٢) ولقد قمت بتخريج أحاديث النزول كلها التي وردت في كتاب « مختصر الصواعق المرسلة »للمؤلف وهو الآن تحت الطبع / دار الحديث .

(٤٧٣) الفجر / ٢٢ .

(٤٧٤) قّ / ١٦ .

(٤٧٥) النجم / ٨ .

(٤٧٦) أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، الأمير الشهير الظالم المبير ، وقع ذكره وكلامه في الصحيحين وغيرهما وليس بأهل أن يروى عنه . ولي أمرة العراق عشرين سنة .

وقال عمر بن عبد العزيز الخليفه رحمه الله تعالى : لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم مات سنة (٩٥) .

ترجمته وفيات الأعيان (٢ / ٢٩) لسان الميزان (٢ / ٢٢٧) .

تهذيب التهذيب (٢ / ١٨٤) تقريب التهذيب (١ / ١٥٤)

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل ، وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها الله عباده حلالاً وحراماً وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه خلافاً لقول المعتزلة والجهمية ، كما قال الله عز وجل ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** ﴾[٤٧٧] وكما قال تعالى ﴿ **من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس** ﴾[٤٧٨] ونقول إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآيات يظهرها عليهم ، وقولنا فى أطفال المشركين أن الله يؤجج لهم ناراً فى الآخرة ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت الرواية بذلك[٤٧٩] ، وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين . ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء وسنحتج لما ذكرناه من قولنا مما بقى منه مما لم نذكره باباً باباً .

قلت ثم ذكر الأبواب إلى أن قال (باب الاستواء) وإن قال قائل ما تقولون فى الاستواء قيل له نقول أن الله مستو على عرشه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٨٠] وقال تعالى ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٤٨١] وقال ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾[٤٨٢] وقال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ **يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً** ﴾[٤٨٣] كذّب موسى فى قوله إن الله فوق السموات . وقال الله عز وجل ﴿ **أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[٤٨٤] فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات وكان كل ما علا فهو سماء . وليس إذا قال ﴿ **أءمنتم من فى السماء** ﴾ يعنى جميع السموات وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السموات . ألا ترى أنه ذكر السموات فقال ﴿ **وجعل القمر فيهن**

---

(٤٧٧) البقرة / ٢٧٥ .

(٤٧٨) الناس / ٤ : ٦ .

(٤٧٩) ذكره ابن حجر فى « الفتح » (٣ / ص ٢٩٠ / ريان) بلفظ مقارب فقال : « أنهم يمتحنون فى الآخرة بأن ترفع لهم نار ،فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن أبى عذب » وقال : أخرجه البزار من حديث أنس وأبى سعيد والطبرانى من حديث معاذ بن جبل .

(٤٨٠) طه / ٥ .

(٤٨١) فاطر / ١٠ .

(٤٨٢) النساء / ١٥٨ .

(٤٨٣) غافر / ٣٦ ، ٣٧ .

(٤٨٤) الملك / ١٦ .

نوراً ﴾[٤٨٥] ولم يرد أنه يملأهن جميعاً . وأرينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله تعالى مستو على العرش الذى هو فوق السموات .

فلولا أن الله تعالى على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش . ثم قال ومن دعاء أهل الإسلام إذا هم رغبوا إلى الله تعالى يقولون : يا ساكن العرش . ومن خلفهم يقولون لا والذى احتجب بسبع . وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى ﴿ **استوى** ﴾ استولى وملك وقهر . وأن الله فى كل مكان . وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق . وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شىء والأرض شىء فالله قادر عليها وعلى الحشوش . فلو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال أن الله مستو على الأشياء كلها . ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال إن الله مستو على الحشوش والأخلية ، فبطل أن يكون الاستواء على العرش (الاستيلاء) ثم بسط الأدلة على هذه المسألة من الكتاب والسنة والعقل ، ولولا خشية الإطالة لسقناها بألفاظها .

وقال الأشعرى فى كتاب الأمالى (باب القول فى الأماكن) زعمت البحاومة أن الله بكل مكان على معنى الصنع والتدبير ، واختلف أصحاب الصفات فى ذلك فقال أبو محمد عبد الله بن كلاب : إن الله لم يزل لا فى مكان ، وهو اليوم لا فى مكان .

وقال آخرون منهم إنه مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه كما قال تعالى ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[٤٨٦] وقال ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٨٧] فامتدح نفسه بأنه على العرش استوى ، بمعنى أنه علا عليه ، وعلمنا أنه لم يزل عالياً رفيعاً قبل خلق الأشياء وقبل خلق العرش الذى هو عال عليه سبحانه وبحمده . ذكر كلامه فى كتابه الكبير فى إثبات الصفات . وقد ذكر ترجمة هذا الكتاب فى كتابه الذى سماه العمدة فى الرؤية فقال : وألفنا كتاباً كبيراً فى الصفات تكلمنا على أصناف المعتزلة والجهمية المخالفين لنا فى تفهيم علم الله تعالى وقدرته وسائر صفاته ، وعلى أبى الهذيل ومعمر النظام وفى فنون كثيرة من فنون الصفات فى إثبات الوجه واليدين وفى إثبات استواء الرب سبحانه على العرش ، ثم ساق مضمونه .

---

(٤٨٥) نوح / ١٦ .

(٤٨٦) الأنعام / ١٨ ، ٦١ .

(٤٨٧) طه / ٥ .

ذكر كلامه فى كتاب جمل المقالات قال : الحمد لله ذى العزة والإفضال والجود والنوال أحمده على ما خص وعم من نعمه وأستعينه على أداء فرائضه ، وأسأله الصلاة على خاتم رسله ، أما بعد فإنه لابد لمن إراد معرفة الديانات والتمييز بينها من معرفة المذاهب والمقالات ورأيت الناس فى حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصنعون فى النحل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه ، وغالط فيما يذكره من قول مخالفه ، ومن بين متعمد الكذب فى الحكاية إذا أراد التشنيع على من يخالفه ومن بين تارك لنقص فى روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ومن بين من يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به ، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطنة المميزين فحدانى ما رأيت من ذلك على شرح ما ألتمس شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار ، وإنا نبدى شرح ذلك بعون الله وقوته ، وساق حكاية مذاهب الناس - إلى أن قال - هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة .

جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله إله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله . وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن اتلله يبعث من فى القبور وأن الله على عرشه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٨٨] وأن الله له يدين بلا كيف كما قال تعالى ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾[٤٨٩] وقال تعالى ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾[٤٩٠] وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾[٤٩١] وأن له وجهاً كما قال تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[٤٩٢] إلى أن قال : وأن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام فى الوقف واللفظ ، من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال للفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون إن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، وأن موسى سأل الله الرؤية فى الدنيا ، وأن الله تجلى للجبل فجعله دكاً[٤٩٣] . فأعلمه بذلك أن الله لا يُرى فى الدنيا . ثم ساق بقية قولهم .

---

(٤٨٨) طه / ٥ .

(٤٨٩) صّ / ٧٥ .

(٤٩٠) المائدة / ٦٤ .

(٤٩١) القمر / ١٤ .

(٤٩٢) الرحمن / ٢٧ .

(٤٩٣) وهذا إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة / الأعراف / ١٤٣ ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر

وقال فى هذا الكتاب : قال أهل السنة واصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الاشياء . وأنه على العرش كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٤٩٤] ولا نتقدم بين يدى الله فى القول بل نقول استوى بلا كيف ، وأنه نور كما قال تعالى ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾[٤٩٥] وأن له وجهاً كما قال تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[٤٩٦] وأن له يدين كما قال تعالى ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾[٤٩٧] وأن له عينين كما قال تعالى ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾[٤٩٨] وأنه يجىء يوم القيامة وهو وملائكته كما قال تعالى ﴿ **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** ﴾[٤٩٩] وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء فى الحديث . ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ . وقالت المعتزلة إن الله استوى على عرشه بمعنى استولى . هذا نص كلامه .

وقال أيضاً فى الكتاب : وقالت المعتزلة فى قول الله عز وجل ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٥٠٠] يعنى استولى ، قال وتأولت اليد بمعنى النعمة ، وقوله ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾[٥٠١] أى بعلمنا .

قال وأما الوجه فإن المعتزلة قالت فيه قولين . قال (بعضهم وهو أبو الهذيل وجه الله) هو الله . وقال غيره : معنى قوله ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾[٥٠٢] أى يبقى ربك من غير أن يكون يثبت وجهاً . يقال إنه هو الله ولا يقال ذلك فيه . فالأشعرى إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية وضرح بخلافه . وأنه خلاف أهل السنة . وكذلك قال محيي السنة الحسين بن مسعود البغوى فى تفسيره تابعاً لأبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى .

إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ .

(٤٩٤) طه / ٥ .

(٤٩٥) النور / ٣٥ .

(٤٩٦) الرحمن / ٢٧ .

(٤٩٧) ص / ٧٥ .

(٤٩٨) القمر / ١٤ .

(٤٩٩) الفجر / ٢٢ .

(٥٠٠) طه / ٥ .

(٥٠١) القمر / ١٤ .

(٥٠٢) الرحمن / ٢٧ .

(قول القاضى أبى بكر الطيب الباقلانى الأشعرى) قال فى كتاب التمهيد فى أصول الدين ، وهو من أشهر كتبه : فإن قال قائل : فهل تقولون إن الله فى كل مكان . قيل معاذ الله بل هو مستو على العرش كما أخبر فى كتابه فقال عز وجل ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٥٠٣] وقال تعالى ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٥٠٤] وقال ﴿ **أءمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾[٥٠٥] ولو كان فى كل مكان فى جوف الإنسان وفى فمه وفى الحشوش وفى المواضع التى يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك ، ولو كان فى كل مكان لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن يخلقه . وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحاً ، وأن يرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله .

ثم قال فى قوله تعالى ﴿ **هو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله** ﴾[٥٠٦] المراد أنه إله عند أهل السماء وإله عند أهل الأرض ، كما تقول العرب : فلان نبيل مطاع فى المصرين ، أى عند أهلها . وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة . وقوله تعالى ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[٥٠٧] يعنى بالحفظ والنصر والتأييد ولم يرد أن ذاته معهم تعالى . وقوله تعالى ﴿ **إننى معكما أسمع وأرى** ﴾[٥٠٨] محمول على هذا التأويل ، وقوله تعالى ﴿ **ما من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[٥٠٩] يعنى أنه عالم بهم وبما خفى من سرهم ونجواهم .

وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن فلذلك لا يجوز أن يقال قياساً على هذا أن الله بالبردان ومدينة السلام ودمشق ، وأنه مع الثور والحمار ، وأنه مع الفساق والمهان ومع المصعدين إلى الحلوان قياساً على قوله ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾[٥١٠] فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه كما قال الشاعر : قد استوى بشر على العراق .

---

(٥٠٣) طه / ٥ .
(٥٠٤) فاطر / ١٠ .
(٥٠٥) الملك / ١٦ .
(٥٠٦) الزخرف / ٨٤ .
(٥٠٧) النحل / ١٢٨ .
(٥٠٨) طه / ٤٦ .
(٥٠٩) المجادلة / ٧ .
(٥١٠) النحل / ١٢٨ .

لأن الاستيلاء القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً عزيزاً مقتدراً . وقوله ﴿ **ثم استوى** ﴾ يقتضى استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه ثم قال (باب) فإن قال قائل : ففصلوا لى صفات ذاته من صفات أفعاله لأعرف ذلك ، قيل له : صفات ذاته هى التى لم يزل ولا يزال موصوفاً بها ، وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى ؛ وصفات فعله هى الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر ، وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها . ثم ساق الكلام فى الصفات :

ذكر قوله فى كتاب الإبانة له .

ذكر صفة الوجه واليدين والعينين وأثبتها كما ذكر فى التمهيد . ثم قال : فإن قال قائل فهل تقولون إنه فى كل مكان ؟ قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر فى كتابه ، ثم ذكر الأدلة على ذلك نقلاً وعقلاً قريباً مما ذكر فى التمهيد ، وقال فى هذا الكتاب أيضاً : وصفات ذاته التى لم يزل موصوفاً بها ، وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه واليدين والعينان والغضب والرضا .

ذكر قوله فى رسالة الحيرة ، قال فى كلام ذكره فى الصفات : وأن له وجهاً ويدين ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ثم قال : وإنه استوى على عرشه فاستولى على خلقه ، ففرق بين الاستواء الخاص والاستيلاء العام .

(قول الحسين بن أحمد الأشعرى) المتكلم من متكلمى أهل الحديث صاحب جامع الكبير والصغير فى أصول الدين . قال فى جامعة الصغير :

فإن قيل : ما الدليل على أن الله تعالى على العرش بذاته ؟ قلنا قوله تعالى ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن** ﴾[٥١١] فإن قالوا فإن العرب يقولون استوى فلان على بلد كذا وكذا استولى عليه وقهر ، قلنا لأصحابنا عن هذا أجوبة :

أحدها : أنه لو كان استوى بمعنى استولى لم يكن لتخصيصه العرش بالاستواء معنى لأنه مستول على كل شىء غيره ، فكان يجوز أن يقال الرحمن على الجبل استوى ، وهذا باطل .

الثانى : إن العرب لا تدخل ثم إلا لمستقبل سيكون ، والله تعالى لم يزل قاهراً قادراً مستولياً على الأشياء ، فلم يكن بزعمهم لقوله ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ معنى .

---

(٥١١) الفرقان / ٥٩ .

الثالث : إن الاستواء بمعنى الاستيلاء لا يكون عند العرب إلا بعد أن يكون ثم مغالب يغالبه ، فإذا غلبه وقهره قيل قد استولى عليه ؛ فلما لم يكن مع الله مغالب لم يكن معنى استواؤه على عرشه استيلاء وغلبة وصح أن استواءه عليه هو علوه وارتفاعه عليه بلا حد ولا كيف ولا تشبيه ، ثم ذكر قول الخليل بن أحمد وابن الأعرابى أن الاستواء فى اللغة هو العلو والرفعة لأنهم يقولون استوت الشمس إذا تعالت . واستوى الرجل على ظهر دابته إذا علاها وقوله تعالى ﴿ **واستوت على الجودى** ﴾[٥١٢] أى ارتفعت عليه ، وقوله تعالى﴿ **ولما بلغ أشده واستوى** ﴾[٥١٣] ارتفع عن حال النقصان إلى حال الكمال . وقوله استوى أمر فلان أى ارتفع وعلا عن الحال التى كان عليها من الضعف وسوء الحال . وساق الكلام .

(ذكر قول الإمام فخر الدين الرازى) فى آخر كتابه ، وهو كتاب أقسام اللذات الذى صنفه فى آخر عمره ، وهو كتاب مفيد ذكر فيه أقسام اللذات وبين أنها ثلاثة أقسام : كالأكل والشرب والنكاح واللباس ، واللذة الخيالية الوهمية . كلذة الرياسة والأمر والنهى والترفع ونحوها ، واللذة العقلية ، كلذة العلوم والمعارف ، وتكلم على كل واحد من هذه الأقسام إلى أن قال :

وأما اللذة العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها والتعلق بها ، فلهذا السبب نقول ياليتنا بقينا على العدم الأول وياليتنا ما شهدنا هذا العالم ، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن . وفى هذا المعنى قلت :

نهـــايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال ... وغـــايـــة سعى العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـــا فى وحشـــه من جسـومنـــا ... وحـــاصـل دنيـــانـــا أذى ووبـــال
ولم نستفـــد من بحثنـــا طـــول عمرنـــا ... سـوى أن جمعنـــا فيـــه قيـل وقـــالـوا
وكم قـــد رأينـــا من رجـــال ودولـــة ... فبـــادوا جميعـــاً مسرعين وزالـــوا
وكم من جبـــال قـــد علت شرفـــاتهـــا ... رجـــال فـــزالـوا والجبـــال جبـــال

واعلم أن بعد التوغل فى هذه المضايق والتعمق فى الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق ، رأيت الأصوب الأصلح فى هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم ، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين ، ثم المبالغة فى

---

(٥١٢). هود / ٤٤ .

(٥١٣) القصص / ١٤ .

التعظيم من غير خوض فى التفاصيل فاقرأ فى التنزيه قوله تعالى ﴿ **والله الغنى وأنتم الفقراء** ﴾[٥١٤] وقوله ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[٥١٥] وقوله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[٥١٦] واقرأ فى الإثبات قوله ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٥١٧] وقوله تعالى ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم** ﴾[٥١٨] وقوله ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[٥١٩] وقوله تعالى ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾[٥٢٠] وفى تنزيهه عما لا ينبغى قوله تعالى ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله** ﴾[٥٢١] الآية . وعلى هذا القانون فقس . وختم الكتاب .

(قول متكلم السنة إمام الصوفية فى وقته أبى العباس أحمد بن محمد المظفرى) المختار الرازى صاحب كتاب (فرع الصفات فى تقريع نفاة الصفات) وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم ، قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس : وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث : إن الله على العرش ثم قال : أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والمعقول ، ثم ذكر حجج القرآن والسنة ثم حكى كلام الصحابة إلى أن قال :

ثم إن الصحابة رضى الله عنهم اختلفوا فى النبى ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؛ واختلافهم فى الرؤية تلك الليلة اتفاق منهم على أن الله على العرش ، لأن المخالفين لا يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته ، وهم فرقوا حيث اختلفوا فى أحدهما دون الأخر .

قلت:مراده أنهم إنما اختلفوا فى رؤيته لربه ليلة أُسرى به إلى عنده فجاوز السبع طباق ، ولولا أنه على العرش لكان لا فرق فى الرؤية نفياً ولا إثباتاً فى تلك الليلة وغيرها . ثم قال : وأما المعقول فمن وجوه خمسة : أحدهما : إطباق الناس كافة وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الأيدى إلى السماء عند السؤال والدعاء بخلاف السجود ، فإنه تواضع متعارف بخلاف التوجه إلى الكعبة ، فإنه تعبد غير معقول . أما رفع الأيدى بالسؤال نحو المسئول فأمر معقول متعارف . قال ومن نظر فى قصص الأنبياء وأخبار الأوائل

---

(٥١٤) محمد / ٣٨ .
(٥١٥) الشورى / ١١ .
(٥١٦) الإخلاص / ١ .
(٥١٧) طه / ٥ .
(٥١٨) النحل / ٥٠ .
(٥١٩) فاطر / ١٠ .
(٥٢٠) النساء / ٧٨ .
(٥٢١) النساء / ٧٩ .

القدماء وأنباء الأمم الماضية والقرون الخالية اتضحت له هذه المعانى واستحكمت له هذه المبانى ، ثم قرر العلو وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع ؛ رحمه الله تعالى .

قول شعراء الإسلام من الصحابة رضى الله عنهم

(قول حسان بن ثابت) شاعر رسول الله ﷺ ، قال محمد بن عثمان الحافظ عن حبيب بن أبى ثابت عن حسان أنه أنشد النبى ﷺ شعراً :

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول الذى فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يقول بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبى ﷺ وأنا أشهد . وقال حسان أيضاً فى قصيدته الداليه فى مدح رسول الله ﷺ شعراً :

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهان والله أعلى وأمجد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد
أغر ، عليه للنبوة خاتم ... من الله ميمون يلوح ويشهد

(قول عبد الله بن رواحه) قال أبو عمر بن عبد البر : صح عن عبد الله بن رواحة أن امرأته رأته مع جاريته فذهبت لتأخذ سكيناً فقال ما فعلت ؟ فقالت بلى قد رأيتك ، قالت فإن رسول الله ﷺ قد نهى عن قراءة القرآن ، قالت فاقرأ فقال شعراً :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمين
وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسوّمينا

فقالت : صدق الله وكذب بصرى ، فجاء إلى النبى ﷺ فأخبره فضحك حتى بدت نواجذه . قال محمد بن عثمان الحافظ : رويت هذه القصة من وجوه صحاح عن ابن رواحة .

(قول عباس بن مرداس السلمى ، قال عوانة بن الحكم : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك مر بهم عدى بن أرطأة فدخل على عمر فقال : الشعراء ببابك يا أمير المؤمنين ، فقال ويحك مالى وللشعراء ؟ قال فإن النبى

ﷺ قد امتدح فامتدحه العباس بن مرداس الأسلمى فأعطاه حلة . قال أو تروى من شعره شيئاً ؟ قال نعم . فأنشده عدى بن أرطأة قوله للنبى ﷺ :

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
تعالى علواً فوق سبع إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما

(قول لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامرى الشاعر) أحد شعراء الجاهلية والإسلام ، أسلم وصحب النبى ﷺ ومن شعره :

لله نافلة الأجلّ الأفضل ... وله العلى وأثبت كل مؤثل
لا يستطيع الناس محو كتابه ... أنى وليس قضاؤه بمبدل
سوّى بحكمته السماء وعرشه ... سبعاً طباقاً دون فرع المعقل
والأرض تحتهم مهاداً راسياً ... ثبتت جوانبها بصم الجندل

ذكر ما أنشد للنبى ﷺ من شعر أمية بن أبى الصلت الذى شهد لشعره بالإيمان ولقلبه بالكفر .

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا فى السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذى سبق الخلق ... وسوّى فسوق السماء سريراً
شرجعاً ما ينال بصر العين ... ترى دونه الملائك صوراً

شرجعاً أى طويلاً ، وصوراً جمع أصور وهو المائل العنق ، ومن شعره قوله فى داليته المشهورة . ذكر ابن عبد البر وغيره شعره :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... فلا شىء أعلى منك جداً وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد
عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهار نور حوله تتوقد
فلا بشر يسمو إليه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مؤيد

وفيها وصف الملائكة :

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه ... يعظم ربا فوقه ويمجد

ذكر القصة التى أنشدها إسماعيل بن فلان الترمذى للإمام أحمد فى محبسه . قال إبراهيم بن إسحاق العلى : أخذت هذه القصة من أبى بكر المروزى . وذكر أن إسماعيل بن فلان الترمذى

قالها وأنشدها أحمد بن حنبل رحمه الله وهو فى السجن :

تبـــــــارك من لا يعلم الغيب غيره ... ومن لم يـزل يثنى عليـــه ويُـــذكر
عـلا فى السمـوات العلى فـوق عرشـــه ... إلى خلقـــــــه فى البر والبحر ينظر
سميـــع بصير لا نشـــك مـــــدبر ... ومن دونـــه عبـــد ذليـل مـــدبر
يـــدا ربنـــا مبسـوطتـــان كـلاهمـــا ... تسحـــان والأيـــدى من الخلـق تقتر

وساق القصيدة وهى من أحسن القصائد لم ينكرها أحد من أهل الحديث . بل أثنوا على قائلها ومدحوه .

(قول حسان السنة فى وقته) المتفق على قبوله الذى سار شعره مسيرة الشمس فى الآفاق واتفق على قبوله الخاص والعام أى اتفاق ، ولم يزل ينشد فى المجامع العظام ولا ينكر عليه أحد من أهل الإسلام يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصرى الأنصارى الإمام فى اللغة والفقه والسنة والزهد والتصوف ، قال فى العينية التى أولها شعراً :

تـــواضـع لرب العرش علّـــك ترفـــع ... فقـــد فـــاز عبـــد للمهيمن يخضـــع
وداو بـــــذكر الله قلبـــك إنـــــه ... لأعلى دواء للقلـــــوب وأنفـــــع
وخـــذ من تقى الرحمن أمنـــاً وعـــدة ... ليـــوم بـــــه غير التقى مروَّع

إلى أن قال :

سميـع بصير مـــا لـــه فى صفـــاتـــه ... شبيـــه يرى من فـوق سبـع ويسمـع
قضى خلقـــه ثم استـوى فـوق عرشـــه ... ومن علمـــه لم يخـل فى الأرض مـوضـع

وقال فى لاميته التى أولها :

ويـوم ينـــادى العـــالمين فيسمـع ... الأقصى كـــدان فى المقـــال المطـــول
أنـا الملـك الـديـان والنقـل ثـابت ... فهـل ههنـا ينسـاغ تـأويـل جهـل
وينظره أهل البصائر فى غد ... بأبصارهم لا ريب فيه لمجتلى
كما ينظرون الشمس مـا حـال دونهـا ... سحـــاب ألا بعـــداً لأهـــل التعـــزل
تـوحـــد فـوق العرش والخلـق دونـــه ... وأحكم مـــا ســـواه إحكام مكمـــل

وقال فى قصيدته التى أولها :

أسير وقلبى فى هـــــــــواك أسير ... فهـــل لى من حـــــور الفراق مجير

وأستجلب المسلـــــوى وفى القلب حسرة ... فيرتـــد عنـــك الطرف وهـــو حسير
ومـــا ذاك إلا أن فيـــك لنـــاظرى ... مـــدا غصن غض النبـــات نضير
إذا مـــا تجلى ســـافراً فجمالـــه ... إلى القلب من جيش الغرام سفير
إذا مـا اجتمعنـا فـالتقى الشمـل فـالتقى ... رقيب علينـــا والعقـــاب غفـــور
تـوكـــد عقـــد الـود بينى وبينـــه ... اعتقـــاد عليـــه للهـــدايـــة نـــور
كـلانـــا محب لـــلإمـــام ابن حنبـــل ... لأسيـــافنـــا فى شـــائيـــه هبير

إلى أن قال :

نقر بـــأن الله جـــل جـــلالـــه ... سميـــع لأقـــوال العبـــاد بصير
ويطـــوى السمـــوات العـــلا بيمينـــه ... وذلـــك فى وصف القـــوى يسير
وخـــاطب مـوسى بـــالكـلام مكلمـــاً ... فخر صريعـــاً إذ تقطـــع طـــور
وخـــط لـــه التـوراة فيهـــا مـواعـــظ ... فـلاحت على الألـواح منـــه زبـــور
وأن قلـــوب الخلـــق بين أصـــابـــع ... الإلـــه فنهـــا ثـــابت ونفـــور
ونثبت فى الأخرى لرؤيـــة ربنـــا ... حـــديثـــاً رواه فى الصحيـــح جرير
وأى نعيم فى الجنـــان لأهلهـــا ... وأنى لهم لـــو لم يروه سرور

إلى أن قال :

ونـــؤمن أن العرش من فـــوق سبعـــة ... تطـــوف بـــه أمـــلاكـــه وتـــدور
قضى خلقـــه ثم استـوى فـوق عرشـــه ... تقـــدس كرسى لـــه وسرير
هـــو الله ربى فى السماء محجب ... وليس كمخلـــوق حـــوتـــه قصـــور
إليـــه تعـــالى طيب القـول صـاعـد ... وينزل منـــه بـــالقضـــاء أمـــور
لقـــد صح إسـلام الجـويريـــة التى ... بـــأصبعهـــا نحـــو السماء تشير

وقال رحمه الله فى قصيدته المنامية التى يقول فيها :

رأيت رســـول الله فى النـــوم مرة ... فقبلتـــه من فيـــه تقبيـل مشتـــاق
ولـــو أننى أوتيت رشـــدى نـــائمـــاً ... لقبلت ممشـــاده الكريم بـــأمـــاق
فبشرنى منـــه بـــأزكى شهـــادة ... بهـــا جبر كسرى يـــوم فقرى وإمـلاقى
بموت سعيـــد فى كتـــاب وسنـــة ... وأنى لبشراه شراســـة أخـــلاقى
وهـــا أنـــا ذا والحمـــد لله وحـــده ... مقر لبشراه بـــأثبت مصـــداق
بـــأنى على حسن اعتقـــاد ابن حنبـــل ... مقيم وإن قـــام العـــدى لى على ســـاق

أقر بأن الله من فوق عرشه ... يقدر آجالاً ويقضى بأرزاق
سميع بصير ليس شيء كمثله ... قديم الصفات الواحد الأحد الباقى
أمر أحاديث الصفات كما أتت ... أتابع فيها كل أزهر سباق
ولست إلى التشبيه يوماً بجانح ... ولا قائل تأويل أشد مهاق

وقال رحمه الله فى قصيدته اللامية التى نظم فيها اعتقاد الشافعى رضى الله عنه أولها :

أيشعر حزب الجهم ذاك المضلل ... بأنى حرب للعدى غير أفكل
تشن عليهم غيرتى وحميتى ... لدين الهدى غارات أشوس مقبل
فوقع قريضى فى صميم قلوبهم ... أشد عليهم من سنان ومنصل
أفوق عليهم حين أنظر نحوهم ... مقاتل تصمى منهم كل مقتل
هم انحرفوا عن منهج الحق سالكى ... مهالك من تحريفهم والتأول
لقد برىء الحبر ابن ادريس منهم ... براءة موسى من يهود محول
ويعقد عند الشافعى يمين من ... غدا حالفاً بالمصحف المتقبل
فهذا دليل منه إذ كان لا يرى ... انعقاداً بمخلوق لخلق مؤبل
ومذهبه فى الاستواء كمالك ... وكالسلف الأبرار أهل التفضل
ومستوياً بالذات من فوق عرشه ... ولا تقل استولى فمن قال يبطل
فذلك زنديق يقابل قسوة ... لذى خطل راوى لعيب معطل
وقد بان منه خلقه وهو بائن ... من الخلق محض للخفى مع الجلى
وأقرب من حبل الوريد مفسراً ... وما كان معناه به العلم فاعقل
علا فى السماء الله فوق عباده ... دليلك فى القرآن غير مقلل
وإثبات إيمان الجويرية اتخذ ... دليل عليه مسند غير مرسل

قال رحمه الله فى قصيدته اللاميه يهجو ابن خنفر الجهمى الخبيث أولها :

أطع الهدى لا ما يقول العذّل ... فالحب ذو مر يجور ويعدل
واتبع لسلمى ما استطعت مسلماً ... فالحسن ينصرها وصبرك يخذل
بيضاء دون مرامها لمحبها ... بيض الصوارم والرماح الذبل
تخفى فيعرفها الوشاة بعرفها ... وتضىء والأظلام ستر مسبل
تضحى الدماء بحورها هدراً وهل ... يخفى قصاص القتل طرف أكحل

كيف البقاء لعاشق أودى به ... سهم اللحاظ وقد أصيب المقتل
نبذ الكتاب وراء ظهر واقتدى ... شيخ الضلالة للصفات يعطل
وعقيدة الملعون أن المصحف المكنون منبوذ تطؤه الأرجل
ما قالت الكفار مثل مقاله ... وكذا النصارى واليهود الضلل
آل الجحود به إلى واد لظى ... للغاية السفلى فبئس الموئل
وزعمت أن الحنبلى مجسم ... حاشاً لمثل الحنبلى يمثل
بل يورد الأخبار إذ كانت تصححها الرواة عن الثقات وتنقل
إن المهيمن ليس تمضى ليلة ... إلا وفى الأسحار فيها ينزل
قد قالها خير الورى فى صحبه ... لم ينكروا هذا ولم يتأولون
وتقبلوها مع غزارة علمهم ... أفأنت أم تلك العصابة أعقل

وقال رحمه الله فى داليته التى أولها :

واها لفرط حرارة لا تبرد ... ولواعج بين الحشا تتوقد
فى كل يوم سُنة مدروسة(*) ... بين الأنام وبدعة تتجدد
صدق النبى ولم يزل متسرباً ... زيدت على السبعين قولاً يسند
بالصدق إذ يعد الجميل ويوعد ... إذ قال يفترق الضلال ثلاثة
وقضى بأسباب النجاة لفرقه ... تسعى بسنة مهتدين وتحفد
فإن ابتغيت إلى النجاة وسيلة ... فاقبل مقالة ناصح يتقلد
إياك والبدع المضلة إنها ... تهدى إلى نار الجحيم وتورد
وعليك بالسنن المنيرة فاقفها ... فهى المحجة والطريق الأقصد
فالأكثرون بمبدعات عقولهم ... نبذوا الهدى فتنصروا وتهودوا
منهم أناس فى الضلال تجمعوا ... وبسب أصحاب النبى تفردوا
قد فارقوا جمع الهدى وجماعة الإسلام واجتنبوا الهدى وتردوا
بالله يا أنصار دين محمد ... نوحوا على الدين الحنيف وعددوا
لعبت بدينكم الروافض(**) جهرة ... وتألبوا فى دحضه وتحشدوا

(*) مدروسة : مندثرة .

(**) أتباع هشام بن الحكم الرافضى الذى زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض ، عميق ، وزعم أنه علم الأشياء بعد أن لم يكن عالماً بها بعلم ، وأن العلم صفة له ليست هى هو ولا غيره ولا بعضه وقال أيضاً : =

نصبوا حبائلهم بكل بليـة ... وتغلظوا فى المعضلات وشددوا
ورموا خيار الخلق بالكذب الذى ... هم أهله لا من رموه وأفسدوا
عابو الصحاب وهم أجل مراتبا ... فى الفخر من أفق السماء وأمجد
ولرتبة الصديق جف لسانهم ... يبغون وهى من التناول أبعد
أو ما هو السبَّاق فى عرف العلا ... ولقد زكى من قبل منه المحتد
ولقد أشاد بذكره رب العلا ... فثناؤه فى المكرمات مسدد
نطق الكتاب بمجده الأعلى ففى ... آى الحديد مناقب لا تنفد
(لا يستوى منكم)[٥٢٢] وفيها مقنع ... والليل[٥٢٣] يثبت فضله ويؤكد
(وبراءة)[٥٢٤] تثنى بصحبته وهل ... يزرى على الصديق إلا ملحد

أو ما هو الأتقى الذى استولى على الإخلاص طارف ماله والملتد

لما مضى لسبيله خير الورى ... وحوى شمائله صفيح ملحد
منع الأعاريب الزكاة لفقده ... وارتد منهم حائر متردد
وتوقدت نار الضلال وخالطت ... إبليس أطماع كوامن رصد
فرمى أبو بكر بصدق عزيمة ... وثبات إيمان ورأى يُحمد
فتمزقت عصب الضلال وأشرقت ... شمس الهدى وتقوَّم المتأود
وهو الموفق للصواب كأنما ... ملك يصوب قوله ويسدد
بوفاقه آى الكتاب تنزلت ... وبفضله نطق المشفع أحمد
لو كان من بعدى نبياً كنته ... خبراً صحيحاً فى الرواية يسند
وبعدله الأمثال تضرب فى الورى ... وفتوحه فى كل قطر توجد
وتمام فضلها جوار المصطفى ... فى تربة فيها الملائك تحشد
وتعمقوا فى سب عثمان الذى ... ألفاه كفواً لابنتيه محمد

= لو كان عالماً بما يفعله عباده قبل وقوع الأفعال منهم لم يصح اختيار العباد وتكليفهم .
(الفرق بين الفرق ص ٦٥)

(٥٢٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ... ﴾ .الآية (الحديد / ١٠) .

(٥٢٣) إشارة إلى سورة (الليل) وهى التى تبدأ بقوله تعالى ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ وفيها قوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ قال ابن كثير فى « تفسيره » (٤ / ٥٢١) : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك . ا.هـ .

(٥٢٤) إشارة إلى سورة (التوبة) وفيها ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾ (التوبة / ٤٠).

ولبيعة الرضوان مد شماله ... عوض اليمين وهى منه أوكد
وحباه فى بدر بسهم مجاهد ... إذ فاته بالعذر ذاك المشهد
من هذه من بعض غر صفاته ... مما ضره ما قال فيه الحسد
ثم ادعوا حب الإمام المرتضى ... هيهات مطلبهم عليهم يبعد
أنى وقد جحدوا الذين بفضلهم ... أثنى أبو الحسن الإمام السيد
ما فى علاه مقالة لمخالف ... فمسائل الإجماع فيه تعقد
ولنحن أولى بالإمام وحبه ... عقد ندين به الإله مؤكد
وولاؤه لا يستقيم ببعضهم ... واضرب لهم مثلاً يغيظ ويكمد
مثل الذى جحد ابن مريم وادعى ... حب الكليم وتلك دعوى تفسد
وبقذف عائشة الطهور تجشموا ... أمراً تظل له الفرائص ترعد
تنزيهها فى سبع عشرة آية ... والرافضى بضد ذلك يشهد
لو أن أمر المسلمين إليهم ... لم يبق فى هذى البسيطة مسجد
ولو استطاعوا لا سعت بمرامهم ... قدم ولا امتدت بكفهم يد
لم يبق للإسلام ما بين الورى ... عَلم يسود ولا لواء يعقد
علقوا بحبل الكفر واعتصموا به ... والعالقون بحبله لم يسعدوا
وأشدهم كفراً جهول يدعى ... علم الأصول وفاسق متزهد
فهموا وإن وهنوا أشد مضرة ... فى الدين من نار السفين وأفسد
وإذا سألت فقيههم عن مذهب ... قال اعتزال فى الشريعة يلحد
كالحائض الرمضاء أقلقه اللظى ... منها ففر إلى جحيم يوقد
إن المقال بالاعتزال لخطة ... عمياء حل بها الغواة المرّد
هجموا على سبل الهدى بعقولهم ... ليلاً فعاثوا فى الديار وأفسدوا
صم إذا ذكر الحديث لديهم ... نفروا كأن لم يسمعوه وأبعدوا
واضرب لهم مثل الحمير إذا رأت ... أسد العرين فهن منهم شرد

إلى أن قال :

والجاحد الجهمى أسوأ منهماً ... حالاً وأخبث فى القياس وأفسد
أمسى لرب العرش قال منزهاً ... من أن يكون عليه الرب يعبد
ونفى القرآن برأيه والمصحف ... الأعلى المطهر عنده يتوسد
وإذا ذكرت له على العرش استوى ... قال هو استولى يحيل ويخلد

فإلى من الأيدى تمد تضرعاً ... وبأى شىء فى الدجى يتهجد
ومن الذى هو للقضاء منزل ... وإليه أعمال البرية تصعد
وبما ينزل جبرئيل مصدقاً ... ولأى معجزة الخصوم تبلد
ومن الذى استولى عليه بقهره ... إن كان فوق العرش ضد أيد
جلت صفات الحق عن تأويلهم ... وتقدست عما يقول الملحد
لما نفوا تنزيهه بقياسهم ... ضلوا وفاتهم الطريق الأرشد
ويقول لا سمع ولا بصر ولا ... وجه لربك ذى الجلال ولا يد
من كان هذا وصفه لإلهه ... فأراه للأصنام سراً يسجد
الحق أثبتها بنص كتابه ... ورسوله وغدا المنافق يجحد
فمن الذى أولى بأخذ كلامه ... جهم أم الله العلى الأمجد
والصحب لم يتأولوا لسماعها ... فهم إلى التأويل أم هو أرشد
هو مشرك ويظن جهلاً أنه ... فى نفى أوصاف الإله موحد
يدعو من اتبع الحديث مشبهاً ... هيهات ليس مشبهاً من يسند
لكنه يروى الحديث كما أتى ... من غير تأويل ولا يتردد
وإذا العقائد بالضلال تخالفت ... فعقيدة المهدى أحمد أحمد
هى حجة الله المنيرة . فاعتصم ... بحبالها لا يلهينك مفسد
ان ابن حنبل اهتدى لما اقتدى ... ومخالفوه لزيغهم لم يهتدوا
ما زال يقفو راشداً أثر الهدى ... ويروم أسباب النجاة ويجهد
حتى ارتقى فى الدين أشرف ذروة ... ما فوقها لمن ابتغاها مصعد
نصر الهدى إذ لم يقل ما لم يقل ... فى فتنة نيرانها تتوقد
ما صده ضرب السياط ولا ثنى ... عزماته ماضى الغرار مهند
فهناه حب ليس فيه تعصب ... لكن محبة مخلص يتودد
ووادنا للشافعى ومالك ... وأبى حنيفة ليس فيه تردد

وهذا باب واسع جداً لا يتسع لذكره مجلد كبير ، ويكفى أن شعراء الجاهلية مقرة به على فطرتهم الأولى كما قال عنترة فى قصيدته :

يا عبل أين من المنية مهربى ... إذ كان ربى فى السماء قضاها

(ذكر أقوال الفلاسفة المتقدمين والحكماء الأولين) فإنهم كانوا مثبتين لمسألة العلو والفوقية

مخالفين لأرسطو وشيعته ، وقد نقل ذلك أعلم الناس بكلامهم وأشهرهم اعتناء بمقالاتهم ابن رشد الحفيد . قال فى كتابه مناهج الأدلة (القول فى الجهة) وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة فى أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية ، كأبى المعالى ومن اقتدى بقوله . فظواهر الشرع كلها تقتضى إثباتها لله تعالى مثل قوله سبحانه ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[٥٢٥] وقوله تعالى ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[٥٢٦] وقوله ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾[٥٢٧] وقوله ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** ﴾[٥٢٨] وقوله ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾[٥٢٩] وقوله ﴿ **أءمنتم من فى السماء** ﴾[٥٣٠] إلى غير ذلك من الآيات التى إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولاً .

فإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً ، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله فى السماء وأن منها تنزل الملائكة بالوحى إلى النبيين ، وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبى ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى .

قال وجميع الحكماء اتفقوا على أن الله والملائكة فى السماء ، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التى قادت نفاة الجهة إلى نفيها هى أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة توجب إثبات المكان وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية .

قال نحن نقول أن هذا كله غير لازم ، فالجهة غير المكان ، وذلك أن الجهة هى إما سطوح نفس الجسم المحيط به هيئة ، وبهذا نقول أن للحيوان فوقاً وسفلاً ويميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً .

وأما سطوح جسم آخر يحيط بالجسم من الجهات الست ، فأما الجهات التى هى سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم أصلاً . وأما سطوح الجسم المحيط به فهى له مكان مثل سطوح الهوى المحيط بالإنسان وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهوى هى أيضاً مكان الهوى . وهذه الأفلاك بعضها محيط ببعض ومكان له .

---

(٥٢٥) طه / ٥ .

(٥٢٦) البقرة / ٢٥٥ .

(٥٢٧) الحاقة / ١٧ .

(٥٢٨) السجدة / ٥ .

(٥٢٩) المعارج / ٤ .

(٥٣٠) الملك / ١٦ .

وأما سطح الفلك الخارج فقد برهن أنه ليس بخارجه جسم ، لأنه لو كان ذلك كذلك لوجب أن يكون خارج فلك الجسم أيضاً جسم آخر ، ويمر الأمر إلى غير نهاية . فإذا سطح آخر أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم يمتنع وجوده ، فإذا قام البرهان على وجود موجود فى هذه الجهة فواجب أن يكون غير جسم ، فالذى يمتنع وجوده هناك هو ما ظنه القوم ، وهو موجود وهو جسم لا موجود ليس بجسم ، وليس لهم أن يقولوا أن خارج العالم خلاء ، وذلك أن الخلاء قد تبين فى العلوم النظرية امتناعه ، لأن ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء أكثر من الأبعاد ، ليس فيها جسم أعنى طولاً وعرضاً وعمقاً لأنه إن رفعت الأبعاد عنه عاد عدماً ؛ وإن أنزل الخلاء لخلاء موجود لزم أن تكون أعراض موجودة فى غير جسم ، وذلك أن الأبعاد هى أعراض من باب الكمية ولابد ، ولكنه قد قيل فى الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة أن ذلك هو مسكن الروحانيين ويريدون الله والملائكة . وذلك أن ذلك الموضع ليس بمكان ولا يجوز أن يحويه زمان . وكذلك إن كان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسداً فقد يلزم أن يكون ذلك غير فاسد ولا كائن .

وقد تبين هذا المعنى فيما أقوله . وذلك أنه إذا لم يكن ها هنا شيء يدرك إلا هذا الموجود المحسوس أو المعدوم وكان من المعروف بنفسه أن الموجود بنفسه إنما ينسب إلى الوجود إلى الجزء الأشرف ، وأشرف هذا الجزء قول الله تعالى ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٥٣١] فهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين فى العلم . قال فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل ، وأنه الذى جاء به الشرع وأثنى عليه ، فإن إبطال هذه القواعد إبطال للشرائع ، ثم ساق تقرير ذلك إلى آخره ، فهذا كلام فليسوف الإسلام الذى هو أخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء وأكثر اطلاعاً عليها من ابن سينا ونقلاً لمذاهب الحكماء ، وكان لا يرضى بنقل ابن سينا ويخالفه نقلاً وبحثاً .

(ذكر قول الجن المؤمنين المثبتين) قال الله تعالى ﴿ **قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً** ﴾[٥٣٢] وقال فى آية أخرى حكاية عنهم لما ولوا إلى قومهم منذرين ﴿ **قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم** ﴾[٥٣٣] فأخبروا أنه يهدى إلى الرشد وإلى الحق . وأعظم الرشد والحق الذى يهدى إليه

---

(٥٣١) غافر / ٥٧ .

(٥٣٢) الجن / ١ ، ٢ .

(٥٣٣) الأحقاف / ٣٠ .

معرفة الله سبحانه وتعالى وإثبات صفاته وعلوه على خلقه ومباينته لهم ، إذ بذلك يتم الاعترف له وإثباته . ونفى ذلك نفى له ولصفاته ، وكذلك سمعه المؤمنون الصادقون منهم كما قال أبو بكر الخطيب فى تاريخه : حدثنى عبد الله بن على بن محمد القرشى حدثنى عبد الله بن إبراهيم بن أيوب حدثنا أبو محمد بن ماسى قال حدثنى أبو مسلم الكجى قال : خرجت يوماً فإذا الحمام قد فتح سحراً فقلت للحمامى أدَخل أحد الحمام ؟ قال لا فدخلت فساعة فتحت الباب قال لى قائل : يا أبا مسلم تسلم ثم أنشأ يقول :

لك الحمد إما على نعمة ... وإما على نقمة تدفع
تشاء وتفعل ما شئته ... وتسمع من حيث لا يسمع

فبادرت وخرجت وأنا جزع وقلت للحمامى : أليس زعمت أنه ليس فى الحمام أحد ؟ قال لى هل سمعت شيئاً ؟ قال فأخبرته بما كان ، فقال إن ذلك جنى يقرئنا فى كل حين وينشدنا الشعر ، فقلت هل عندك من شعره شىء ؟ قال نعم فأنشدنى :

أيها المذنب المفرط مهلاً ... كم تمادى وتكسب الذنب جهلاً
كم وكم تسخط الجليل بفعل ... سمج وهو يحسن الصنع فضلاً
كيف تهدا جفون من ليس يدرى ... أرضى عنه من على العرش أم لا

ورينا فى الغيلانيات عن ابن عبد الله بن الحسن المصيصى قال : دخلت طرطوس فقيل لى : ههنا امرأة رأت الجن اللذين وفدوا على رسول الله ﷺ ، فأتيتها فإ ا امرأة مستلقية على ظهرها ، فقلت : رأيت أحداً من الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم .

حدثنى عبد الله بن سمح قال قلت يا رسول الله : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال كان فى نور .

(ذكر قول النمل) قال الله تعالى ﴿ **وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس** ﴾(٥٣٤) إلى قوله ﴿ **فتبسم ضاحكاً من قولها** ﴾(٥٣٥) فأخبر الله سبحانه عن النمل أنه ركب فيه مثل هذا الشعور والنطق ولا سيما هذه النملة التى جمعت فى هذا الخطاب النداء والتعيين والتنبيه والتخصيص والأمر وإضافة المساكن إلى أربابها والتجائهم إلى مساكنهم فلا يدخلون على غيرهم من الحيوانات مساكنهم ، والتعذير والاعتذار بأوجز خطاب وأعذب لفظ ، ولذلك حمل سليمان

---

(٥٣٤) النمل / ١٧ .
(٥٣٥) النمل / ١٩ .

عليه السلام التعجب من قولها على التبسم ، وأحرى بهذه النملة وأخواتها من النمل أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية ، وقد دل على هذا ما رواه الطبرانى فى معجمه قال :

حدثنا الدبرى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن سليمان عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة أحد قوائمها تستسقى ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سُقيتم ، إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها(٥٣٦) .

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع قال حدثنا مسعر عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقى بالناس فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة أحد قوائمها إلى السماء وهى تقول : اللهم أنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك ، فإما أن تسقينا أو تهلكنا ، قال سليمان عليه السلام للناس : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم(٥٣٧) ورواه الطحاوى والطبرانى أيضاً من حديث أبى الصديق الناجى قال : خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمر بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك . اللهم فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا ، فقال : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . هذا لفظ رواية الطبرانى ولفظ الطحاوى : فإذا هو بنملة قائمة على رجلها رافعة يديها تقول : اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب بنى آدم . فقال سليمان لأصحابه : ارجعوا فقد سقستم بدعوة غيركم ورواه الحافظ أبو الحسن الدارقطنى فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خرج نبى من الأنبياء يستسقى فمر بنملة مستلقية على ظهرها رافعة يديها إلى السماء تستسقى ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم(٥٣٨) .

وفى هذا الباب قصة حمر الوحش المشهورة التى ذكرها غير واحد أنها انتهت إلى الماء لترده فوجدت الناس حوله فتأخرت عنه ، فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد ، فأرسل الله عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت . وذكر شيخ

---

(٥٣٦) فى إسناده الدبرى وهو إسحاق بن إبراهيم الدبرى قال ابن حجر فى (اللسان) ما كان الرجل صاحب حديث ويروى المناكير عن عبد الرزاق وقال : إنما الكلام فى الأحاديث التى عنده من غير التصانيف .. (اللسان ١ / ٣٨٧) .

(٥٣٧) ذكره ابن كثير فى « تفسيره » (٣ / ٣٥٩) وعزاه إلى ابن أبى حاتم . وسكت عنه .

(٥٣٨) أخرجه الدارقطنى فى « سننه » (٢ / ٦٦) من حديث أبى هريرة (وقال فى الهامش) الحديث أخرجه أيضاً الحاكم ، وأحمد ورواه الطحاوى من طرق .

الإسلام الهروى بإسناده عن عبد الله بن وهب قال : أكرموا البقر فإنها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ عبد العجل حياء من الله عز وجل . وقد روى مرفوعاً عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن أبى هند عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ، ما رفعت طرفها إلى السماء حياء من الله عز وجل منذ عبد العجل » .

قلت : ولا يثبت رفعه فإن أبا هند مجهول .

والمقصود أن هذه فطرة الله التى فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذى نضرب ببلادته المثل وهو البقر .

فصل

ولعل قائلاً يقول : كيف يحتج علينا فى هذه المسألة بأقوال من حكيت قوله ممن ليس قوله حجة فأجلب بها ، ثم لم تقنع بذلك حتى حكيت أقوال الشعراء ثم لم يكفك ذلك حتى جئت بأقوال الجن ، ثم لم يقتصر حتى استشهدت بالنمل وحمر الوحش ، فأين الحجة فى ذلك كله ؟

وجواب هذا القائل أن نقول : قد علم أن كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وسائر أنبيائه عليهم السلام والصحابة والتابعين رضى الله عنهم ليس حجة عندكم فى هذه المسألة ، إذ غايةأ والهم أن تكون ظواهر سمعية ، وأدلة لفظية معزولة عن الثقة ، متواترها يدفع بالتأويل ، وآحادها يقابل بالتكذيب ، فنحن لم نحتج عليكم بما حكيناه وإنما كتبناه لأمور منها : أن يعلم بعض ما فى الوجود ويعلم الحال من هو بها جاهل ومنها : أن نعلم أن أهل الإثبات أولى بالله سبحانه ورسوله ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الإسلام وطبقات أهل العلم والدين من الجهمية والمعطلة ومنها : أن نعرف الجهمى النافى لمن خالف من طوائف المسلمين وعلى من شهد بالتشبيه والتمثيل ، وعلى من استحل بالتفكير وعرض يفترق من الأمة .

ومنها أن نعرف عساكر الإسلام والسنة وأمراءها ، وعساكر البدع والتجهم ليتحيز المقاتل إلى إحدى الفئتين على بصيرة من أمره ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وإن الله لسميع عليم .

ومنها أن نعرف الجهمى النافى لمن قد بارز بالعداوة وبغى الغوائل وأسعر نار الحرب ، ونصب القتال ، أفيظن أفراخ المعتزلة ومخانيث الجهمية ومقلدو اليونان أن يضعوا لواء رفعه الله تعالى . وينكسوا علماً نصبه الله ويهدموا بناءاً شاده الله ورفعه ، ويقلقوا جبالاً راسيات شادها

وأرساها ، ويطمسوا كواكب نيرات أنارها وأعلاها . هيهات هيهات بئسما منتهم أنفسهم لو كانوا يعقلون . ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[٥٣٩] ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل . ولكن هذه نبذة يسيرة وجزء قليل من كثير لا يقال له القليل . ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له سبيلاً .

تم بعون الله وتوفيقه

---

(٥٣٩) الصف / ٩ .

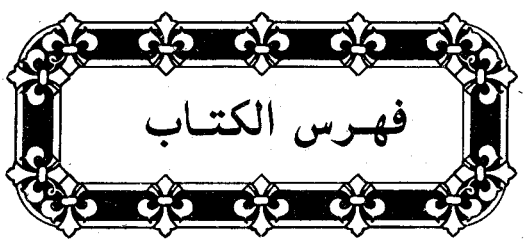
فهـرس الكتـاب

الموضوع	الصفحة

تقديم ٣
مقدمة الكتاب للمؤلف رحمه الله . وفيها بيان أقسام النعم ٧
فصل فى أن النعمة المطلقة هى التى يفرح بها فى الحقيقة ٩
بيان أن السنة حصن الله الحصين ومنزلة صاحب السنة وصاحب البدعة ١١
فصل فى أن أتباع الرسل يتقلبون فى عشرة أنوار والخارجون فى عشر ظلمات ١٢
فصل فى تفسير قوله تعالى ﴿ **مثل نوره كمشكاة** ﴾ إلخ ١٣
فصل فى بيان أهل الجهل والظلم وأنهم قسمان ١٦
تفسير قوله تعالى ﴿ **فى بحر لجى** ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ **لم يكد يراها** ﴾ ١٧
تفسير قوله تعالى ﴿ **مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً** ﴾ إلخ ١٩
فصل فى تفسير قوله تعالى ﴿ **أو كصيب من السماء** ﴾ إلخ ٢٣
بيان أقسام الناس فى الهدى الذى بعث به نبيه ٢٥
فصل فى بيان الحكم التى اشتمل عليها المثلان المتقدمان ٢٩
فصل فى التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى ٣٨
إثبات استواء الرب على العرش بالآيات القرآنية ٣٩
إثبات استوائه جل وعلا بالأحاديث الصحيحة وهي خمسون ٤٢
فصل فى أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ٥٥
ذكر أقوال التابعين رحمهم الله ٦٠
أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله ٦٥
رد ادعاء المجاز فى الاستواء ٦٩
احتجاجهم بآية ﴿ **وفى الأرض إله** ﴾ والرد عليهم ٧١
احتجاجهم بآية ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة** ﴾ والرد عليهم ٧٢
فصل فى بيان ما اجتمعت عليه الأمة من السنن ٧٣
قول أبي بكر بن وهب المالكى رحمه الله ٧٦

هروب المخالف من قول ووقوعه فى مثله ٧٩
قول الإمام الشافعي رحمه الله ٨٢
عقيدة المزني مفصلة وهو من أكبر أصحاب الشافعي ٨٢
عقيدة مفصلة لابن سريج ٨٥
قول حجة الإسلام أبي أحمد بن الحسين رحمه الله ٨٧
قول صاحب الحجة على تارك المحجة وفيه فصل لطيف ٩٠
الاحتجاج بالبيت (استوى بشر) والرد عليه ٩١
قول جماعة من أتباع الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ٩٥
فصل في ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل إمام المذهب ١٠٣
قول أئمة الحديث ... أبي هريرة والأوزاعى وغيره ١١١
قول سفيان بن عيينة رحمه الله ١١٦
قول الإمام حافظ أهل المشرق عثمان بن سعيد الدارمى ١١٨
قول على بن المدينى شيخ البخارى بل شيخ الإسلام رحمه الله ١٢٢
قول إمام أهل الإسلام محمد بن إسماعيل البخاري ١٢٢
قول مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح رحمه الله ١٢٦
قول أبى عيسى الترمذى صاحب السنن رحمه الله ١٢٧
قول الحافظ أبى بكر الآجرى . إمام عصره فى الحديث والفقه ١٢٨
قول الإمام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى ١٢٩
قول عبد الله بن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما ١٣٠
قول مجاهد وأبى العالية ١٣٣
قول الطبرى والبغوى والقرطبى ١٣٦
أقوال أهل اللغة ، قول أبى عبيدة بن المثنى وغيره ١٣٧
أقوال الزهاد الصوفية . قول ثابت البناني رحمه الله ١٣٨
قول الفضيل بن عياض ١٣٩
قول الجيلانى ١٤٣
قول أبى إسماعيل الأنصارى رحمه الله . قول أبى نعيم شيخ الصوفية رحمه الله ١٤٤
أقوال الشارحين لأسماء الله الحسنى ١٤٥
أقوال أئمة أهل الكلام . قول أبى محمد بن كلاب ١٤٥

ما ذكره الأشعرى فى كتابه الإبانة وهو تفصيل طويل ١٤٧
قول الباقلانى ١٥٧
قول الإمام فخر الدين الرازي ١٥٩
قول حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ١٦١
قول عبد الله بن رواحة الصحابى المشهور رضى الله عنه ١٦١
قول لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامرى ١٦٢
قصائد متعددة ليحيي الصرصرى ١٦٣
قول عنترة فى أن الله مستو على عرشه ، وهو من شعراء الجاهلية ١٦٩
ذكر أقوال الفلاسفة المتقدمين والحكماء الأولين ١٦٩
ذكر أقوال الجن المؤمنين المثبتين ١٧١
ذكر قول النمل ١٧٢
ذكر حمر الوحش وقول النبى ﷺ أكرموا البقر إلخ ١٧٣
جواب من يقول كيف يحتج علينا بأقوال الشعراء والجن ١٧٤
الفهـــرس ١٧٧

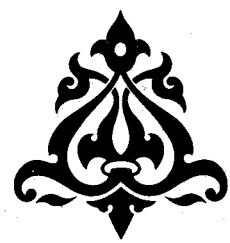

□ رقم الإيداع □
١٥٣٧ / ١٩٩٢

دار الحديث

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر
ت: ٩١٩٦٩٧٠ - ٩١٨٧١٩ - ٩٢٦٥٠٨

تلكس: ٩٣٩٨٥
٢٣١٦٢